

AL-SHATIRI

ADWAR AL-TARIKH
V.1

Princeton University Library



32101 074332444

أدوار التبايح المحضري

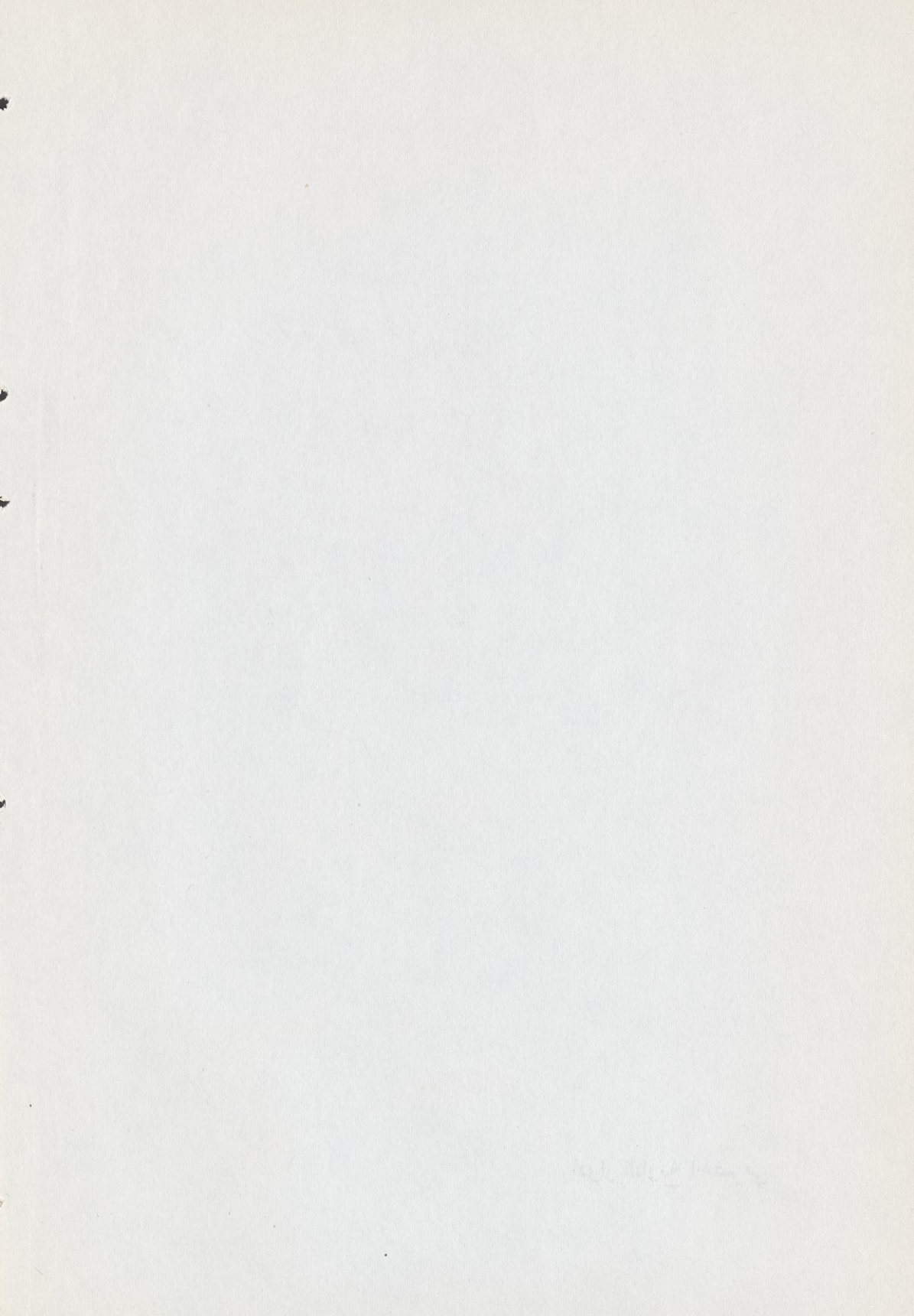
تأليف

محمد بن أحمد بن عثمان الشاطري

الجزء الأول

الناشر
مكتبة الإرشاد
جدة

ادوار التاريخ الحضري



al-Shaṭirī, Muḥammad ibn Aḥmad ibn 'Umar

Adwār al-tārikh

أَدْوَارُ التَّيَاحِ الْحَضْرِيَّةِ

تأليف

محمد بن أحمد بن عثمان الشاطري

الجزء الأول

الناشر

مكتبة الإرشاد

جدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على، عطاياه، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد اكرم مصلح عرفه التاريخ في جميع نواحي الحياة، وعلى آله الذين زينوا العروبة والاسلام بأفعالهم الحميدة وعلى أصحابه الذين ملأوا صفحات التاريخ بأعمالهم المجيدة وعلى من والاه ووالاهم من أبناء الأمم العديدة .

وبعد فاني اريد ان اتحدث اليك ايها القارئ - كما لو كنت حاضراً عندك - عن تاريخ حضرموت في أدواره المتعاقبة والمشملة على عصور الدول التي حكمت حضرموت، وما جرى فيها من احداث وأعمال على مسرح الزمن الى عرض لنماذج من أبطال حضرموت في تلك العهود من رجال العلم والاجتماع والسياسة والحكم. ولم اشأ ان اجري في هذا كله على الطريقة التقليدية لبعض المؤرخين من تغليب رجال السلطة والحكم وتدوير محور التاريخ على حياتهم، بل عنيت اكثر بالنواحي الاجتماعية العامة وبتغليب رجال الفضل والعلم والإصلاح^١ الذين يجب أن يكونوا قدوة صالحة للجيل

(١) لكثرة ما انجبت حضرموت من الرجال المبرزين في مختلف النواحي الاجتماعية انتقيت منهم اولئك النماذج الذين توفرت لدي المراجع الوثيقة في تواريخهم المشرفة وكأني ببعض القراء يود أن لو اضيفت اليهم آخرين او ابدلت ببعضهم آخرين فأقول: يكفي من القلادة ما احاط بالعنق .

الجديد والذين خدموا مجتمعاتهم بقدر ما جنى عليها المستبدون من رجال السلطة والحكم وبذلت مجهوداً في أن يكون ذلك تاريخاً حضرياً مركزاً مترابطاً في مراحل وعهوده وطبقات رجاله وملاحظاته وأبحاثه وتعليقاته حسب المستطاع وفي حدود المعلومات التي التقطتها من المصادر التي بين يدي^١ وأسميته - أدوار التاريخ الحضري -

أما أهم الأسباب التي دفعني لهذا العمل فهو التماس بعض المسؤولين عن التعليم الأهلي بحضرموت^٢ أن أضع كتاباً في تاريخ حضرموت يكون مرجعاً للمدرسين وكبار الطلبة، فوضعت له هذا الكتاب المشار إليه بشكله وروحه .

وارجو أن أكون بهذا قد أدت شيئاً من واجب المشاركة في خدمة وتدوين جزء من تاريخنا العربي الاسلامي العام الذي يجب أن يتوزع بين بنيه، فيتناول أبناء كل قطر تاريخ بلادهم وشعوبهم الخاصة بالبحث والتحقيق، وبروح عربية اسلامية. وحينئذ سيسهل التعاون على ابراز عموم تاريخنا من بين تلك التواريخ الخاصة وعلى حصول ما يطلب منه في اطار الوحدة العربية والاسلامية الشاملة، على أن تاريخ حضرموت ليس ميسوراً كغيره من تواريخ الشقيقات العربية. وبالرغم من أن بعض العلماء والكتاب قد كتبوا عنه وفيه فانهم الى الآن - لم يظفروا بكل المعلومات الكافية والمصادر الشافية عنه^٣، خصوصاً في تصوير الحياة الاجتماعية في اكثر العهود الغابرة من التاريخ الحضري القديم ومن تاريخ ما قبل الاسلام^٤. وفي التاريخ الحضري الاسلامي حلقات مجهولة عبر القرون : الثالث والرابع والخامس الهجرية.

(١) لا تخلو بعض المصادر التي يعتمد عليها المؤرخ الحضري من نقاط ضعف لا مساس لها بالتاريخ كركاكة التعبير، وهذا لا يهم ما دمنا ننظر فقط الى قيمتها التاريخية .

(٢) منهم رجال الهيئة الادارية لمدارس جمعية الأخوة بتريم .

(٣) درج المؤرخون الحضارمة من قبلنا على الشكوى من عدم تدوين التاريخ في حضرموت ومهم الشيخ علي بن ابي بكر العلوي وصاحب المشرع وغيرها .

(٤) سيأتي مثل هذا عند الكلام على الدور الحضري الأول .

ان هذا يتطلب جهوداً علمية جبارة للكشف والتنقيب عما جهل او غمض من تاريخنا، وذلك ما لا يقوم به فرد او أفراد ، وانما هو من واجب الحكومات الحضرمية او دولة حضرموت المتحددة المنتظرة . والتبعة (المسئولية) ^١ في نقص تاريخنا ملقاة على عاتقها اكثر من سواها ^٢ ، فعليها تخصيص لجنة من رجال اكفاء ووضع اعتماد كاف تحت تصرفها وتشجيعها بكل الوسائل اللازمة لتحضير التاريخ التام المطلوب . ومن أهم تلك الوسائل الآثار التي يمكن الاهتداء بواسطتها الى ما جهل من المعلومات والتي قد يغني واحد منها في الوصف عن مئات الصفحات من الكتب ، وما ندري هل سيتم ذلك في القريب؟

ومع ما قلنا ، وقبل أن يتم ما ندبنا اليه فان الميسور لا يسقط بالمعسور وما لا يدرك اليوم كله لا يترك كله فكل من كتب عن تاريخ حضرموت بروح تاريخية نزيهة فقد قدم صنغاً يشكر عليه ، كما أن من تعرض لهذه المهمة — مهمة التاريخ — ولم يؤد فيها حق الامانة بالانسياق وراء الأغراض من دعاية ^٣ سياسية أو خدمة أجنبية أو نعة حزبية او عنصرية أو غير ذلك ^٤ . ان من تعرض لهذه المهمة ولم يؤد فيها حق الامانة فقد عكس ما يراد من التاريخ وقد كذب على نفسه قبل أن يكذب على التاريخ الذي لن يصح منه غير الصحيح ، وسيكون نصيب هذا النوع من التواريخ الصفراء الاحتقار

(١) كلمة مسئولية مولدة وليست فصيحة، وإنما استعملت أيام الحكم التركي العثماني على بلاد العرب ولا يزال يستعملها بعض الكتاب الى اليوم ، وذكرنا لدولة حضرموت المتحدة ، إنما هو لما يتوقعه الناس من إبرازها قريباً .

(٢) ومنهم حكومات وشعوب العالم العربي والجامعة العربية وما يؤسف له أن يجهل كثيرون من إخواننا العرب الشيء الكثير عن الجنوب العربي بالرغم من انتشار الوعي العربي والقومية الصحيحة .

(٣) قال غوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب : الدعاية شيء والتاريخ شيء آخر .
(٤) من المؤسف حقاً ان نقرأ في الصحف والكتب ونسمع من بعض المحطات كلاماً مأجوراً مغرقاً في شخصيات معروفة بالصورة الخاطئة الثقيلة التي يمجها النوق السليم وينهى عنها الدين القويم ويرأ منها الحق والحقيقة فهل لهذا الليل آخر ؟

ثم الاهمال^١ . والذي يريد ان - يزيّف التاريخ فيروي احداثه بخلاف الواقع
كأما يريد ان يحور قضاء الله وقدره وذلك مالا يمكن أن يكون .
فليحقّق التاريخ اذاً ، وليقدّم ويؤخذ على أن يعطينا العبر والعظات الكافية
لمعرفة وسائل التقدم الاجتماعي والفردى ، ولتفهم الأسباب التي أدت الى
خراب البلاد وموت العباد ، ومن أهمها التحزبات والمنازعات التي بواسطتها
دواماً يشهر الحضرمي سلاحه في وجه أخيه وكلاهما من الضعف والفقر
والجهل بمكان ، فيتحطم الاخوان على صخرة هذه الانقسامات الشائنة .
فلماذا اذاً لا نجعل من تاريخنا الماضي - وما اكثر ما يعيد التاريخ نفسه -
لماذا لا نجعل منه اداة تطبيقية لأن نكون شعباً متراص البنيان قوى الأركان
كغيرنا من الشعوب الحية التي بينها من الفروق في التقاليد والمذاهب - بل
والأديان واللغات - مالا يوجد اقل منه بكثير عندنا ؟ واختلاف الرأي لا
يفسد للود قضية .

أفلا يسعنا بعد ماوسعهم ونحن في هذا العصر الذي لا يسود فيه الا من
تسلّح بسلاح العلم والاتحاد والخلق المتين ، ان تنصروا الله ينصركم ويثبت
أقدامكم .

(١) من أمثلة ذلك الكتب التي كانت تكيل المديح جزافاً لفاروق وأفراد أسرته الذين لما قامت
الثورة المصرية كشفت ذلك القناع الرقيق من على وجوههم ووجوه المتملقين لهم وظهرت
الحقيقة بازغة وكأنها تسخر من حاول اخفائها دون جدوى ، فهل يا ترى سيعيد التاريخ
نفسه مع فواريق آخرين صغاراً وكباراً ؟

معارف جغرافیہ

معارف جغرافیہ حضرت مورت

(1) جغرافیہ کی تعریف یہ ہے کہ وہ علم ہے جو زمین کی سطح اور اس کے اندر واقع چیزوں کی حالت و کیفیت اور ان کے درمیان قائم ہونے والے تعلقات کا مطالعہ کرتا ہے۔

الموقع - الحدود

تقع حضرموت في الزاوية الجنوبية الشرقية من بلاد العرب ، وهي :
حضرموت الكبرى - حضرموت الوسطى - ما دونها .

لقد اختلف المؤرخون اختلافاً كبيراً في حدود حضرموت ويرجع ذلك الى الناحية السياسية في الأكثر ، فان اكثر المؤرخين يحددونها تبعاً للدولة او الامارة ، او العمالة التي في زمنه^١ . فأقصى حدود حضرموت - ويمكن ان نسميها حضرموت الكبرى - من عدن غرباً الى عمان شرقاً وما بين البحر الهندي جنوباً ورمال الاحقاف شمالاً . وهذا التحديد يشمل بلاد الفضلي والضالع ويافع والعوالق سفلاهما وعليهمام والعواذل ويبحان وجميع الامارات الغربية التي تدعى بمحمية عدن الغربية ما عدا لحج والحواشب والعقربي وما تاخمها ، وتشمل الواحدي والقعيطي والكثيري ومهرة وظفار .

هكذا كانت حضرموت ولاية كبرى من ولايات اليمن الثلاث وهي الجند ومخاليقها وتدخل فيها لحج وعدن ، وصنعاء ومخاليقها ، وحضرموت ومخاليقها كما حددناها وذلك أيام الخليفة المأمون وغيره ممن تقدمه من الخلفاء اذ كانت البلاد العربية مملكة واحدة .

(١) انك إذا تصفحت تاريخ الهمداني صفة جزيرة العرب وصبح الاعشى ، وتقويم البلدان وأمثالها من كتب السابقين تجد فيها اختلافاً كبيراً ولا يمكن ايجاد مبرر لهذا الاختلاف إلا بما ذكرته .

ويعتقد هذا التحديد الواسع فستكون في الطول بين الدرجة ٤٥ الى ٣٠ : ٥٦ شرقي جرينيتش وفي العرض لا تتجاوز ما بين درجتي ١٣ - ١٩ .

الحدود المتداولة اليوم

أما بالنسبة لتحديد المتعارف عليه اليوم والذي يقرر لأبناء المدارس فما بين رمال الأحقاف شمالاً والبحر العربي جنوباً وما بين عين با معبد غرباً وسيحوت شرقاً. وهذا الساحل صخري وليس على خط مستقيم ويقدر طوله تقريباً بأربعة آلاف وخمسمائة كيلومتر ، وتقدر أقصى المسافة التي تخترق ما بين الداخلة والساحل بنحو ثمانين كيلومتراً .

أما مساحة حضرموت هذه كلها بالميل المربع فتقدر بمائة وعشرة آلاف اوعشرين الفاً، وتشمل سلطنات القعيطي والكثيري والواحدي والمهري وتبعد من خط الاستواء بخمسة عشر درجة وثانيتين عرضاً شمال خط الاستواء و ٤٩ درجة طولاً شرقي جرينيتش .

وهناك من حدها بحدود تتقارب مع هذه الحدود بمسافات أقل ٢ لا تطيل بذكرها وأصغرها ما بين العقاد غرباً وشعب هود شرقاً .

الجبال والأودية والمدن

انك حين تشرف من الطائرة على حضرموت وحين تهبط خريطتها بين يديك تجدها سلسلة جبال شاهقة ولكنها منبسطة، ويتخلل هذه الجبال

(١) أنظر الخريطة المفصلة بحضرموت الكبرى في صدر هذا الكتاب ومنها ستستدل على جميع الحدود الواسعة وما دونها ما ذكر هنا. وقد اخذها من عدة خرائط مضبوطة اساتذة مدرسة جمعية الأخوة و المعاونة بترميم ومؤلف هذا الكتاب بمساعدة السيد الباحثة عبدالله بن حسن بلفقيه .

(٢) انظر الشامل في موضوع جغرافية حضرموت للعلامة السيد علوي بن طاهر الحداد .

شقوق كثيرة تلك هي الأودية وأعظمها وادي حضرموت الرئيسي الذي تقع على حافته أهم مدن الداخل كتريم وسيئون وشبام والقطن .
هناك على طول الساحل وما يقرب اليه توجد الينابيع (المعابين) بكثرة حيث لا توجد في الداخل الا نادراً وتبدأ الينابيع في الساحل من ميفع حجر غرباً الى ريدة آل عبد الودود شرقاً .

ومن أهم مدن الساحل اليوم المكلا عاصمة السلطنة القيعيطية ، فالشحر ذات التاريخ المجيد فالديس فالحامي ، أما غيل با وزير فتبعد عن الساحل بما يقرب من ساعة ونصف بمسير السيارات .

ويوجد بميفع نهر صغير ينبع من جبالها ويصب في البحر العربي بالقرب من رأس الكلب ، عرضه من خمسة أمتار الى عشرة تقريباً وطوله نحو مائتي كيلومتر وعمقه من خمسة سنتيمترات الى خمسة وعشرين تقريباً .

وتنقسم جبال حضرموت ما بين شمالية وجنوبية وتنحدر أمطار الشمالية جنوباً نحو الوادي وشمالاً نحو الرمال ، وأمطار الجنوبية شمالاً نحو الوادي وجنوباً نحو البحر . وسلاسل الجنوبية اعلى في الجملة من أخواتها الشمالية وأعلى نقطة فيها تبلغ حوالي ستة آلاف قدم ، أما الشمالية فأعلى نقطة فيها تقدر بثلاثة آلاف وخمسمائة قدم .

كيف تستغل مياه الامطار بحضرموت

من الطبيعي أن تنحدر الأمطار من الجبال والهضاب الى الأودية والمنبسطات حيث توجد الزراعة والغراس وتتحرق المياه بطون الأرض .

وتخطط الأرض بأشكال هندسية وسواقي وسدود على نظام معماري معروف يتوارثه الأبناء عن الآباء .

ويتقدم الفن المعماري ويتأخر تبعاً لتقدم الشعب وتأخره كما سيأتي في أدوار تاريخ حضرموت القادمة .

ولكن الواقع اليوم ان كثيراً من مياه الأمطار والسيول تذهب هدراً. وهي في نفس الوقت ذهب يمكن استغلاله لو أصلحت سدوده وترعه ومجاريه فأطيان حضرموت اطيان جيدة خصوصاً في المناطق المعروفة بخصبها كمنطقة ميفع في الساحل غرب حضرموت، ومنطقة القطن غرب شبام ومتعلقاتها الى الفرط بحضرموت الوسطى، ومنطقة قسم شرقي حضرموت وتمتد الى ما بعد طبوقم^١. وتمتاز هذه المنطقة بجودة التربة ونقاء الجو وقرب الماء من سطح الأرض ولكنها مع الأسف مهملة.

محاولات غير مجددة في هذين العقدين الأخيرين

وقد حاولت حكومة بريطانيا باسمها وباسم السلطنات المحلية أن تقوم بمشاريع عمرانية لاصلاح السدود وقروض الزراع وتسليفهم واسعافهم بالمكائن والحبوب والنقد، ففشل المشروع وعاد بالحسران على كثير من المزارعين ولم يستطيعوا تسديد ما عليهم من قروض وديون كما أن ملاك النخيل لم يستطيعوا اداء المرجوعيات التي وزعت بشكل ضرائب على رؤوس النخيل.

أسباب الفشل

١ - من أهمها عدم كفاءة المديرين والخبراء الذين عينتهم الحكومة البريطانية فوضعوا تصاميم السدود على غير أساس علمي ناجح فخربتها السيول بشكل مريع^٢.

- (١) طبوقم مقاطعة بينها وبين شعب نبي الله هود نصف مرحلة تقريبا .
- (٢) منها سد النقرة حيث بني بطريقة واضحة الخط ففضه الماء وذهبت الأعمال والملايين التي انفق فيها هباء منثورا، وسد المثور الذي وضع اكثره بشكل اكوام واسوام من التراب فجحشها السيل ودفن آلاف النخيل بها وكسر سدودها وهذا لأن حضرموت ابتليت كأمثالها من البلاد المحمية أو المستعمرة بضباط يجازفون بأعمال فيها على غير مهارة وبدون اعتبار لشعبها مما كانت نتيجته الخسارة الأدبية والمادية في نواح حيوية كما سيأتي في مواضعه .

- ٢- أنواع المكائن - رفاعات الماء التي جلبت لهم من أنواع رديئة كمكائن بيتر وترنر وكان نصيب الكثير منها التحطيم وعدم الاستمرار .
- ٣- عدم توفر المهندسين الكفاء للمكائن الزراعية .
- ٤- آفات زراعية لم تعالج علمياً تماماً ومنها الجراد ، الى غير ذلك من الأسباب التي ملئت بها عشرات الملفات والعرائض والتقارير في الموضوع لدى الحكومة والأفراد والهيئات الشعبية مما يمكن للباحث المجدد الاطلاع عليه من مضانه ولا تزال ذيول المشروع باقية .

الطقس

الطقس فيها صحيّ وهو اكثر نقاء وجفافاً في السهول والأودية، حار في الصيف الى درجة انه بلغ ١١٠ درجات ... سنة ١٩٦١ م . وأشد أيام السنة حرارة الأربعينية وهي أربعون يوماً تبدأ من ٧ الغفر ، ٤ مايو . وأشد من هذه الأربعينية حرارة المئمتات وهي ثمانية أيام : الاربعة الأخيرة من منزلة الشول والأربعة الأولى من النعائم . والشتاء فيها معتدل البرودة غالباً

تقلبات الطقس*

والغريب ان الطقس فيها في هذه السنوات الأخيرة ذو تقلبات مختلفة سريعة، خصوصاً في فصلي الصيف والربيع ، فبينما تشتد الحرارة في صدر الليل اذا بها تنعكس أثناءه أو آخره الى برودة لا تكاد تحتمل. وقد تشتد الحرارة فجأة وتبرد فجأة ثانية والعكس وهكذا دواليك .

(*) انظر كتاب الحرير على اليواقيت شرح الاستاذ ابن هاشم علي ، ارجوزة المصنف المسماة: اليواقيت وفيه ايضاً تقدم فصولهم بفصل كما سيأتي .

الامطار

تكثر الأمطار في دواخل حضرموت في فصلي الصيف والخريف وهي أقل وجوداً في السواحل .

والغريب انهم يتقدمون في فصولهم بفصل فتجري عندهم هكذا :

الربيع الفلكي يسميه زراع اليمن وحضرموت صيفاً ،

الصيف الفلكي يسميه زراع اليمن وحضرموت خريفاً ،

الخريف الفلكي يسميه زراع اليمن وحضرموت شتاء ،

الشتاء الفلكي يسميه زراع اليمن وحضرموت ربيعاً .

والمطر في هذين الفصلين نادر جداً ، وقد يحصل الجفاف أحياناً لأسباب طبيعية منها : - حيلولة الرياح الموسمية التي تصطدم بالجبال القريبة من البحر فتوقع الأمطار عليها فقط دون أن تصل الى الهضاب الداخلية فيحصل إجفاف في الأودية والأراضي التي تتلقى سيولها منها .

ثروات حضرموت

الثروة الحيوانية :

توجد بحضرموت في كثير من أدوار تاريخها : ثروة هائلة من الأنعام والحيول حتى لقد وصل نصيب احدى زوجات بعض أثريائها الأربع ثمانين رأساً من الخيل^١ . وعند ما تقرأ عن فرسان حضرموت وعن الابل المهرية وبقية الحيوانات في الفصول الآتية في هذا الكتاب سيتبين لك غنى حضرموت بهذه الثروة وتصديرها الى الخارج منها .

أما اليوم فتوجد من هذه الحيوانات ما عسى أن تقوم ببعض حاجة السكان

(١) أشير بهذا الى الحسين ابن الشيخ ابي بكر بن سالم .

الماسة إليها على أن الخيول بالذات أصبح من النادر أن توجد في أكثر المقاطعات ولا يعرفها الاطفال الا في الرسوم المدرسية .

وفيها الحيوانات الوحشية واكثرها الوعول والغزلان حيث يقصدها الصيادون الى الجبال والوديان حيث تقام المهرجانات وحفلات الصيد الشعبية بعد اقتناصها .

أما الأسماك فتوجد بكثرة هائلة وتزيد على ٨٠ شكلاً . وقد كانت فيما مضى تفيض جداً عن حاجة السكان ولكنها اليوم لا تكاد تفي بها حيث يزدادون زيادة مطردة ١ .

نعم يصدر الوزيف وهو صغار السمك (العيد) بفتح العين بعد أن يجفف الى الخارج كما يصدر زيتته بكميات يسيرة . ويستعمل في حضرموت سماداً لبعض المزروعات ومن أهمها التبغ .

الثروة النباتية

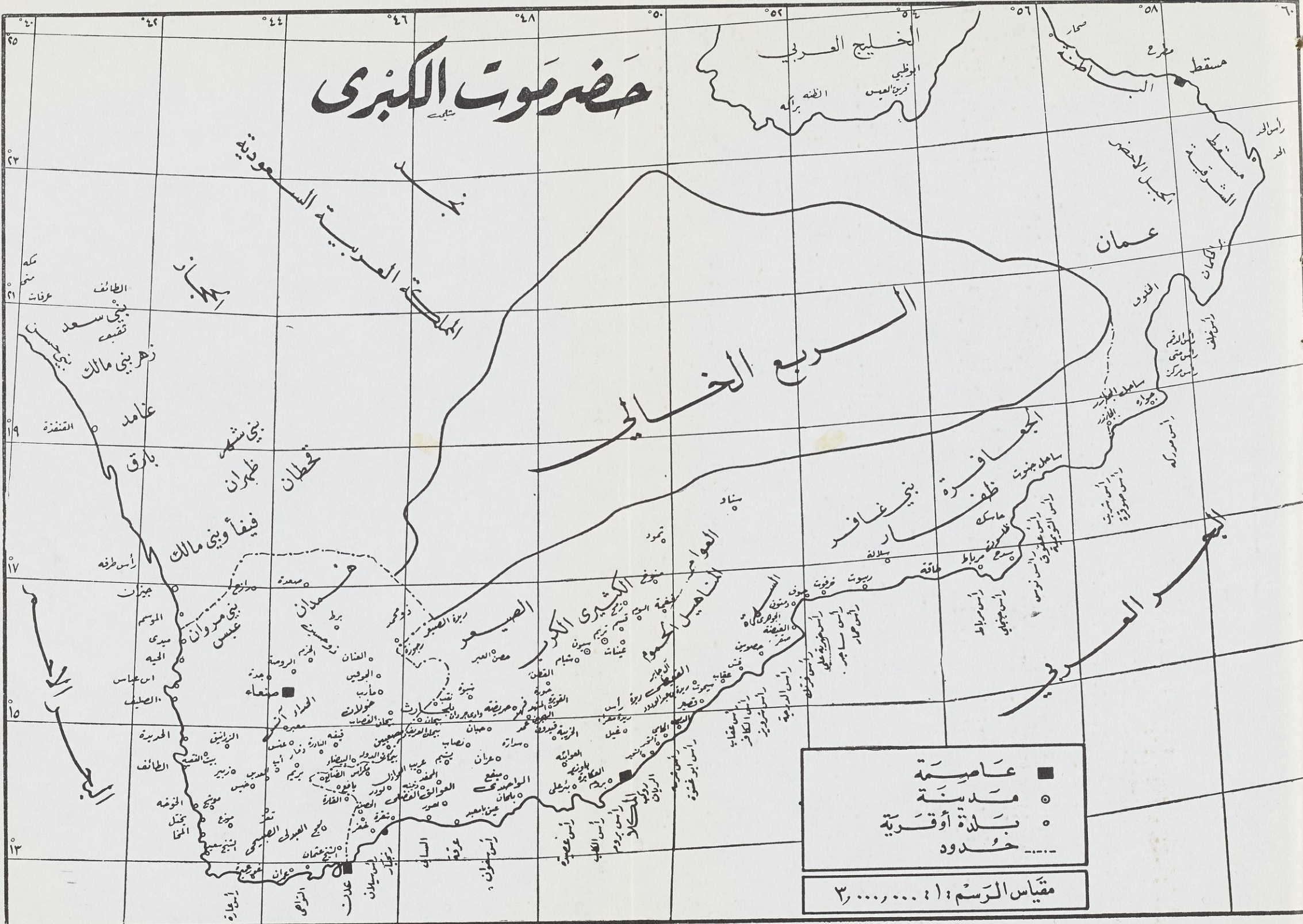
تنتج حضرموت التمر وأنواعه كثيرة أوصلها بعضهم الى ثلثمائة نوع ٢ في بعض مراحل التاريخ .

وتمر حضرموت من أجود تمر العالم كما ان بُرَّها وقطنها وزيتها كذلك بشهادة بعض الخبراء الأجانب . والحضرمي فيما مضى من تاريخه والى وقت قريب جداً يتخذ التمر قوتاً في بعض وجباته بينما يتخذه الآخرون فاكهة . وكانت تصدر منه الى الخارج كميات وافرة اذ كانت السدود معمورة ومساحات الوديان الحضرمية مشغولة بالنخيل ، والغراس قائم على قدم وساق

(١) مما يستغرب ما سمعناه عن طمع بعض الشركات الاجنبية في استغلاله ولكن واجب المسئولين ان يحولوا دون ذلك اذا صح هذا ، فهل هم فاعلون ؟

(٢) نظم الشاعر العلامة عبدالرحمن بن محمد بن شهاب قصيدة باللغة الدارجة في انواع التمر وذكر صاحب المشرع الاحصاء الذي اشرنا اليه .

حضرة قوت الكبرى



■ عاصمة
 ○ مدينة
 ● بلدة أو قرية
 - - - - حدود

مقياس الرسم: 1 : 300,000

فتعاون الحراب ، والضرائب والمرجوعيات ، وكسل السكان وخور عزائمهم ومضايقة المسؤولين لهم ، كل هذه العوامل تظافت على جذب البلاد من النخيل وقلعت السيول كثيراً مما كان موجوداً^١ ولم يعوض بديل عنه فكان المحصول ضئيلاً بالنسبة لما مضى . ومع ذلك فالملك يتبرمون من نخيلهم لأن تكاليفه أضعاف قيمته وواجب المسؤولين ازالة الأسباب التي أشرنا إليها ليتم انتاج النخيل بالصورة المرجوة حتى تنتفع منه البلاد اقتصادياً .

ويوجد بها أشجار السدر (العلوب) وتستعمل أخشابها في بناء البيوت وتضم إليها أخشاب أخرى جميلة كخشب العريط حيث ينبت شرقي حضرموت . أما المزروعات فأكثر الأنواع الشهيرة منها تزرع بقدر الحاجة تقريباً من بر وذرة وكزبرة وخضروات وغيرها وتزرع بعض أشجار الفاكهة في السواحل كاللباز والموز .

وقد أصبح اليوم الاعتماد في أكثر الوجبات على الأرز المنقول من الخارج كبرمه بينما في الامكان الاستغناء عنه بالاعتماد على انتاج البلاد وزرع الأرز فيها ، وقد جرب زرعه في مقاطعة حجر فنجحت التجربة ولكنها لم تستمر لتقصير الحكومة والشعب .

ويزرع التبغ (التبنك) في الساحل وتصدر منه كميات الى عدن فمصر وغيرها ، ولا يزيد صادره سنوياً اذا صلح عن مليوني شلن (٢,٠٠٠,٠٠٠) . وبالأودية والجبال توجد أشجار ونباتات تستخرج منها العقاقير وتعمل منها الوصفات البلدية والأدوية البدوية وستأتي الإشارة الى شيء منها في الفصول القادمة .

ومن منتجاتها العسل وهو أجود او من أجود أنواع العسل في العالم في طعمه وخواصه ، وتصدر منه كميات يسيرة الى الخارج .

(١) في سنة ١٣٧٣ جاء سيل كبير وقلع نخيل وادي دوعن وترك الأرض يبابا وفات على الأهلين ما يقدر قيمته بنحو ثلاثة ملايين شلن وقبلها بسنوات قلعت السيول نخيلاً كثيراً في مسيلة عدم وفي وادي بور ، ولأسباب الفشل التي ذكرناها دخل فيما جرت من خراب مستمر .

الثروة المعدنية

يوجد بحضرموت معادن كثيرة أوصلها بعض المستشرقين الى خمسين نوعاً منها: النحاس ، والشب ، والحديد ومنها الملح الصخري حيث توجد هضاب منه في الصدارة وشبوة . والواقع ان حضرموت لا تزال بكراً ولم يعلن عن اكتشاف شيء مما يظن وجوده فيها : كالاسمنت ، والكبريت ، والذهب والأورانيوم .

ويقال ان الحكومة البريطانية تحمل من مواقعها في الجبال الشمالية بمنطقة ثمود كميات على السيارات والطائرات .

أما البترول فقد وجد فعلاً في شرقي حضرموت بمنطقة ثمود وتبادل المسئولون في الحكومتين الخطابات والمحادثات حول استخراجها مع بعض الشركات الأجنبية ، وأخيراً أبرمت بينهم وبين شركة زيت بان امريكان الدولية المنبثقة عن شركة استاندر انديانا الامريكية ٢ اتفاقية يقال انها طبق الاتفاقية المبرمة مع الجمهورية العربية المتحدة . واذا كانت كذلك وأبرمها أولئك المسئولون فهل يفوز الشعب بكل ما يرجوه منها ؟

السكان

وسكان حضرموت عرب جلهم قحطانيون ومنهم عدنانيون وسيأتي ذكر كثير من قبائلهم في مواضعه ، وتغلب عليهم السمرة ما بين خفيفة

(١) نشرت جريدة الجنوب العربي في العدد العاشر من السنة الأولى الصادر يوم الجمعة ٧-٤-٧٤ وجود منابع البترول حيث تمتد عيونته من الظهران ثم تمر على ثمود ومنها يتجه الى سيحوت وسلاله ، ولها فرع يمر ما بين تريم والنرف الى مريم ثم يتجه الى مسيل دوعن ثم شبوة واليمن ، ووجود الاسمنت بتريم والذهب بمنطقة سيون . وقد عثر مراسلها على خريطة سرية بهذا كما نشرت غيرها من الصحف التحميل الذي اشرنا اليه .

(٢) هكذا اسميت في صحيفة الرائد عدد (٤٠) السنة الاولى .

وشديدة وقد اختلطت دماء بعضهم بدماء اندونيسية وصينية وملايوية خصوصاً في الداخل ودماء افريقية خصوصاً في الساحل ، ولهذا يبدو في المختلطين منهم بهذه الأجناس ملامحها وطباعها وأمزجتها . وقد نشأ هذا من هجرة الحضارة الى البلاد الأخرى العجمية بدون عائلات فيضطرون الى التزاوج معهم ، وبالتالي انجاب أطفال لا يعرفون شيئاً عن عروبتهم ولغتهم الا اذا تعلموا ذلك فيما بعد أو زاروا وطنهم الأصيل . وهؤلاء قليلون اذ اكثرهم مندمجون في شعوب أمهاتهم ويوجد بينهم أفراد من الهنود البانيان ، ومن الموظفين الأوروبيين في مدينتي المكلا وسيئون ، وممالك السلطتين الذين هم من أصل افريقي .

وبسبب ما ذكرته توجد الفاظ دخيلة - هندية وملايوية وغيرهما - على اللغة الحضرمية الداريجة التي هي أقرب اللغات العربية الداريجة الى الفصحى - مادة ومعنى وأمثالا وأشعارا - ويوجد فيها ألفاظ خاصة بها تتصرف تصرف الألفاظ العربية وتشتق منها مشتقاتها طبق الموازين العربية . ويظهر انها بقية من اللغة الحميرية القديمة ، وقد أفردتها بعضهم بقواميس خاصة لا تقل موادها عن ثلثمائة مادة كما ألفت تأليف خاصة بالأمثال الحضرمية الداريجة ، وبالشعر الحضرمي الذي نبغ فيه فحول لهم دواوين كثيرة موجودة .

المذهب والعقيدة والعدد

ومذهبهم كلهم شافعي في الفروع ، وقد يخالفون مذهب الشافعي في بعض الأعمال والأحكام ، كالعهدة والمزارعة ، والمغارسة وغير ذلك مما يضطرون اليه .

وعقيدتهم سنية أشعرية وقد يخالفون الأشعري في نقاط معروفة كالتقول بايمان المقلد الذي لا يقول به .

أما عددهم فيتراوح بين نصف مليون وأربعمائة الف حيث لا يوجد احصاء رسمي لهم ولكن المدن الكبرى حيث يوجد السكان بها اكثر يعتقد انها كما يلي تقريباً ١ :

نسمة	المكلا
٢ ٣٥٠٠٠	الشحر
١٢٠٠٠	الغيل
٠٥٠٠٠	سيون
١٢٠٠٠	تريم
١١٠٠	شباب
٠٥٠٠٠	
<u>٨٠٠٠٠</u>	المجموع ثمانون الفاً

وقد أحصي بعض العشائر والقبائل المسلحة على وجه التقريب فكان مجموعهم وعائلاتهم حوالي خمسين الفاً وذلك منذ اكثر من ثلاثين سنة . ومعنى هذا انهم قد تضاعفوا أضعافاً كثيرة تتقارب مع ما ذكرناه ، وفي التقرير السنوي لحكومة عدن لسنة ١٩٥٨ م ان سكان المحمية الشرقية للسنة نفسها ثلاثمائة الف نسمة ويعتقد انه دون الواقع .

(١) ظهر لنا ان المجالس البلدية الى اليوم لم تستطع القيام باحصاء مضبوط للسكان .

(٢) يقدرهم السيد علوي بن طاهر في الشامل ما بين ٣٥ و ٤٠ الفاً .

أَمَّا الْعَرَبِيَّةُ الَّتِي نَحْنُ جَزُؤُهَا
لَا يَتَجَزَّأُ مِنْهَا

بما أن حضرموت جزء لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير ، فالحضارمة شعب من صميم الشعوب العربية الكثيرة التي تتكون منها الأمة العربية المنتسبة الى سام بن نوح وموطنها بلاد العرب ذات الموقع الاستراتيجي العالمي، والغنية بثرواتها العظيمة، وتمتد حدودها من الخليج العربي الى المحيط الأطلسي .

ولاشك أن الأمة العربية من اذكى وأنبل الأمم واكثرها استعداداً لقيادة العالم ، وتوجيهه الى حياة السعادة والمدنية والعلم والحضارة والنور كما وقع ذلك فعلاً بعدما ظهر سيدنا محمد النبي العربي العظيم يحمل رسالة الاسلام ويبشر به كدين ذي مبادئ انسانية فطرية منقطعة النظير .

وهكذا تلاقت الميزتان: ميزة الإسلام ، وميزة العرب ونتج عن ذلك عهد الخير والسعادة والرفاهية والتقدم البشري مدة قرون عديدة تمسك العرب فيها بالميزتين المشار اليهما . ولما نسوا مبادئهم الاسلامية والقومية ولم يجدوا التوجيه المطلوب انهارت حضارتهم ، وضاعت مثلهم العليا واصبحوا مقسمين الى أن استولى عليهم الأجانب ومزقوهم كل ممزق كما هو معروف في التاريخ . وهم في هذا العصر الحديث قد تنبهوا من غفلتهم وبدأوا يسعون بجد في استعادة مجدهم العربي الاسلامي ولاشك أنهم سيفوزون في النهاية وسيتغلبون على اعداء العروبة والاسلام في الداخل والخارج ، وان جندنا لهم الغالبون . وقد ذكرنا هذه التوطئة لأن التاريخ

الحضرمي في كثير من أدواره وعهوده مندمج في التاريخ العربي العام ،
وستتكلم عن أدوار التاريخ الحضرمي المشار اليه سواء المستقلة لنفسها ،
والمندمجة مع التاريخ العام العربي والاسلامي .

فالعرب من حين عرفوا ووجدوا في بلادهم ينقسمون الى ثلاثة أقسام
نذكرها باختصار :

العرب البائدة .

العرب العاربة او القحطانية .

العرب المستعربة او العدنانية .

العرب البائدة

أما العرب البائدة فهم اقدم قبائل العرب ، ولا يقل قدم الاولى منهم
عن أربعة آلاف سنة . وقد بادت تلك القبائل بعدما كان لها شيء من الملك
والحضارة بقيت آثاره وهي كما يلي :

القبيلة او الشعب	اشهر مواطنها	تاريخ ظهورها بالتقريب
العمالقة	الحجاز ومصر والعراق	٢٥٠٠ ق. م
عاد	الاحقاف بين عمان وحضرموت	٢٠٠٠ ق . م وسيأتي الكلام عنها

ثمود جنوب الجزيرة وشمالى الحجاز ١٥٠٠ ق. م

طسم جديس اليمامة بنجد ٣٠٠ بعد الميلاد

مدين العقبة بالاردن ١٥٠٠ قبل الميلاد

وعد بعض المؤرخين قبائل اخرى بادت منها أميم وجرهم وحضرموت .

(١) وقد لعبوا دوراً كبيراً في تاريخ مصر ويسمون في الكتب الاجنبية الهكسوس والشابوي الرعاة
ولهم في العراق دول كبيرة منها : الدولة البابلية الاولى - انظر تاريخ العرب قبل الاسلام لجرجي
زيدان وتاريخ الامة العربية للمقدادي .

وإذا صح هذا فلا شك أنهم يعنون حضرموت الأولى لا حضرموت الأخيرة التي سيأتي الكلام عنها وعن بعض رجالها وقد جاء الإسلام وليس للعرب البائدة نسل معروف .

العرب العاربة

هؤلاء هم القحطانيون أو «اليمينيون» نسبة لموطنهم في اليمن . ثم تفرقوا ولهم دول معروفة في اليمن كالمعنيين والسبأين والحميريين وسيأتي الكلام عنهم فيما بعد . ولهم دول أخرى في مواطن من بلاد العرب غير اليمن أشهرها دولة الغساسنة في الشام وعاصمتهم بصرى ، ودولة اللخمين في العراق وعاصمتهم الحيرة .

وهناك قبائل يمنية شهيرة نذكر منها : همدان ، والازد ، وحمير ، ومذحج ، وكندة ، وقضاعة^١ ، وطيء ، وحضرموت .

ولكل من الدول القحطانية ملوك لهم قسط من الحضارة كما هو مدون في كتب التاريخ إلا أن تلك الدول متعادية متباعدة ليس لها رابطة تربطها لاجمعة تجمعها وليس لها دين صحيح يرشدها إلى طريق السعادة ، ولم تبلغ في حضارتها وتمدنها المبلغ الذي يرفع مستواها إلى حياة اجتماعية عالية تؤمن مستقبلها وتحفظها من غوائل الفساد والانحلال والتدهور . جاء الإسلام وهي بحاجة إلى ما أشرنا إليه فسد تلك الحاجة بما يحمله من مبادئ اجتماعية سامية وقيم روحية عالية فنظمها كلها تحت لوائه دولة إسلامية عربية شاملة خدمت العالم ووجهته إلى ما فيه الخير والفلاح ، ونرجو أن يعيد التاريخ نفسه إذا صمم العرب والمسلمون على استعادة مجدهم ، وإن جندنا لهم الغالبون .

(١) على من يقول أنها يمانية ، ومنهم من عدّها عدنانية .

العرب المستعربة

أما العرب المستعربة فهم نسل اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ويقال لهم العدنانيون وهم قبائل كثيرة معروفة فمنهم تميم وغطفان وكنانة ومنها قريش . ومنهم بنو هاشم اسرة الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم . ومن قبائل عدنان ربيعة ومنها تغلب وبكر ومنها بنو شيبان . وأنساب العرب شعوباً وقبائل مدونة مفصلة في كتب الأنساب المختصة^١ . والعرب من الأمم التي تعني بحفظ أنسابها وتعز بأحسابها وتقتفي آثار أجدادها في الفضائل والمحاسن والمناقب والتقاليد والعادات كما يشهد بذلك واقعها وتاريخها .

الشعوب العربية وبلادها في العهد الحاضر

سيوضح لك من الجدول البياني التالي والخريطة التي تليه عدد اخوانك العرب وبلادهم وشعوبهم وأنهم يمثلون بمجموعهم قوة عالمية هائلة في جميع نواحي الحياة، وأنهم كانوا في أيام عزهم السابق شعباً واحداً وبلاداً واحدة فجاء الاستعمار وشتت شملهم واستولى عليهم واستعان على ذلك بعملائه من ابناء جلدتهم الذين خانوا دينهم ووطنهم وأمتهم . ولكنهم كافحوا وجاهدوا في سبيل الاستقلال وبدلوا دماءهم وأرواحهم حتى ناله اكثرهم والبقية يسعون اليه هم واخوانهم بخطى واسعة سريعة ووثبات بعيدة بما فيهم أهل حضرموت التي نحن بصدد تاريخها .

والشعوب العربية اليوم تعي وتدرک كل شيء يراد لها وتنتظر اليوم الذي تتحد فيه وتكون دولة كبيرة واحدة مؤلفة من ولايات متحدة كالولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي ويرى كل فرد واعٍ

(١) انظر جمهرة العرب لابن دريد والعقد الفريد لأبن عبد ربه .

من ابناء العرب أعظم عيد له في ان تتحقق تلك الأمنية . واذا كانت تقف في طريقها بعض العقبات والصعوبات من الداخل او الخارج فمن المحقق أن العرب سيزيخونها في النهاية . ولعل مما يهيء لهم ذلك وجود الجامعة العربية التي يربو لها كل عربي اداء رسالتها بصورة اقوى واسمى مما هي عليه الآن .

اسم البلاد	تقدير عدد السكان	تاريخ الاستقلال التام
الجمهورية العربية المتحدة	٢٣٠٠٠٠٠٠٠ نسمة	عام ١٩٥٢ بثورة الجيش ضد فاروق وبريطانيا
الجمهورية العراقية	٥٠٠٠٠٠٠٠ نسمة	عام ١٩٥٨ بثورة الجيش ضد الملكية وبريطانيا
الجمهورية السورية	٥٠٠٠٠٠٠٠ نسمة	عام ١٩٤٦ بطرد فرنسا
الجمهورية اللبنانية	١٥٠٠٠٠٠٠ نسمة	عام ١٩٤٦ بطرد فرنسا
المملكة الأردنية الهاشمية	١٢٥٠٠٠٠٠ نسمة	عام ١٩٥٦ بطرد غلوب باشا
المملكة اليمنية	٥٠٠٠٠٠٠٠ نسمة	عام ١٩١٧ بسقوط الدولة العثمانية
المملكة السعودية	٧٠٠٠٠٠٠٠ نسمة	عام ١٩٣٢ أسسها عبد العزيز آل سعود
المملكة المغربية	١٠٠٠٠٠٠٠٠ نسمة	عام ١٩٥٦ بطرد فرنسا
الجمهورية التونسية	٤٠٠٠٠٠٠٠٠ نسمة	عام ١٩٥٧ بطرد فرنسا
الجمهورية السودانية	١٠٠٠٠٠٠٠٠٠ نسمة	عام ١٩٥٥ بطرد الانجليز
المملكة الليبية	١٥٠٠٠٠٠٠٠٠ نسمة	عام ١٩٥١ بطرد ايطاليا وبريطانيا
دولة الكويت	٢٥٠٠٠٠٠٠٠ نسمة	عام ١٩٦١ باعلان الاستقلال
المجموع	٧٣٥٠٠٠٠٠٠٠ نسمة	

البلاد التي في طريقها الى الاستقلال

١٠٠٠٠٠٠٠٠ نسمة ^١	الجزائر
٥٠٠٠٠٠٠٠ نسمة	إمارات الخليج العربي
	سلطنات الجنوب
١٠٠٠٠٠٠٠٠ نسمة	العربي و عدن
١٥٠٠٠٠٠٠٠ نسمة	فلسطين المحتلة
<hr/>	
٨٦٥٠٠٠٠٠٠٠ نسمة	مجموع الكل

(١) نالت استقلالها عام ١٩٥٨ بطرد فرنسا

THE HISTORY OF THE

... ..
... ..
... ..
... ..
... ..

... ..
... ..
... ..

الدور المحضري الأول

دور محضرات الفديمة

كانت حضرموت في الازمان السحيقة التي تسبق التاريخ ارضاً بكرّاً غير مأهولة ، كالكثير من قطاعات الكرة الأرضية إذ ذاك ويحتمل أن يكون^١ قد عرفها الانسان القديم كما عرفها بعده جيل متمدن من البشر . ومن المعلوم أن لحضرموت كغيرها من البلاد دولاً قديمة جداً منذ آلاف السنين ، ولم يدون عنها إلا التاريخ المجمل لا التاريخ المفصل المسلسل بايامه المحددة ورجاله وجميع دقايقه شأن التواريخ المدونة الموجودة بين أيدينا فيما بعد تدوين التاريخ في العصور الاسلامية عن الدول العربية والاسلامية .

ومع ذلك فإن ما قلنا عنه انه تاريخ مجمل عن دول حضرموت السابقة على الاسلام لموضع اضطراب وخلافات بين المؤرخين ، خصوصاً المستشرقين . الذين كتبوا عن دول حضرموت ومشيختاتها من امارات اليمن ومخالفاتها ، حتى بلغ بهم الأمر الى تقديم دولة باكملها على دولة كالدولة المعينية وهي الشهيرة بأنها أقدم دولة بعد عاد في اليمن . فبعضهم يؤخرها عن دولة سبأ ويقدم سبأ عليها . وحتى عاد نفسها فقد بلغ ببعضهم التسرع والجرأة الى حد إنكارها^٢ فضلاً عن تأخير زمانها ولهم بصدد ذلك نظريات بعيدة شاذة . والغريب أن بعض من كتب عن تاريخ حضرموت نقلاً عنهم يقلدهم تقليداً أعمى

(١) المراد بالانسان القديم الانسان الفطري الذي لم يأخذ بأسباب الحضارة فيما بعد التاريخ

(٢) انظر تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي

الى درجة تحريف كثير من اسماء بلادنا ورجالنا وتذكير المؤنث وتأنيث المذكر .

ويجد القارىء عن هذه الدول خلافات ايضاً في اسماء رجالها وملوكها ومواقعها وحروبها وازمانها مما لا يكاد يجمع على تفصيله في شيء . وهذا هو المعتاد غالباً في مثل هذه الأحوال ، فكلما بعد العهد عن شيء كلما أهمل ونسي وكلما قرب العهد به كلما بقي في الذهن وامكن ضبطه وتقييده ، ولكن علم الآثار قد يدلنا في المستقبل على كثير من المعلومات التي نحن متلهفون على الاطلاع عليها ، خصوصاً عما يتعلق بالنواحي الاجتماعية على اختلافها وسير الرجال الذين برزوا في خدمة المجتمع اقتصادياً او ثقافياً او عسكرياً او خلقياً أو دينياً ليكونوا قدوة لمن بعدهم ، فتعداد الملوك والسلاطين والامراء وقوائم اسمائهم مثلاً لاتهمنا بقدر ما تهمنا التفصيلات الكافية عن أعمالهم الشعبية وتضحياتهم الاجتماعية ومن هو بخلاف ذلك ، والى أي حد يستغل المستغل منهم سلطته ومن هو الذي يقيم عرشه ويعنى براحته على حساب شعبه ؟ فالميزان عندنا هو بقدر الشعبية ، والعدالة الاجتماعية وحسن السلوك ليستطيع التاريخ أن يحاسب كلاً بما يستحق ويسجل له ما كسبت يده وهذا هو غايتنا من تأليف هذا الكتاب .

من أجل السبب المتقدم وهو الاضطراب في تاريخ حضرموت القديم اكتفين بما يمكن ان يطمئن اليه البال مما يعطينا ولو صورة عامة عن النواحي الهامة من تاريخ حضرموت القديم وما يتصل به .

اما فيما بعد تلك العهود القديمة ، قد لا نجد في بعض مراحل التاريخ الحضرمي بعدها ما يشفي فنتقع في الاجمال الذي لا نجبه أو يصاحبه غموض لا نجد ما يكشفه لنا كما في المرحلة التي بين القرنين الثالث والسادس الهجريين^١ ، وقد تبرز لنا اسماء مشيخات أو قبائل أو أشخاص لا نعرف عنها الا النزر

(١) ومع ذلك فقد استطلعنا ان نر بطها ونصل حوادثها ورجالها بما قبل وما بعد .

اليسير من الخير والشر ، وقد يكون حظها في واقع التاريخ اكمل او اقل مما ذكرت به . اننا على أي حال سنراعي دائماً مبدأنا التاريخي الذي أشرنا اليه هنا وفي خطبة الكتاب ، وسنقرب الى الافهام من تاريخ حضرموت ما كان بعيداً عنها ان شاء الله حسب المستطاع .

عاد

من ٢٠٠٠ سنة ق . م الى ١٠٠٠ سنة تقريباً ١

لم يذكر المؤرخون شعباً سكن حضرموت قبل عادٍ فشعب عاد هو أول من سكنها بعد الطوفان وهو شعب سامي يعده المؤرخون من العرب البائدة التي تتكون منها الطبقة الأولى من العرب ، ومما لا شك فيه أن له مدينته وحصونه وقلاعه ومبانيه العظيمة ومزارعه الواسعة وعيون مائه وأنعامه . وأبناء عاد قوم أقوياء البنية عمالقة الأجساد شديدو البطش كما أشار الى ذلك القرآن الكريم ، وكانوا يسكنون الاحقاف ما بين اليمن وعمان وكانوا قبائل متعددة وقد أرسل الله اليهم أخاهم هوداً ليرشدهم الى طريق الهدى ولكنهم أبوا وتمادوا في عبادة الأصنام والظلم والانحلال الخلقي حتى روى بعض المؤرخين انهم أول من اتخذ النساء للاغراء بواسطة الغناء . وأخيراً كان عقابته أمر العصاة والمنحليين منهم - وهم الأكثر - الهلاك . وسلم الذين اتبعوا تعليمات هود ونصائحه وارشاداته وهم عاد الثانية كما يقول بعض المؤرخين بمعنى انهم الطبقة الثانية من الشعب العادي والتي جرت بينها وبين ثمود حروب من ناحية وبينها وبين يعرب بن قحطان حروب اخرى ، ونسبها بعضهم الى قحطان .

وليس لعمر شعب عاد مدة معلومة بالضبط ولكن بعضهم يقدرها بألف سنة وبعضهم بنحو الف سنة ١ ويقال سبعمائة سنة .

(١) هذا بمراعاة بعض الأقوال كما سيأتي وتقريبي كما قلنا .

قبر هود

وقد مات هود بحضرموت فيما يروي كثير من المؤرخين وخاصة من كتب عن حضرموت ، وأصبح وجود القبر متواتراً بمحلّه المعروف ^١ . وكانت تقام سوق سنوية في الجاهلية في شعبان ^٢ في المنطقة التي بها قبره بشرق حضرموت قرب بير برهوت الشهيرة ، وهي كما وصفها بعض المستشرقين كهف ^٣ عظيم عميق مظلم ذو تعاريج وتقاطيع يبلغ طوله ١٢٠ قدماً وعرضه اربعمائة وخمسون ٤٥٠ قدماً وعمقه ٦٠٠ قدم .

وفيما بعد الاسلام يتردد الحضارمة الى الموضع الذي اشتهر بوجود قبر نبي الله هود فيه وأصبح متواتراً وجوده به كلما عن لهم ذلك لزيارته . ثم تأسست لهود زيارة عامة في القرن التاسع الهجري في شهر شعبان كل سنة وأصبحت موسماً من المواسم العامة بحضرموت ، وتحدد موضع القبر هناك وبنيت مدينة حواليه في سفح الجبل الذي فيه القبر ولكنها لا تسكن سوى عدة أيام في السنة وهي أيام الزيارة ^٤ أما بقية العام فتبقى بيوتها الكثيرة خاوية

(١) يقول بعض آخر من المؤرخين انه قبر بيت المقدس تبعاً لما اثر ان قبور الأنبياء به ، ولكن هذا التعميم منقوض بوجود قبور أنبياء في اماكن اخرى كثيرة . ان هنالك حججاً قوية ، ومنها التواتر والاستصحاب تعضد وجوده بحضرموت ويعد أثره من آثارها .

(٢) انظر صفة جزيرة العرب للهمداني

(٣) وأول من دخلها من كتاب الحضارم فيما بلغنا السيد العلامة محمد بن عقيل بن يحيى ولم نظفر حال تدوين هذا لما كتبه عنها في مجلة المقتطف ولكن لخصه صاحب كتاب تاريخ الشعراء الحضرميين في حاشيته عليه ص ٤٨ ج ١ بقوله : بير برهوت مغارة واسعة في ثلث الجبل بها صخور غير ثابتة وفيها منافذ ادى بعضها الى متسع به حفر كثيرة ممتلئة رماد كبريت بمسافة خمسين خطوة الى جهة الغرب في تعاريج وزحف على البطن في بعضها سطعت رائحة الكبريت ولأسباب خاصة لم يتقدم سوى ١٥٠ خطوة على الرماد الناعم الكبريتي ولم تنزل المغارة متسعة أمامه الى حيث لا يعلم على انه شاهد سقف المغارة المسود يترشح بالمومياء الجبلية السوداء .

(٤) تعقد في يومين من أيام الزيارة مجالس عامة حوالي القبر في القبة وضاحتها وتحتها في المحل المسمى بالناقاة تشتمل على دعوات وتسليمات ومواعظ وقراءة قرآن في الصباح وفي الليل كما =

خالية فهي تشبه مدينة منى بالحجاز من هذه الناحية .
ومما تمتاز به هذه الزيارة عدم الاختلاط الناشئ بين الجنسين مما يقع
في كثير من الزيارات العامة بحضور موت وغيرها من البلاد الاسلامية بل تتألف
زيارة هود من جموع الرجال الغفيرة المعتنقة مذهب الامام الشافعي .

الحالة الاجتماعية في عهد عاد

غاية ما يمكن أن يقال الآن عن حالة عاد الاجتماعية بمقتضى المعلومات
القليلة التي وصلتنا عنهم انها حالة قوة ومنعة ونعمة وزراعة وغنى وبذخ
وعناية بالفن المعماري اذذاك، ويوتهم بيوت حجرية ولهم أصنام يعبدونها .
بل زاد بعض المؤرخين ان عاداً أمة ذات مدنية عظيمة امتد ملكها الى بابل
وأشور والى مصر والهند ومبدأ ذلك قبل الميلاد بأكثر من اثنين وعشرين قرناً^١ .
ولعلمهم بالقياس الى حضارات الرومان واليونان اقل مستوى في كثير من
أمورهم فلم تعرف لهم كتب ولا تواريخ ولا طب ولا غير ذلك من مقومات
المدنية الرومانية واليونانية .

وحين طغت عاد وانحلت أخلاقها ولم تستمع الى نصيحة نبي الله هود
وأتباعه كان عاقبة أمرهم الهلاك ، وأما ما يذكر عن شداد بن عاد وكثرة
نسائه اللاتي تجاوزن الألف وبنيه الذين قدروا بالآلاف وعن أوصاف مدينة
إرم ذات العماد التي يقال إنه بناها^٢ وعن طول قامات العاديين مما أطال فيه

تعقد بعد الظهر وبعد الشروق هذه المجالس . ويتصدرها جميعاً شيوخ بعض الاسر العلوية وتقام
افراح ومهرجانات شعبية لأهل كل مدينة او قرية عند دخولهم شعب هود وعند عودتهم الى
أوطانهم وفي أثناء الطريق ويلاحظ أن هذه الأفراح قلت في هذا العصر الحديث .

(١) انظر دائرة المعارف للبيستاني .

(٢) وبفرض وجودها فقد اختلفوا في مكانها و الاشهر انها في اليمن، وقد بنى شداد تصورها من ذهب
وفضة وحيطانها مفصصة بالحجارة الكريمة من درواقيوت وغيرهما وترابها من المسك واجرى
فيها الأنهار وخط فيها الطرق و غرس فيها أشجاراً من الذهب وأثمارها من اليواقيت والجواهر
وزينها بأحسن أنواع الزينة وجعلها اجمل وأفخم شيء وجد في الدنيا تشبيهاً لها بالجنة الى آخر
ما قالوه عنها مما يصعب معه التصديق ومن انكره أبين خلدون .

بعض المفسرين والمؤرخين فليس له الى الآن أصل يمكن ان يعتمد عليه ، وربما يكشف لنا المستقبل بواسطة تقدم علم الحفريات أو محققي المؤرخين الاختصاصيين عن معلومات واسعة يعتمد عليها في تاريخ عاد .

القحطانيون

ولماذا سميت بلاد حضرموت حضرموت ؟

القحطانيون مدتهم ما بين ١٠ و ١٨ قرناً تقريباً ق . م وهم أول من ملك حضرموت بعد عاد ، ويتنسب القحطانيون الى قحطان الذي تنتسب اليه العرب القحطانية ، ويذكر المؤرخون نسبة قحطان فيقولون : هو قحطان ابن عابر بن شالخ بن ارفحششد بن سام بن نوح ، واحد أبنائه يسمى حضرموت ولهذا سميت البلاد باسمه. وضبطها بسكون الضاد وفتح الميم ويجوز ضمها، او باسم حضرموت الأدنى ابن حمير الأصغر بن سبأ الأصغر الى آخر النسب المنتهي الى قحطان ، او باسم القبيلة المنتسبة اليه لزوجله هو ونسله فيها كما تسمى كثير من الأقاليم والبلاد باسم النازل بها من فرد أو قبيلة أو شعب . وقد ذكرت في التوراة بما يتضمن هذا الاسم وهو هادراموت . وذكروا في سبب تسمية حضرموت الأول بحضرموت انه اذا حضر موقعة كثر فيها الموت أي القتل في أعدائه لشجاعته وعد غير هذا من اسباب تسميتها^١ .

ولقحطان بنون آخرون منهم يعرب بن قحطان الشهير في التاريخ والذي ولى اخاه حضرموت على حضرموت المسماة باسمه او باسم من هو ادنى منه وهو حضرموت المعز والى قبيلة سبأ .

وللقحطانيين ملوك قدماء مشهورون في التاريخ^٢ وأسماءهم عربية

(١) انظر الشامل في تاريخ حضرموت للحداد ويقول فيه انه يجوز ان يكون اسماً مهرياً كديعوت وسيحوت ومن أسمائها القديمة عبدل بز زيادة اللام في عبد .

(٢) انظر تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي .

الا انها محرفة قليلاً في لهجتها لأن اول من نطق بالعربية هو يعرب بن قحطان الأخ الأكبر لحضرموت .

ومن المعلوم ان الحضرميين كاخوانهم اليمانيين والعمانيين كانوا منذ ذاك يتكلمون بالعربية على العموم وفي الحملة .

وللعربية لهجات مختلفة باختلاف قبائلها وأماكنها سميت فيما بعد بلغات كما هو الحال اليوم في اللغة العربية الدارجة ، وقد هذبت فيما بعد بفضل الأسواق العامة التي كانت تقام في بلاد العرب ، وبالاختلاط بين اليمانيين اي القحطانيين والعدنانيين ، ولفضل الاسلام والقرآن الكريم فيما بعد .

واستمر ملك القحطانيين بحضرموت قرناً عديدة تبتي قبل ميلاد عيسى بأكثر من الف سنة . وبعضهم يذكر أن دولتهم قبل الميلاد بثمانية عشر قرناً ، كما أن دولة عاد قبل الميلاد بأكثر من اثنين وعشرين قرناً ١ . وأغلبهم يتفقون على أن دولة القحطانيين تلي دولة عاد ويختلفون في عدد ملوك القحطانيين وترتيبهم وأمرهم ومدة بقاء كل منهم على العرش . وسجل بعض المستشرقين قائمة بأسمائهم ، وعد ما يقرب من عشرين ملكاً منهم المستقل بتاج حضرموت وحدها أو مع غيرها من جاراتها ، ومنهم من هو تحت التاج المعيني او السبأي ، لأن هذه الدول الثلاث تبادلت ملك حضرموت حتى انقرضت . وآخرها الدولة السبأية وتلتها الدولة الحميرية ثم الدولة الكندية التي ظلت الى ما بعد ظهور الإسلام . وسجل المؤرخون العرب أيضاً عدداً من ملوكهم ٢ وبين التسجيلين اختلاف ظاهر كما أن كلاً من الفريقين مختلف أيضاً فيما بينه ، ومن حكام حضرموت القدماء - كحكام اليمن - نوع يقال لهم المكربون أي المقربون الى الأصنام .

(١) يمكن الجمع بينهم بأن البعض يقصد الظهور وبعضهم يقصد النشوء في دولة دون اخرى فان تعارضتا فالأماكن مختلفة او مع ضعف واحدة وقوة اخرى وهكذا يقال في مثل هذا .

(٢) انظر كلام البستاني في دائرة المعارف .

ولعل من مبالغة بعض المؤرخين العرب ما ذكره عنهم من الفتوحات العظيمة التي دوخت بعض الأمم الشرقية والغربية كما سيأتي .

حضر موت في عهود الاقيال والمعينيين والسبأيين

كانت حضر موت كبقية مخاليف اليمن حين نزلتها القبائل العربية القحطانية مقسمة بينهم وأصبح كل فريق منهم يقيم في منطقة تحت سلطته تسمى اذ ذاك مخالفاً وبلغت عدة المخاليف في اليمن وحضر موت أكثر من ثمانين مخالفاً ويسمى رئيس المخلاف قيلا ويسمى أحيانا أسيراً أو عبهلا بالباء الموحدة^١ . قال نشوان الحميري^٢ في حاشيته :

وعباهل من حضر موت من بني اجماد والاسباء وآل صباح

المخالفد

ويقسم المخلاف الواحد الى عدة مقاطعات تسمى الواحدة محفداً كما يقسم اللواء اليوم مثلاً الى عدة مناطق أو مديريات، ويشتمل هذا المخفد على قصور وأبنية ومزارع وغيرها من الأراضي التابعة له ، وعلى المخفد شيخ يقال له ذو بمعنى صاحب ويجمع على اذواء ، كما يقال ذوريدان وذورعين . وكثيراً ما نسمع هذا اللقب في ملوك اليمن وحضر موت كما نسمع اليوم بدلاً من ذو بكلمة مولى مضافة الى الأرض أو البلاد التي تضاف الى صاحبها كما يقال مولى مطر ومولى عيديد . واستمر نظام الأذواء عبر التاريخ حتى بدأ يتلاشى أيام الدولة الأموية

(١) سياقي تفسيره ايضاً في ترجمة وائل بن حجر .

(٢) ستأتي تعليقه عنه في موضوع العهد الراشدي .

الى ان اضمحل . ومن اشتهر من ملوك اليمن او أذوائه الملوك الثامنة وقد
نظمهم نشوان في حائته بقوله :

ابن الثامنة الملوك بملكهم ذلوا لصرف الدهر بعد جماح
ذو ثعلبان وذو خليل ثم ذو شجر وذو جدن وذو صرواح
او ذو مغار بعد او ذو جرفز ولقد محاً ذا عثكلان صاحي

قال شارحها^١ لا يصح الملك للملك من ملوك حمير حتى يقيمه هؤلاء فان
اجتمعوا على عزله عزلوه . ومعنى هذا ان اليمن قد عرفت نظام الأباطرة^٢
في ذلك العهد وفيهم أنشد علقمة زوجن :

كانت لحمير أملاك ثمانية كانوا ملوكاً وكانوا خير اقوال^٣

أما نشوء هذه التجزئة فهو بدافع العصبية القبلية في السكان ، وللعورة .
وكثرة الجبال الشاهقة والشعاب الواسعة في البلاد ولكنهم رغم ذلك تكاثروا
وتحضروا وانتشروا . وكل من هذه الدول والامارات قد تتسع وقد
تنكمش وقد تندمج الامارة في غيرها وقد تتعاصر عدة دول كل في ناحية
فتتغلب القوية على الضعيفة .

ولهذا نرى في سلسلة ملوك حضرموت من هو نفسه ملك معين . وفي دور
الدولة السبئية نرى أيضاً من ملوك سبأ من هم ملوك حضرموت أحياناً من
القحطانيين الذين أشرنا اليهم ، وكذلك بالنسبة للملوك حمير كما سيأتي ، ومعنى
هذا ان حضرموت في تلك العهود قد تستقل بنفسها وقد تندمج أحياناً في
أقوى هذه الدول كما أشرنا الى ذلك . ومرجع جميع هذه الأسر المالكة الى
قحطان الأول كما هو معلوم .

(١) هو عبيد بن شرنبة .

(٢) جمع امباطور .

(٣) كذا في أصل شرح حائية نشوان ولعلها اقبال لانها المستعملة أكثر ومفردا قيل .

الدولة المعينية من سنة ١٥٠٠ الى سنة ٨٥٠ ق.م تقريباً

بهذه الصورة في بادىء الأمر كانت اليمن بما فيها حضرموت مجزأة بين أقبالها وأذوائها وكل منهم مستقل بملكه الى أن ظهر بينهم قبيل طموح قوي تغلب على زملائه وجيرانه ، وألف من مخاليفهم الكثيرة أول دولة يمنية كبرى هي الدولة المعينية^١ نسبة الى عاصمة معين بالجوف^٢ . وكان تأسيسها في حدود القرن الخامس عشر قبل الميلاد^٣ ، وأكثر ما اشتهرت به التجارة وقد امتدت سلطتها الى خارج اليمن في الحجاز وما حواليه .

الدولة السبأية من سنة ٨٥٠ الى سنة ١١٥ ق.م تقريباً

ظهرت هذه الدولة في سبأ وعاصمتها مأرب ، وذلك في القرن التاسع قبل الميلاد ، وتغلبت على الدولة المعينية . وهي دولة شهيرة في التاريخ ذات مدنية وحضارة ، واشتهرت ببناء السدود وانهاش التجارة داخل البلاد وخارجها .

وهي التي بنت سد مأرب الشهير ، ولما ضعفت هذه الدولة أهملت السد فانهدم كعادة كل دولة تهمل واجباتها ، وتقصّر في حقوق شعبها وبلادها . ونتج عن ذلك خراب المزارع وزيادة هجرة السكان وتفرقهم ايدي سبأ كما ضرب بهم المثل العربي في التشتت والتفرقة فيقال : تفرقوا ايدي سبأ . وقد أشار القرآن الكريم الى سبأ في سورة سبأ وما جرى لملكنتها مع سليمان الى آخر ما هناك مما يخرج عن الموضوع وانما ذكرنا هاتين الدولتين بمناسبة جلوس كثيرين من ملوكهما على عرش حضرموت في أيام قوتها .

(١) انظر تاريخ الأمة العربية .

(٢) منطقة بين نجران وحضرموت .

(٣) ينسبهم بعض المؤرخين الى عمالقة العراق ويحملهم بهذا أقدم عهداً مما ذكرنا، انظر كتاب العرب قبل الاسلام لزيدان .

وقد عاشت الدولة السبائية الى عام ١١٥ قبل الميلاد حين قامت مقامها
الدولة الحميرية كما سيأتي بعد .

بعض المشهورين من ملوك القحطانيين وآثارهم

من أشهر ملوكهم صديق ايل و « ليل » بمعنى الله ولعله مأخوذ من العبرية
كعبرائيل ، وبعض ملوك حضرموت تحتم أسماؤهم بهذه الكلمة كشراح
ايل ، وحي ايل ، ويدع ايل الذي بنى مدينة شبوة وحصنها وجعلها من
أزهر واعمر المدن في ذلك العهد^١ .

وصديق ايل ذكره أكثر الكتاب العصريين عن حضرموت وقد حكم
قبل الألف السابقة للميلاد وهو ملك معين أيضاً ، وكذلك اليفع ديام تولاهما
ولا يعرف هل هو معيني أم حضرمي .
ومهما يكن فهو عربي وهذا هو المهم .

ومنهم شهرعلان ابن صديق إيل وابنا أخيه معدي كرب بن اليفع تُبِعَ
وملك معين ابن صديق إيل .

بعد معدي كرب هذا اندمجت حضرموت اندماجاً كلياً في مملكة معين
مدة من الزمن يقدرها بعضهم بثلاثة قرون تقريباً تنتهي بعام ٦٥٠ ق . م .
وهذه الأسرة صاحبة عرش البلدين في ذلك العهد ولها آثار في كليهما .
وهناك ملك حضرمي سجله بعضهم أيضاً وجعله الملك الأول بعد هذه
الفترة واسمه السمع ذبيان بن ملك كرب وملك آخر اسمه يدع ال بين بن
سمه يفع . وبعده اندمجت مملكة حضرموت في إحدى جاراتها وبالتالي
أصبحت جزءاً من مملكة سبأ بما يزيد على قرن من السنين ثم استقلت بها
أسرة حضرمية مالكة^٢ . وهناك من يقول غير ذلك ويهمننا من هذا أن نعرف

(١) وذكر مرة أخرى كملك لسبأ ولعله تولاهما .

(٢) انظر تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي .

أن بعض ملوك حضرموت هم ملوك معين ومرة اخرى هم ملوك سبأ . ولها ملوك آخرون مختصون بها . والى الآن لم يتم البحث العلمي على تاريخ جاهز منظم لحضرموت في تلك العهود الغابرة رغم محاولة بعض المستشرقين شيئاً من ذلك .

ومن أشار اليه التاريخ من ملوك حضرموت يدع اب غيلان حليف ملك همدان والعذيلط الأول ابن عم ذخر ، والعذيلط الثاني بن الهان بن العذيلط الأول الأول وهو حفيد الأول .

وقد جرت بين العذيلط الأول وبين علفها نهقان ملك الهمدانيين^١ حرب عظيمة حشد فيها الملك الحضرمي جيشاً مؤلفاً من الجند المرتزقة والقبائل ضد خصومه ، والتقوا بذات غراب^٢ ولكن النصر كان حليف الهمدانيين . وقد كان هذا الملك الهمداني نفسه عقد حلفاً مع ملك حضرموت السابق يدع اب غيلان سلف العذيلط ضد جيرانه من الحميريين وغيرهم فانحصر عليهم بفضل هذا الحلف ولكنه بعد ذلك حارب الحضرميين كما ذكرنا فما عدا ما بدا .

حالة الجنوب السياسية في ذلك العهد

وكثيراً ما كانت الحالة في ذلك العهد الغابر والى أن جاء الاسلام بين ملوك وقبائل الجنوب العربي من حضرميين وقتبانيين وحميريين وريدانيين وسبائيين انهم لا ينفكون عن الحروب والمناوشات والغارات والاحلاف فيما بين بعضهم ضد البعض الآخر ولا تكاد تستقر الأحوال فيما بين حدودهم استقراراً كاملاً . وقد تندمج احدى هذه الممالك في الأخرى الى حين ثم

(١) سمي مرة اخرى كملك السبأ أيضاً ولعله تولاها .

(٢) موضع معروف الى جانب ساحلي قريب من عدن وقد صوره في كتاب العرب قبل الاسلام

(٣) هذا مثل يضرب لعدم الوفاء ولئن يتكرر للجميل والمعروف . قال الشاعر :

منحوه بالوادي السلام واعرضوا
بالجزع عنه فما عدا ما بدا

تنهض مرة أخرى - وتستعيد استقلالها كما هو الشأن في أكثر أطوار تاريخ الجنوب العربي حيث لم تنزل تلعب به عوامل التحزبة والتفرقة والنعرات التي ليست في صالحه والتي أوقفت من تقدمه وقوته فالاتحاد قوة والتفرقة ضعف ، وبالتالي وفي هذا العصر أصبحت في صالح الأجنبي الذي يغذيها طبقاً لهذا المثل : فرق تسد ، ولا يرضى باتحاد ليست له فيه ناقة ولا جمل .

الحالة الاجتماعية أيام القحطانيين

بلغت حضرموت مبلغاً كبيراً - أيام القحطانيين الذين أشرنا إليهم - في التقدم العمراني والعسكري والاقتصادي، وكانت تصدر العطور والبخور ولهذا يسميها بعض المؤرخين أرض اللبان^١. وكانت قوافلها تحمل اللبان وغيره من أنواع الطيب والبهارات الى بلاد الشمال حيث لها سوق رابحة هناك وتعود محملة بالذهب والفضة والأطعمة الفاخرة .

وترد اليها أصناف البضائع من الهند والصين في طريقها الى البلاد العربية الأخرى واليونان وبعض شواطئ البحر الأبيض المتوسط فهي عامرة بالتجارة القوية وسوقها مزدهر يصل المناطق الشرقية بالجزيرة المجاورة لها .

كيف تسير قوافلها برّاً وبحراً

كان في البلاد العربية طريقتان للتجارة بين الشام والمحيط الهندي وكلاهما يبدأ من حضرموت : أحدهما يتجه شمالاً الى البحرين على الخليج الفارسي ثم الى صور ، والثاني يتجه الى الجنوب العربي محاذياً البحر الأحمر متجنباً

(١) انظر خريطة الطرق الآتية فيما بعد واللبان يحرق في معابد الأصنام بها وبغيرها حيث يشتري بكثرة .

صحراء نجد وهجيرها وهضاب الشاطيء ووعورتها وعلى هذا الطريق مكة ١ .
ومن أشهر صناعاتهم تركيب العطورات وصياغة الحلي وصناعة الأدوات
المنزلية كما أنهم قد برزوا في النسيج وحياكة الأقمشة والملابس والفرش .
والى جانب ذلك فهم مهتمون بالزراعة وبناء السدود وغراسة الأشجار
المثمرة ومنها أشجار اللبان حيث ينبت في الجنوب العربي بكثرة فيربحون
منه .

ويستعملون الكتابة بالحرف المسند الشهير الذي يقال انه يتألف من ٢٩
حرفاً تكتب غالباً من اليمين الى الشمال، ولهم نقود خاصة يستعملونها مكتوب
على بعضها أسماء بعض ملوكهم .

أما ديانتهم فهي عبادة الأصنام ، وما اشتهر منها أو لعله أشهرها الصنم
(سين) معبودهم اذذاك . وقد وضعوه في معبد يقال معبد (سين ذومذاب)
تميزاً له من غيره من الأصنام والتماثيل الأخرى ٢ . ومذاب اسم مدينة عظيمة
خربت وعلى أنقاضها أو قريب منها تقع مدينة حريضة المعروفة اليوم، ومع
ذلك ففيهم ومن ملوكهم وحكامهم من يؤمن بخالق السموات والأرض ٣ .
ومن أهم مدنهم العاصمة الأولى ميفعة ولعل في موضعها أو قريباً ، منه
ميفعة عاصمة السلطنة الواحدية اليوم . وكانت اذذاك وكما تدل الآثار ذات
أسوار عالية وقصور ومعابد وهياكل ولا تزال أطلال نقب الهجر ما بين
ميفعة وعزان بكتاباتها المسندية تنطق بذلك .

وهناك العاصمة الأخيرة شبوة وتدل الآثار على انها أعظم من العاصمة

(١) انظر كتاب العرب ج ١ لعمر ابي النصر .

(٢) مما يلاحظ ان بعض الصحف المحلية نشرت عن قول العامة (ياسين عليك) وقولها (يا حول
يا حول) ان القصد بهما صنمان و الواقع انها تقصد سورة يس وتقصد تحسن الحول عند المطر
بأن يطر ويخصب الزرع فيه .

(٣) تاريخ العرب قبل الاسلام .

السابقة والعمران فيها أوسع ولها أسوار عالية وقصور شاهقة . ومقاطعتها تشمل على سدود ومزارع ، وفيها الحصن الذي يدعى حصن أنود وله شأن في تاريخهم حيث تقام فيه مجتمعاتهم وحفلاتهم ، وحيث الحياة في تلك الناحية تدب اذ ذاك اكثر من النواحي الأخرى . وللحضرمين في ذلك العهد أسر معروفة بينهم بالوجاهة والنبل من أشهرها رشم ومن عشائرتهم عشيرة شكيم ولكننا لا ندري كيف تستعمل تلك الاسر والعشائر وجاقتها ونفوذها كما لا ندري لبعده العهد، الى أي حد يبلغ عدل وديمقراطية ملوكها وأمرائها ومكربيهها .

وفي الناحية العسكرية تدل الآثار على أن لهم خبرة عظيمة بالقيادة والفروسية وبناء الحصون والاستحكامات ، وصنع الأسلحة من سيوف ودروع وغيرها . ومن المعلوم أن مدينتهم هذه تستدعي وجود لوازمها من تشريعات ومواقيت واحتفالات وغيرها ، وإذا نظرنا الى جيرانهم القتبانيين^١ — والسبأيين وما ذكر عنهم من المدنية والنظم فالأقرب ان الحضرميين لا يقلون عنهم في هذه الناحية . ومن المحتمل أن يتوسع علم الحفريات ويعثر على كتابات وآثار تدل على تفصيلات اكثر مما عرف حتى الآن عن مدينة القحطانيين جيرانهم من ممالك الجنوب العربي في تلك العهود وما ذلك بعيد .

ويحدثنا بعض المؤرخين أن اليمن كلها بما فيها حضرموت كانت قبل خراب سد مأرب ممتلئة بالسكان متصلة العمران ومواصلاتهم سريعة لانتظام قراهم وتعاونهم على الاصلاح المدني ، وقد ولد لبعض ملوك سبأ ولد فوصلت التهاني به الى حضرموت من سبأ في ليلة واحدة بواسطة النيران التي تشتعل في القرى فتترامى من واحدة لأخرى وتستفيد منها مثل هذا الخبر والمسافة اذ ذاك ما بين سبأ وحضرموت ثمانية أيام^٢ .

(١) القتبانيون منسوبون الى قتبان وهي دولة معروفة في الجنوب العربي .

(٢) انظر النور السافر .

حضر موت في عهد الحميريين

نشأت دولتهم باليمن من سنة ١٦٥ ق . م الى سنة ٥٢٥ م تقريباً .
والحميريون بطن من سبأ ويسحب بعض المؤرخين اسم سبأ عليهم ايضاً .
ولعل ذلك لأنهم من سلالاتهم وخلفائهم ويلقب ملكهم بتبع^١ كما يلقب
ملك الفرس بكسرى وملك الروم قيصر . وقد قامت الدولة الحميرية باليمن
على أنقاض الدولة السبئية في أوائل القرن الثاني قبل الميلاد حوالي سنة ١٦٥ ق.م .
وعاصمتها ظفار اليمن الشهيرة لاطفار مهرة . وبعض الكتب تسمي وتضع
كلاً من الدولتين باسم وموضع الأخرى حيث تخط بين أسماء ملوكهما .
وعاشت الدولة الحميرية ما بين مد وجزر باليمن الى أواخر القرن الرابع
اذ أخضعها الأحباش واستعمروها ثم خرجت من سلطتهم فترة عادوا بعدها
فاستولوا سنة ٥٢٥ م عليها أيام الملك الحميري يوسف ذي نواس الذي ذكرته
كتب السيرة النبوية وانه اعتنق الديانة اليهودية وأجبر الناس عليها واضطهد
النصارى ومنهم نصارى نجران وحرقتهم في الأخاديد^٢ مما أثار البيزنطيين
والأحباش الذين أشار عليهم الأولون بالاستيلاء على اليمن ومحاربة الملك
ذي نواس ورموا بذلك عصمفورين بحجر وهما : الاستيلاء على اليمن لتأمين
حركتهم التجارية، ولصد هجوم الفرس عليها والانتقام للديانة المسيحية
ونشرها ، ولما تغلبوا على جيشه ركب جواده وألقى بنفسه في البحر قائلاً :
« الموت في البحر أحسن من الأسر » . ثم طرد الأحباش من اليمن البطل العربي
الشهير سيف بن ذي يزن الحميري بمساعدة الدولة الفارسية التي استمر نفوذها
في اليمن وحضر موت والعراق والبحرين الى ظهور الاسلام^٣ .

- (١) هكذا يطلقه أرباب التواريخ العامة اما بعض التواريخ المختصة بالجنوب فتقول لا يلقب ملك
حمير بتبع الا اذا اتسعت رقعة مملكته فشملت حضر موت .
- (٢) أنظر ما أشار اليه القرآن في سورة البروج وما قاله المفسرون حول ذلك .
- (٣) انظر تاريخ الأمة العربية للمقدادي .

فهل استولى كل من هذه الدول الثلاث في هذه العهود الثلاثة على حضرموت
هذا ما سنتكلم عنه فيما يلي : -

حضرموت في هذه العهود الثلاثة

أما الأحباش فقد حصل منهم هجوم على الشواطئ الجنوبية الشرقية
لحضرموت (مهرة) بعد سقوط الدولة السبئية ووجود الدولة الحميرية
في القرن الأول قبل الميلاد وهدد الداخل الذي لم تصلنا معلومات عن امتداده
إليه ولم يدم طويلاً. ومرة أخرى لم تخل حضرموت من نفوذهم لهجومهم
العام على اليمن كلها واستيلائهم عليها في القرن الرابع الميلادي ولا يبعد أن
يكونوا قد سيطروا عليها فعلاً بدليل وجودهم في سبأ ونجران وأبين^١.

وذكر بعض مؤرخي العرب السابقين ان الحبش تغلبوا على اليمن في
عهد الملك الحضرمي ساجن بن نمر بن يشرح بن جذيمة بن منعم بن ذي الملك
ولم يحدد بالضبط^٢.

وأما الدولة الحميرية فاستيلاؤها عليها لم يكن الا في أواخر القرن الثالث
الميلادي، وفيما قبل ذلك يظهر أنه كان استقلالها الكامل أو نوع منه بملك أو
حاكم أو مكرب كما يستقل غيرها من المقاطعات اليمنية أحياناً اذ ذلك
ويبقى بينهما ما تمليه المصالح من تعاون وحسن جوار في وقت السلم. وقد
تشبكت فيما بينهما، وتتصادم بحسب الظروف، وهكذا كان الحال فيما
بين الحميريين والحضرميين قبل أن تنضم حضرموت الى حكم الحميريين
نهائياً كما قدمنا. وقال بعض المستشرقين ان الوضع بحضرموت فيما بين سنة
١٢٥ م وسنة ٢٩٠ م غامض.

(١) انظر سيرة ابن هشام وتاريخ العرب قبل الاسلام .

(٢) انظر دائرة معارف البستاني .

بعض الذين اشتهروا من ملوك حمير

نظراً لأنه لا يمكن ايجاد قائمة مرتبة ومضبوطة يُطمأن اليها الملوك واسر الحميريين فقد اكتفينا بذكر بعض الشهيرين منهم وبوصفهم ملوك حضرموت أيضاً .

فأشهر ملك حميري استولى على حضرموت فيما استولى عليه هو شمر يرعش حتى انه لقب فيما بعد بملك سبأ وذي ريدان وحضرموت^١ . ومن أشهرهم شرحبيل يعفر بن أبي كرب اسعد ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمتد أي اليمن واعرابها في الجبال والسواحل ، وهو باني السد في منتصف القرن الخامس الميلادي .

هل امتد ملك الحميريين الى اجزاء من الصين

شرقاً والى القسطنطينية غرباً ؟

هكذا يسجل بعض من كتب في هذا العصر عن التاريخ الحضرمي السياسي نقلاً عن بعض الأقاويص القديمة التي تقول ان أسعد ابي كرب قد استولى على هذه الرقعة الممتدة من أثناء الصين الى القسطنطينية بما فيها فارس وأذربيجان وغيرها من بلاد الترك والروم ، وان هناك جالية حميرية بقيت بالصين واندجت في أهلها ، كما أن ملكاً آخر اسمه - شمر ابوكرب - قد استولى على شمال الجزيرة العربية والعراق وفارس واحتل مدينة الصغد وراء نهر جيحون وهناك بنى مدينة سمرقند^٢ ، ونحن وإن كنا نعز بأجداد آبائنا العرب

(١) العرب قبل الاسلام .

(٢) من قلداهم البكري في تاريخ حضرموت السياسي

وفتوحاتهم الا أن التحقيق العلمي يوجب علينا أن لا نجزم الا بكل ما نظمئن الى صحته وبعض المؤرخين نفى هذه الفتوحات^١ بدليل علمي.

الفرس

وأما الفرس فقد وقعت حضرموت تحت نفوذهم وسيطرتهم بعد أن طرد الأبحاش عن اليمن سيف ذو يزن سنة ٥٧٣ ميلادية تقريباً . وكان نزولهم بساحل حضرموت^٢ ولعل راس المرزبان قرب المكلا سمي باسم أحد قادتهم . وبلغ جباة فارس في الجنوب العربي أو مع شبه الجزيرة العربية بضعة عشر جابياً ، وكانوا يظهرون في الأسواق الحولية^٣ .

صورة عامة عن حالة حضرموت الاجتماعية في عهد الحميريين

التف جميع اليمنيين ومنهم الحضارمة حول الدولة الحميرية في شبابها فازدهرت البلاد بالصناعة والعمارة والتجارة والزراعة ، وتدل على ذلك الآثار التي لا تزال موجودة الى اليوم ، وكان النسيج الحضرمي مشهوراً ويضرب به المثل في الجودة . قال جرير : -

وطوى الطراد بطونها بظهورها طي التجار بحضرموت برودا

والبرد اليماني والسيف اليماني هما أجود ما عرفه العرب في ذلك العهد في نوعه .

(١) انظر تاريخ الأمة العربية للمقدادي

(٢) تاريخ العرب قبل الاسلام

(٣) الشامل وتاريخ العرب قبل الاسلام

وكانوا يقومون بأعمال التجارة في البلاد المجاورة واحتكوا بشعوبها من فرس ورومان وغيرهم وتأثر كل منهم بالآخر، بل ذهب بعض المؤرخين الى أبعد من هذا فقال أنهم قاموا بفتوحات واسعة حتى استولوا على بلاد العجم ووصلوا حدود الصين كما مر . وللحميريين لغتهم الخاصة المنتشرة في اليمن وحضرموت^١ ومهرة فخلفتها اللغة المضرية بفضل اختلاط القبائل العربية مع بعضها خصوصاً كندة .

تقدم الخط المسند في عهدهم

ولهم كتاباتهم بالخط المسند الذي انتشر في عهدهم انتشاراً أكثر وأدخلوا عليه تحسينات تنسب اليهم رغباً عن أنه قديم حتى قيل انه من عهد عاد^٢ . وعلل مؤرخو العرب والاسلام تسميته بالمسند لأن حروفه ترسم بشكل خطوط تستند الى أعمدة ، وقد كان فيهم من يحسنها ويستخرج منها الحوادث ، كالهمداني صاحب الاكليل ولكن مع الأسف ضاع عليهم هذا الفن وأصبح المستشرقون مهتمين به ، وفيهم من نبغ فيه . والمسند يعني في العربية الجنوبية القديمة الكتابة أو الخط^٣ .

وقد فاقوا أسلافهم السبأيين في صنع الحلي والأثاث وضرب النقود الرسمية ، ومواقيتهم بالأهلة والنجوم يرصدون طلوعها وغروبها وسيرها ولهم تقويم حكومي للضرائب وتقويم آخر شمسي مضبوط بينون عليه مواسمهم الزراعية ومواعيد الغرس والزرع والحصاد والجني وغير ذلك من متطلبات الزراعة وضبط الحوادث . وللعرب قبل الاسلام أسماء آخر للأيام وللشهور ، وقد

(١) قد مر عند ذكر جغرافية حضرموت الكلام عن ألفاظ لا تزال تستعمل وتنسب الى تلك اللغة .

(٢) دائرة معارف البستاني .

(٣) انظر تاريخ العرب قبل الاسلام .

سميت بها لمناسبات كما سميت فيما بعد بهذه الأسماء المستعملة اليوم .
لمناسبات أخر^١ .

آثارهم القديمة

ولهم بنايات موجودة في اليمن وحضرموت على بعضها كتابات حميرية
بالخط المسند ومن تلك قصر غمدان الشهير بصنعاء .

ومن أطلال بناياتهم الأطلال الموجودة اليوم بقرية ام عادية^٢ ببلاد
العواذل في الظاهر قرب مكيراس .

ومنها حصن العر ، بعين وراء مهملتين ، في شرق حضرموت قرب قرية
السوم التي تبتعد عن شعب هود بنحو مرحلة .

ومنها حصن^٣ الرناد بتريم الذي بني على أنقاضه قصر سلطاني وفيه
اليوم ادارة نائب لواء تريم للحكومة الحالية . وفي بعض سفوح دوعن ايضاً
توجد بنايات عليها كتابات بالمسند .

ومنذ خمس وثلاثين سنة عثر على مقبرة في شعاب الهادي في الجانب
الشمالي من تريم ، وآثار حميرية قديمة منها مباخر رخامية قديمة . كما عثر
في قرية السويري على آثار مباني ولبن منوع الأشكال من الرخام ، وفي
قرية الريضة اكتشفت مقبرة نبشها السيل وبها بعض الأموات ومنهم من

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام وصبح الأعشى وغيره من كتب المحاضرات ومروج الذهب
للمسعودي وبلوغ الأرب .

(٢) ام عادية بمعنى العادية بابدال اللام ميماً بلغة حمير ومعناها القديمة نسبة الى عاد والعرب تسمى
ما هو قديم عادياً وليست من آثار عاد كما شاهدها بنفسه .

(٣) ويقال انهم عثروا فيه على رأس حيوان من الرخام الأبيض الجميل ويوجد عليه بعض الكتابات
المستديية .

وجد كاملاً بوفرتة وجسده وأثوابه كالهيكال الصلب .

وهذا نوره كنموذج للآثار التي لا تزال ماثلة ببلادنا وفيها ما هو أقدم وأدق فهناك ديار عاد قرب قرية العرسمة بوادي ليسر التي يقال أنها من أطلال عاد وحفائر ريبون أمام قرية المشهد بالجبل الغربي . وأحجارها مليئة بالخط المسند ووادي فرعون قرب وادي عقرون بسيان وغير ذلك مما هو كثير . وأكثر مظاهرها تريم والرودود ودوعن وشبوة وثمود .

فبلادنا غنية بآثارها العظيمة وآثارها القديمة ولكن مع الأسف لم نجد من الأهالي حكومة وشعباً من يقوم بأحصائها ويعتني بحفظها والبحث عنها والاستفادة منها ، وبذلك سيسهل على المؤرخ بواسطتها اداء مهمته على أحسن وجه ممكن بينما نرى الغزو الأجنبي ابتداءً يتجه نحوها ويريد أن يستفيد منها قبل من هم أحق بها وأهلها ، وقد بلغ التقصي بالأوروبيين إلى أن بعضاً منهم تخصصوا في لغة حمير وألقوا فيها قواميس ، ولعرفتهم بها وبالخط المسند استطاعوا أن يفسروا الكتابات على الآثار العربية القديمة التي تعد بالآلاف وواجبنا أن نعتمد على أنفسنا ونقوم بذلك فنحن أحق بها وأهلها ، حتى لقد جاء إلى جامعة القاهرة مستشرق ايطالي للمحاضرة عنها قبل نصف قرن .

وتطورت الحضارة في عهد الحميريين عن الحضارات الموروثة عن العاديين والسبأيين إلى درجة أعلى إلى ان امتحت هذه الدولة ، ولم يبق الا آثارها ومآثرها .

تلك آثارهم تدل عليهم فانظروا بعدهم إلى الآثار

(١) انظر رحلة ادورد جلاذر ، ورحلة فليبي إلى حضرموت سنة ١٩٣٥ وسنة ١٩٣٦ ، ولبعثة الجامعة المصرية العلمية إلى حضرموت سنة ١٩٣٦ م فوائدهم لنا وللعالَم العربي من آثار

حضرموت .

(٢) لغة حمير .

وسياتي اليوم الذي تستخرج فيه تلك الآثار فتفصح عما كان لأهلها من مدينة غابرة ومجد تليد .

والحاصل ان العرب بحضرموت واليمن كانوا أصحاب دول قوية ومنظمة لها ملوك وقواد وحكام يتمتعون بالسلطة ويجمعون الرجال لتشييد المدن والقصور وانشاء السدود، ولهم أيضاً نقودهم الرسمية المزينة بالكتابة والصور وحكوماتهم في يد ملوكهم، وهم مطلقو السلطة وملكهم وراثي والشعب في تلك العهود طبقات منهم الجنود والصناع والزراع والتجار والكهنة . ومع ذلك ففيهم ومن ملوكهم وزعمائهم موحدون يؤمنون بوجود خالق السموات والأرضين^١، وقد افسحت لهم المجال امكانيات البلاد فقام كل من هذه الطبقات بعمله وأجاد وعاش الشعب في مدينة ورخاء . ولا تزال ثرواتها المعدنية مدفونة فيها تنتظر اليوم السعيد الذي يقوم الأهالي باكتشافها والاستفادة منها فيه .

وما كتبه بعض المعاصرين نقلاً عن بعض القصاص الأجانب عن دول وشعوب الجنوب التي مر ذكرها يشبه الأساطير ، عن ثرواتهم الذهبية الكثيرة وأحجارهم الكريمة الى درجة صنع اسطواناتهم وأبوابهم وبيوتهم بالذهب ، وعن وجود انهار كثيرة بها ، وعن الحصب الهائل والمياه الكثيرة التي لا تتفق وطبيعة حضرموت^٢ - كل هذا لا يستطيع المؤرخ المحقق الا أن يضعه موضع الشك لا أقل ولا أكثر .

-
- (١) تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي ومن الغريب ان يقول البكري في تاريخ حضرموت السياسي : لم يثبت لنا التاريخ ان الحضارم عبدوا الأصنام قبل الاسلام الخ مع أن من البديهييات عند من له الملم بتاريخ حضرموت انهم عبدوها كما جاء هنا وكما سيأتي.
- (٢) لعل منهم الاستاذ صلاح البكري في كتابه تاريخ حضرموت السياسي جزء واحد حين اثبت ما لاحظناه .

اتصال الحضرميين بالأمم الأخرى

لقد كان للحضرميين كغيرهم من أبناء الجنوب العربي وبقية العرب اتصالات وعلاقات تجارية وغيرها بالأمم الأخرى من يونان ورومان وفرنس وصين وهنود وكانت بحضرموت مدن بمنزلة محطات للقوافل ومراكز للتجار ولها موانئ للمراكب القادمة من الهند والصين وقد شحنت بأصناف البضائع المثمثة التي تصدرها تلك البلاد فتفرغ شحنها بحضرموت حيث تحملها القوافل الى سبأ والشام والعراق - كما تحمل أيضاً البخور الذي هو أعظم مصدر لثروة حضرموت . ولعل الشحر (الأسعاء) ^١ هي أشهر مدينة لهذين الغرضين فتستلم وتسلم وهناك مدن أخرى كمحطات للقوافل مثل شبام وشبوة ^٢ .

فالشحر وشبام كان لهما الحظ في عالم التجارة العربية أكبر مما هو الآن بكثير ، بل لا مناسبة بين حالهما اليوم وحالهما اذذاك ولكن من يدري فقد يعيد التاريخ نفسه ^٣ وبعض المؤرخين ينفي اتصال عرب الجنوب بالأمم الغربية في ذلك العهد اتصالاً مباشراً .

(١) كان الشحر يطلق على الساحل الممتد من موقع الشحر الآن الى مهرة اما مدينة الشحر الآن فكانت تسمى بالاسعاء .

(٢) انظر الشامل .

(٣) تجد عن يسارك فيما يلي خريطة مترجمة ومكبرة عن كتاب فريا ستارك باللغة الانكليزية المسمى - الأبواب الجنوبية لبلاد العرب - اثبتناها للتعرف على طرق القوافل التي سلكت قديماً في حضرموت وجاراتها و يلاحظ أن بعضها لم يعد مسلوكة فيما بعد .

الرّوزُ الجاهليّ

مَشِيخَاتُ وَدُوَيْلَاتُ حَضْرَمَوْتِ

وَكَنْدَةَ بِحَضْرَمَوْتِ

من سنة ٥٢٥ م الى سنة ٦٣٠ م تقريباً

تنتهي ١٠ سنة هجرية

او امارات القبيلتين : حضرموت وكنده .

الدور الجاهلي^١

مشيخات ودويلات حضرموت وكندة^٢ بحضرموت

من سنة ٥٢٥م الى سنة ٦٣٠م تقريباً

وتنتهي سنة ١٠ هجرية

— او —

امارات القبيلتين حضرموت وكندة

بعد ضعف الدولة الحميرية واستيلاء الأحباش على اليمن وفي الفترة التي تسبق الاسلام مباشرة كان حكم اقليم حضرموت الذاتي في يد قبيلتي حضرموت وكندة ، وإن كان للفرس نفوذهم في اليمن وحضرموت حتى ان كانت فارس تجبي من حضرموت بعض الضرائب . ولكل من القبيلتين ملوك وأمراء، والواقع أن تسميتهم بملوك انما هو تجوز لأنهم مشائخ عشائر واقطاعيون نعتوا أنفسهم بملوك وكثيراً ما سمعت العرب مشائخها الأقوياء بالملوك ويقال للملك القرية مثلاً ملكها ، وقبيلة كندة يقال لها كندة الملوك ، لولعها بالملك وقد جاء الاسلام وبحضرموت ملوك عديدون من كندة وحضرموت ومنهم الملوك الأربعة ، جمدا ، ومشرحا ، ونحوها ، وبأبضعة وأختهم الملكة العمردة .

(١) سميت الدور الجاهلي على الاصطلاح الذي يسمى فترة ما قبل الاسلام مباشرة جاهلية .

(٢) انظر تاريخ الامة العربية للمقدادي .

وانما سموا ملوكاً لأن كل واحد منهم يملك وادياً بأكمله وهؤلاء ملوك بني عمرو بن معاوية بن كندة والاشعث بن قيس امير بني الحارث بن معاوية من كندة بعد أبيه الملك قيس بن معديكرب، ووائل بن حجر الحضرمي من قبيلة حضرموت الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما وفد عليه بقية أبناء الملوك سيد الاقيال (جمع قيل) أي الملوك وقالوا : انه اجتمع بهين سبعة عشر متوجاً من كندة أي أميراً من هذا النوع والتتويج اما بعمامة ممتازة أو بما يشبه العقال كما تصنع بعض العشائر اليوم ومنها الحموم فانه اذا مات مقدمهم أي رئيسهم ألبسوا من يخلفه عمامة التتويج بدلاً عنه .

منازلهم او محافدهم

وتنتمي كندة الى قحطان ، وقد جاءت في الاصل من عمان ^١ الى حضرموت واستوطنتها ، ووجدت فيها قبيلة حضرموت القحطانية التي لها ذوها وأمراؤها اذذاك كشراحيل بن مرة وسلامة بن حجر وغيرهما ممن كانوا قد تملكوا بعض المدن الحضرمية كثيرهم فاشتبكت معها بحرب سجال وكانت الغلبة في الأكثر لكندة وقد تحدان معاً ضد الغزو الخارجي .

وقسمت اكثر حضرموت الى قطاعات أو مناطق تسمى اذذاك محافداً يختص بالمنطقة بطن أو بطون منها كشبام وجردان ودوعن وشبوة . ومن بطون كندة السكون ويزلون حضرموت الوسطى والسكاسك ويزلون غرب حضرموت، وتجب ومنازلهم في عندل وهدون وقشاقش ودمون الهجرين وريدة الدين وغيرها ^٢. أما قبيلة حضرموت ^٣ فلها بعض القطاعات الساحلية وتشارك مع كندة في بعض القطاعات كقطاع

(١) انظر دائرة معارف البستاني او من البحرين والمشرق انظر العرب قبل الاسلام .

(٢) ومن بطون كندة الصدف بن سهل ويتنسب اليهم الصيبر .

(٣) من قبيلة حضرموت الحموم المعروفون .

الكر^١ وشبوة .

وأما الجعفيون^٢ فمنازلهم جردان . وتوجد قبائل اخرى ببلاد حضرموت غير هاتين القبيلتين من أشهرها قبيلة حمير^٣ ولكن قد مضى عهد ملكها أو نفوذها وكانت الدولة في هذا العهد للقبيلتين المشار اليهما . وهناك في الزاوية الجنوبية الشرقية قبيلة مهرة واسمها كاسم هذا المحل ولها لغة خاصة يظهر انها فرع من فروع اللغة الحميرية القديمة ويكثر اللبان فيها والابل المهرية الشهيرة .

كندة في شمال الجزيرة العربية

بين الحميريين في اليمن والكنديين روابط المصاهرة والحوار وكان الحميريون في أواخر عهدهم يستعينون بالكنديين في أعمالهم . وبسبب هذه الروابط انه لما اتفقت بعض قبائل معد بن عدنان في نجد والحجاز ومنهم بكر بن وائل على أن يولوا عليهم ملكاً من قبيلة أخرى . اذ بلغ التنافس والشحناء فيما بينهم حداً جعلهم لا يطيعون الا رجلاً من غير قبيلتهم، وقصد عقلاؤهم بعض ملوك حمير لهذا الغرض لما اتفقوا ولي

(١) الكر يطلق على المحلات بين المهجرين والقطن تقريباً وتزل الآن في أوساطه قبيلة نهد .

(٢) الجعفيون قبيلة شهيرة من مذحج .

(٣) اما نهد فجاءت بعد واما بنو هلال فالتحقق انهم ليسوا من قبائل حضرموت وان روى بعضهم انهم هاجروا منها الى برقة وطرابلس يقدمهم الفارس الشهير ابوزيد الهلالي الذي تروى الروايات والحكايات عن بطولته ويقال انه لما اعترم على الهجرة من حضرموت لجدتها قال لقومه انتظروا حتى تخصب فمار علينا أن نغادرها وهي جذباء فلما أخصبت ارتحل هو وقومه ومر على مزرعة كبيرة له اي جرب كما يسميه اهل حضرموت وكان مخصباً بالزرع فاخترقه بحصانه فعلق برجل الحصان محجن من قصب الذرة فتوقف الحصان فساقه ابوزيد قائلاً غر غيري يا قهول ثم استمر في هجرته فضر بها مثلاً لمن أراد ان يفره غيره بالتظاهر بغير عادته وكان يسمى ذلك الحرب بذلك الاسم .

عليهم الملك الحميري حجر بن عمرو آكل المرار الكندي ، وانما سمي آكل المرار تشبيهاً له بالجمل الهائج الثائر، الذي أكل مرارا حين اسرت امرأته هنداً في بعض غزواته فجاءها هائجاً ثائراً يقود حملة لانقاذها والأخذ بالثأر ممن أسرها . وقال بعض المؤرخين أن سبب نزوح كندة عن حضرموت وقوع حروب بينها وبين الحميريين^١ ولعله أراد بعض قبائل كندة اذ لا يستقيم كلامه الا بهذا لعدم خلو حضرموت من الكنديين منذ نزولهم بها .

استطاع حجر الأول أن يولف بين القبائل المعدية التي ولي عليها وأن يجمع شتاتها ويسوسها وكان ذلك أثناء القرن الخامس للميلاد . وتوارث الملك بعده عقبه ، ومنهم الحارث بن عمرو جد الشاعر الشهير امرئ القيس ابن حجر بن الحارث ولم تنفصم العلائق بين هؤلاء وبين بني عمهم الكنديين بحضرموت واستمروا في التردد اليها والاقامة بها أحياناً .

قسم الحارث ملكه بين بنيه الأربعة وأحدهم حجر الثاني والد امرئ القيس الذي ولاه على قبيلة بني أسد^٢ بنجد كما ولي الآخرين على قبائل أخرى من العدنانيين بنجد والحجاز وأطراف العراق . ولم يدم ذلك الملك طويلاً بسبب هذه التجزئة التي لا تؤدي الا الى ضعف الأمم والشعوب وبالتالي الى اضمحلالها .

وحجر لم يحسن السياسية في بني أسد وعاملهم بالشدّة ، وبالغ في أخذ الضرائب منهم فقتلوه ، وكثيراً ما تقتل العرب ملوكها المستبدين دفعاً للظلم ، وابعاء من الظلم ، قال عمرو بن كلثوم التغلبي الشهير في معلقته لما قتل الملك عمرو بن هند^٣ :

-
- (١) دائرة معارف البستاني
(٢) وقيل ولي حنظلة على بني أسد . انظر الأغاني ولعل الأصح ان حنظلة انما ولاه أبوه على تغلب كما يفيد الأغاني نفسه .
(٣) هند هذه هي اخت جذيمة الأبرش احد ملوك العرب بالعراق ونسب اليها عمرو لشهرتها وهو عمرو بن علي اللخمي .

إذا ما الملك رام الناس خسفنا ايننا ان نقر الظلم فينا

بلغ الخبر امرىء القيس وهو بدمون قرية قرب المهجرين لادمون التي هي سابقاً احدى ضواحي تريم^١ ولما بلغه الخبر قرر الأخذ بئار أبيه وجد في ذلك ، ولكن لم يساعده الحظ ، وانقرضت الدولة الكندية هناك بموت امرىء القيس في حدود سنة ٥٦٠ ميلادي وسيأتي الكلام عنه بوصفه من أعظم الشخصيات الحضرمية البارزة في ذلك العهد .

أما امارات او مشيخات كندة بحضرموت فقد استمرت حتى جاء الاسلام .

الحياة الاجتماعية في عهد ملوك العشائر قبيل الاسلام

كان قوام معيشتهم بحضرموت في ذلك العهد الزراعة التي عمت الكثير من أراضي حضرموت ، ففيها النخل الكثير وأوديتها مليئة به وبالزروع والكروم والفقوس والبطيخ وأمثالها، وبالأعشاب أيضاً لهم ولبهاثمهم الكثيرة التي هي مصدر ثروتهم ومن أشهرها الأبل المهرية الجيدة . وكانوا يعتمدون في زراعتهم على العيون ، وعلى الآبار بواسطة النواضح^٢ وغيرها وعلى السيول أيضاً في المواسم التي تجود فيها السماء بالأمطار وعندئذ يكون الحصب والنعمة شأن غيرها من البلاد العربية والمشابهة لها وقد تبخل السماء ويحصل الجفاف فيضيق بهم العيش .

انهم يعتمدون على ما ذكرنا وعلى النهيرات الصغيرة التي هي العيون الكبار (المعابين)، ففي حجر يوجد نهر صغير يسحب الصبي بتياره ، وفي شرق حضرموت قرب قبر النبي هود نهر صغير يزداد سيلانه بهطول الأمطار

(١) اخطأ بعض المعاصرين الذين كتبوا في تاريخ حضرموت حيث ظنوا الاخيرة ولم يذكر

الا دمون واحدة بحضرموت

(٢) جمع ناضح وهو البعير الذي يسنى عليه .

ولكن لم يبق اليوم أثر مجراه وماء قليل به^١. ويذكر بعض المؤرخين أن بحضرموت عيوناً كثيرة سدها معن بن زائدة الشيباني وستكلم عن ذلك فيما بعد .

ويوجد بشرق حضرموت أيضاً على بعد نحو ست ساعات من قبر هود آثار السد الذي يقال أن مياه وادي حضرموت كلها سابقاً كانت تتجمع دونه ثم تستعمل في الري، وقد تخرب فيما بعد مما يدل على أنهم ظلوا يعملون سدوداً كأبائهم واخوانهم من السبأين لحبس الماء كما يعملون بركاً كبرى في المقاطعات الجبلية ، وتسمى اليوم الكروف جمع كريف لحزنه فيها والاستفادة منه . ولهم عناية ومهارة في النسيج وحياسة الأقمشة الملونة كالبرود والخبرة وهي أثواب مخططة زاهية تلبسها الطبقة الراقية فيهم ، وقد توارث الحضارمة هذه الصنعة الى أوائل هذا القرن وكانوا قبله ينشئون المعامل للنسيج ويغرسون القطن ويصدرون أنواعاً من الأقمشة الى الخارج ففقدوا هذا المورد اليوم وأصبحوا فيه عالة على الخارج ، كما أنهم في زراعتهم اليوم اعتمدوا على الآلات الحديثة من الخارج ، فضاع كثير من ثرواتهم فيها . ولو بقيت زراعتهم على الآلات الوطنية لكان أوفق لنا اقتصادياً ووطنياً ولامكننا المحافظة على استقلالنا حتى تكون لنا آلات حديثة من صنع بلادنا العربية . ولا يتضح هذا الا بالمقارنة الدقيقة بين الحاليين^٢ ويقومون ببقية الحرف والصناعات الضرورية لمجتمعهم رغماً عن أنهم كلهم حملة سلاح .

ولم ينسوا أيضاً صناعة البخور التي ورثوها عن آبائهم حيث تزاول في الشحر ويطلقونها على بلاد مهرة وسواحلها حتى الشحر الحالية وأنشد قائلهم :

-
- (١) العوام عندنا ينادون هودا بقولهم يامولى النهر يعنون هذا النهر والزوار يفتسلون فيه قبل الزيارة ويركعون على حجر كبير يطسل عليه يدعونه حصاة عمر نسبة لعمر المحضار ابن السقاف .
(٢) مما نستفيد منه تشغيل الأيدي الوطنية العاملة واستعمال الأغذية الوطنية كالتمر والبر والنرة بين طبقة العمال بدلا من الأرز الذي نجلبه من الخارج ونفضله وهو الأدنى على الذي هو خير .

اذهب الى الشحر ودع عمانا ان لم تجد تمرا تجد لبانا

وطبهم البدوي يزاوله المجربون والحكماء منهم ويعتمدون فيه على بعض الحشائش والأشجار التي تنبت ببلادهم^١ وعلى الكي في غدد وعضلات وعروق ومفاصل معروفة عندهم ، ويتمون باسعافات أولية .

ومن أشهرها الكمودات عندما يصاب أحدهم بجروح أو رضوخ أو أورام. أما موائدهم فتتألف من البر واللحم والمرق واللبن بأنواعه والبيض والفواكه التي توجد عندهم ، وأشهرها الرطب والعنب والبطيخ والخضروات كالفقوس . وفي الساحل يتناولون مع هذه الأسماك الطرية ولهذا نشأوا أشداء أقوياء البنية وفيهم نشاط ومناعة ضد الامراض وجلد .

ثقافتهم

ثقافتهم ثقافة عربية تنبني على البلاغة والفصاحة والخطابة والشعر قرصاً وإنشاداً وحفظاً وهو أعظم ظاهرة ثقافية بين العرب وتعني به عناية كبرى ، وله فضل كبير في حفظ انسابهم ووقائعهم واحسابهم وذكر مواطنهم وحروبهم وربوعهم وديارهم الى آخر ما هنالك .

وفيه من يحسنون القراءة والكتابة بالخط النبطي^٢ وإن كانوا قليلين لانتشار الأمية بينهم ، وفيهم بقية تقرأ وتكتب الحميرية ومن علومهم الزجر والكهانة والقيافة وسيأتي الكلام عنها في ترجمة وائل بن حجر الحضرمي . ولهم مدنهم وقراهم وحصونهم كمدن شبوة وتريم وسيام والاسعاء

(١) من تلك الأشجار الشجرة المسماة ضرع الكلبة ولها مفعول غريب في برء الجروح والبثور ومنها السناء والكلثي لاسهال البطن ، والفت فيما بعد كتب مختصة بالطب البلدي .

(٢) الخط النبطي هو الذي انتشر في البلاد العربية الشمالية اذ ذاك قالوا: وأول من نشره حرب بن امية .

وهي الشحر الحالية، ومدن دوعن^١ والرايبة بوادي العين وعكرمة بريدةالدين وقرى بور ودمون الهجرين والعجلانية وعندل وتنعة على طريق قبر النبي هود، وكحصون الرناد، والنجير، والعر.

هذه هي مراكز مدنيتهم وحضارتهم وفيها وفي أمثالها وما بينها من صحارى وأودية وسفوح وحقول وجبال كانت تعقد مسامرهم وأنديتهم - وأسواقهم ومشاوراتهم وميادين سباقهم وفروسياتهم وتقام فيها أسواق عامة سنوية هي مواسمهم التجارية والثقافية ترد اليها قبائل العرب من محلات بعيدة أشهرها سوق الاسعاء وهي الشحر، وسوق الرايبة بوادي العين، ولهم أصنامهم التي يعبدونها كصنم وائل بن حجر الشهير، ومنهم من هو معتق النصرانية^٢، كالمضرب الكندي وبنيه وندر من اعتنق اليهودية.

ومع ما تقدم كله فان حالة البداوة تغلب على أكثريتهم، ويجري دواماً بينهم وبين اخوانهم من قبائل العرب ومع بعضهم بعضاً الاشتباكات والغزوات والنهب والسلب كما أن تناول الخمر معروف بينهم وغيره مما لا يخلو منه كل مجتمع من هذا القبيل حتى جاء الاسلام فهداهم الى الصراط المستقيم ورفع مستواهم.

ومن أخلاقهم النبيلة الصراحة والشجاعة والكرم، وحماية الجار والوفاء والحرية الا انها قد تجمح بهم الى الخروج على النظام والوحدة الى حد التضحية بكل شيء في سبيل القبيلة فقط و فقط في سبيل القبيلة. وهذه الشنشة هي التي كثيراً ما أضرت بالعرب في الجنوب العربي وغيره وفي جميع أدوار التاريخ الى الآن، وبالقضاء عليها سيتمكن العرب في كل جزء من بلادهم

(١) منها الحربية وان زعم بعض السواح الاجانب انها سميت بعد هذا الاسم اذ كانت عاصمة الاباضية فخرت. انظر شامل. ومنها ذو صبح وشزن ولا يعرفان اليوم وهي غير ذي صبح بحضر موت الوسطى المعروفة اليوم.

(٢) في البرد النعيم للخطيب ما يصرح بوجود عيسويين بتريم قبيل ومع دخول الاسلام الى حضرموت.

من الوحدة فيه ، وبالتالي من الوحدة العربية الكبرى في الوطن العربي الكبير من الخليج الى المحيط .

وتشاركهم في كل ما تقدم نساؤهم ويختلطن بهم مع غلبة الصون والحشمة والعفاف كما سيأتي ذكر نماذج منهم ومنهن .

وبالجمللة فهم في طليعة الشعوب العربية في هذا العهد وحالتهم لا تختلف كثيراً عن حالة اخوانهم في المقاطعات اليمنية ومدن الحجاز ونجد وأطراف العراق ومشارف الشام كما سستمع وتقرأ عنهم وعن نوابغهم المعدودين .

نماذج من نوابغهم

امروء القيس بن حجر :

هو امرؤ القيس بن حجر الكندي الشاعر النائر الشهير وقد مر ذكر أبيه الملك حجر ولم يهمه كونه ابن ملك بل كان ديمقراطي النزعة فلم يلتفت الى ابهة الملك ، وفخفته وارشقراطيته بل كان التفاته وهوايته الى الأدب وقرض الشعر والقنص والغزل واللهو حتى أفرط في ذلك فسمته العرب الملك الضليل .

من المحتمل أن يكون امرؤ القيس أكبر شخصية أدبية في العالم العربي في هذا العهد، وأدباء العربية مجمعون على أنه هو وزهير بن أبي سلمى والنابعة الذيباني والأعشى هم أشعر شعراء العرب في الجاهلية ، ولكن بعضهم يفضل امرئ القيس على الجميع . وقال آخر أشعرهم زهير اذا رغب والنابعة اذا رهب والاعشى اذا طرب ، وامرئ القيس اذا غضب .

وقد قال شعراً كثيراً في ضروب الشعر من حماس ورتاء وغزل ووصف ومدح وهجاء . وأجود شعره قصيدته المعلقة التي مطلعها :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وهي احدى المعلقات السبع أو العشر التي علقها العرب في الكعبة لشدة
اعتنائها بالبلاغة والشعر وكثيرون منهم يستظفرونها ، ومن هذه المعلقة في
وصف الليل الذي وصف نفسه فيه بقوله :

وليل كموج البحر أرخى سدوله
علي بأنواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه
وأردف اعجازا وناء بكلكل
الا ايها الليل البهيم الا انجلي
بصبح وما الاصبح منك بأمثل

مولده بنجد حوالي سنة ٥٢٠ ميلادية تقريباً عند أخواله بني تغلب وأمه
فاطمة شقيقة مهلهل وكليب ابني وائل الزعيمين العربيين الشهيرين ، ومن
أبطال حرب البسوس التي أفنت جيلاً من شباب العرب بعد ما دامت عشرات
السنين . ولكن امرىء القيس عاش كثيراً من أيامه او أكثرها بمحرموت
وأقام فيها كمثوى وموطن له ولآبائه وكثيراً ما يذكر أيام عيشه الهني في
ربوعها كقوله :

كاني لم اسمر بدمون ليلة
ولم أشهد الغارات يوماً بعندل

ولما بلغه مقتل أبيه وهو بدمون ١ أنشد :

تطاول الليل علينا دمون دمون انا معشر يمانون
واننا لقومنا محبون

(١) دمون هي دمون الهجرين كما قدمنا .

اليوم خمر وغداً امر الى آخر كلامه . ومولده بنجد لا يخرجه عن حضر ميته
كالكثير من مواليد الحضارمة بالمهاجر حين يولدون بها ويعيشون ويتمسكون
بوطنهم الاصيل العربي حضرموت ، ويجنسيتهم . ومهما يكن فأمرؤ القيس
عربي قبل كل شيء .

جهوده للاخذ بثأر أبيه

وقد تجلت شجاعته وإقدامه لما قتل أبوه فقرر الأخذ بثأره مهما كلف
الأمر .

فقاد الجيوش وجمع الجموع وطارد بني أسد قتلة أبيه نتيجة لسوء
معاملتهم له ، وقد بذلوا لامرئ القيس مقترحات مقابل دم أبيه ولتسكين
الفتنة فرفضها وهاجمهم ليلاً فلم يجدهم في أماكنهم وأوقع نفسه وجيشه
في قبيلة أخرى بريئة فتشوق عنه جمعه .

وأخيراً توجه الى القسطنطينية لمقابلة ملك الروم بعد ما أودع دروعه
وسلحه وأهله عند السمؤال^١، الذي يضرب به المثل في الوفاء لأنه لم يرضَ
أن يعطي هذه الأسلحة لغير ورثة امرئ القيس بعد ما مات رغماً عن أن
الملك المنذر اسر ابنه ولم يرضَ بتسليمه الا اذا دفع الدروع اليه فذبح المنذر ابنه
ضحية وهو ينظر من حصنه ولكنه حفظ حق الامانة فضرب به المثل في
الوفاء منذ ذلك اليوم والى الأبد .

وصل امرؤ القيس القسطنطينية ، قالوا دخلها حاملاً علماً احمر شعار
ملك ابائه واطاراة الى الدم المسفوك ، فقبول مقابلة حسنة من قبل قيصر الروم
ووعده بالمدد ولكنه توفي وهو بانقرة حوالي سنة ٥٦٦ م .

(١) السمؤال بن عادياء احد العرب القلائل الذين يدينون باليهودية قبل الاسلام وله القصيدة
الفخرية الشهيرة في كتب الأدب :

فكل رداء يرتديه جميل

اذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه

وكان قد تحمل كثيراً من المشاق في رحلته الى درجة ان صديقه ومستشاره
في السفر عمرو الضبعي رثى لحالته فقطرت منه قطرة دمع فأنشد من قصيدة
تدل على العزم والتصميم :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه
وأيقن أننا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك انما
نحاول ملكاً أو نموت فنعدرا

ربما اخطأ امرؤ القيس في عدم قبوله الحلول لتسكين الفتنة التي
سببها استبداد أبيه القتل كما اخطأ أبوه في سوء معاملته لشعبه ففشل
كلاهما في هذه الناحية ولكن امرؤ القيس نجح نجاحاً كبيراً في الثقافة
العربية كما ذكرنا .

قيس بن معدي كرب بن معاوية الكندي السكسكي

أحد اقيال حضرموت الشهيرين، والنواحي المهمة في حياته هي الفروسية
النادرة والكرم والمهارة في القيادة والاصابة في الرأي ، وقد طبقت شهرته
بذلك جزيرة العرب وما قاربها فكان يقود الجيوش الجرارة للغزو ويكون
له المرباع كمعادة العرب في ذلك العهد. والمرباع هو ربع الغنيمة للرئيس
القائد الأعلى للقبيلة تجعله من امتيازاته قال شاعرهم :

لك المرباع منا والصفايا وحكمك والنشيطه والفضول^٢

(١) لعل الدافع الى استرداد الملك الذي يحاوله هو التمكن من الأخذ بثأر ابيه الذي أصبح شغله
الشاغل وقلب حياته الناعمة راساً على عقب بعد ما كان غير ملتفت اليه في حياة أبيه .

(٢) الصفايا : ما يصطفيه الرئيس لنفسه . النيشطة : ما أصابه من الغنائم قبل جمعها .
والفضول : اليسير منها بحيث لا تمكن قسمته .

وقد ولد في العقد الثالث من القرن الخامس الميلادي، وقيل في أوائل القرن السادس الميلادي ، وله غزوات كثيرة انتصر فيها ولكنها - وبالأسف - ضد إخوانه من أبناء القبائل العربية ، وترى في وجهه شجة أصابته في موقعة ضد قبيلة مذحج التي استمر بينها وبينه القتال .

اضخم فدية عرفتها العرب

ومرة أسرت^١ مذحج ابنه الأشعث بن قيس الشهير والآتي ذكره ففداه بثلاثة آلاف بغير ولم يعرف أن أحداً افتدي بهذا الفداء من العرب حتى ملوكها الذين بلغ ممتهى فدية الأسير منهم الف بغير فقط .

اعماله المجيدة

عرف قيس بما عرف به وجهاء العرب وزعمائها من قرى الضيف واجازة الشعراء وحمي الجار والاصلاح بين أفراد القبيلة وقيادة الجيش وارتجال الخطب وانشاد الشعر .

الملك الحكيم المسالم

هذا هو الملك معدي كرب بن الحارث الكندي عم امرئ القيس الشاعر المتقدم ذكره، وهو من مواليد حضرموت والناشئين بها ، توج في حياة أبيه ملكاً على قيس بجهة الموصل او الجزيرة فكان هو الوحيد من بين إخوانه في حسن السياسة وادارة دفة الحكم بمهارة ، والعطف على شعبه وتدبير أمور دولته ، واثار السلم لا الاستسلام ، ولهذا عمرت

(١) أي قبيلة مذحج .

البلاد واستراح العباد في مملكته ، بينما كانت سياسة كل من إخوانه الملوك الثلاثة خرقاء، فحجر قتلته بنو أسد كما سبق في ترجمة ابنه امرئ القيس لأنه لم يحسن سياستها وأثقلها بالضرائب حتى ثارت عليه ففتكت به ، وشرحبيل وسلمة تنازعا على ملك ابيهما بعد وفاته يريد كل منهما ضمه الى مملكته ، وجمع كلاهما جمعاً من العشائر العربية ضد الآخر فكانت النتيجة الاصطدام والحرب والفناء بموضع يقال له الكلاب بالعراق وسميت الموقعة موقعة يوم الكلاب^١ .

وقد حمل لنا التاريخ مآسي متكررة من هذا النوع أدت الى القتال بين الأخوة بل بين الابناء والآباء من أجل التغلب على السلطة والملك والجلوس على كرسي الحكم، وسيأتي في تاريخنا الحضرمي ايضاً امثال هذه القصة . ونشير هنا الى حكمة معدي كرب الذي انفرد من بين إخوانه بالصفات النبيلة التي أشرنا اليها ولم يرض أن يعمل أو يشترك فيما عمله أخوته فكان الملك المحبوب عند شعبه الى أن توفي اثناء القرن السادس الميلادي والذي لا يزال يذكر التاريخ له هذا الصنيع الجميل الى اليوم .

ام الصريخ الشاعرة المجيدة

هذه هي امرأة حضرمية من كندة اشتهرت بين العرب بجودة الشعر الى درجة تفوق فيها كثيراً من الشعراء المجيدين كما اشتهرت الخنساء بعدها . وبين السيدتين تشابه كثير في قوة الشخصية ونبيل العاطفة وفي حسن الديباجة وجودة الأسلوب والاكثر من الرثاء في الشعر للتخفيف من آلامهما وكروبهما من فقد الأحبة الاقربين . ومن الغريب أن يكون لكليهما ابناء قتلوا معاً في وقعة واحدة: فالحضرمية

(١) أنظر التفصيل في الأغاني وغيره .

الكندية قتل ابناؤها في موقعة جيشان^١ والخنساء السلمية قتل ابناؤها في موقعة القادسية . إلا أن أكثر مرثي الحضرمية في بنيتها وأكثر مرثي السلمية في أخويها صخر ومعاوية وقالت انها لم تثرَ بنيتها الأربعة لأنهم قتلوا شهداء مسلمين فهنئاً لهم الجنة والشرف .

من شعر أم الصريخ في بنيتها قولها :

ابوا أن يفروا والقنا في نحورهم
وان يرتقوا من خشية الموت سلماً
فلو أنهم فروا لكانوا أعزة
ولكن رأوا صبراً على الموت أكرماً^٢

وإنما قالت لكانوا أعزة مع أن الفرار مذموم لأن عدوهم تضاعف عليهم بحيث أصبح القتال لا يجديهم شيئاً والانسحاب يتحتم عليهم كما تقتضيه الخطط الحربية^٣ ولكن رأوا صبراً على الموت أكرماً .

خويلة القضاعية

هي سيدة قضاعية حضرمية اشتهرت في الأوساط الحضرمية والعربية بقوة الشخصية والتأثير في النفوس ببلاغتها في النثر والنظم ولها مكانة مرموقة في قومها بني ريام وهم بطن من قضاة لا يعدوا أكثرهم عن كونه من محارمها الاقربين ، وقد استطاعت بمفردها ان تثار لعشرات منهم

(١) موضع معروف في الجزيرة العربية .

(٢) ديوان الحماسة .

(٣) في الحرب العالمية الأخيرة اشتهرت موقعة دنكيرك بفرنسا لما هاجمها الألمان وعلى شواطئها كثير من البواخر الحربية والجيوش والعتاد فانسحب الحلفاء بنظام كما يقولون وعدوا انسحابهم مفخرة .

قتلوا في موقعة حربية بينهم وبين إخوانهم من قبيلتي ناعب وداهن من قضاة ايضاً، استطاعت ذلك بتأثيرها في قبيلة مهرة بنظمها وشعرها حتى غزت قضاة بقيادة سيدها مرضاوي بن سعوة وهو ابن اختها وأخذت بتأثر من قتلوا .

من شعرها القصصي المزدوج بالثناء والحماس في هذه القصة قولها :

قسمت رجال بني ايهم بينهم
جرع الردى بمخارص وقواضب
فابرد غليل خويلة الثكل التي
رميت بأثقل من صخور الصاقب
وتلاف قبل الفوت ثاري انه
علق بثوبي داهن مع ناعب

أبعد العرب غارة

بهذا تلقب العرب شراويل بن الاصبه الجعفي الحضرمي بل بعضهم يلقبه بابعده الناس غارة لأنه شجاع مغوار ذو جلد وإقدام يصل بهما الى أبعد ما يمكن الوصول اليه من البلاد عن موطنه حضرموت فيغير على أهلها بجيشه ويحمل معه الغنائم ويعود بها ظافراً .

وقد بلغ شراويل الرقم القياسي في هذه الناحية دون بقية غزاة العرب الكثيرين وإن كان التاريخ لم يحدد اقصى ما وصل اليه من المسافات والازمان .

ومن مغامراته انه قطع مئات الأميال من حضرموت الى البلقاء غازياً

(١) اقرأ القصة في أمالي القالي بأطول ما هنا وفي تاريخ الشعراء الحضرميين ج ١ .

في مائة فارس من قومه^١ والعرب تهابه هيبة شديدة الى درجة أن الشاعر الشهير النابغة الجعدي عد من أعظم مفاخر قومه أنهم قتلوا شراحيل هذا الذي تقترن الرهبة باسمه اذا ذكر فأراحوا بني معد منه، فقال في رائيته الشهيرة :

ارحنا معدا من شراحيل بعدما
أراها مع الصبح الكواكب مظهرا
وعلقمة الحراب أدرك ركضنا
بذي الرمث اذ صام النهار وهجرنا

ونحن إذ نسجل اسم هذا المغوار الحضرمي فإنما نعجب لمجرد إقدامه وفتوته وجرأته وجلده فقط ونأسف له كبطل عاش في وسط لم يصل الى حياة حضارية منظمة ، ولم تكن بيئته متعلمة فتستغل هذه الصفات التي وجدت فيه وفي كثير من أمثاله فيما يعود على الأمة العربية بخير النتائج واحسن المثل بدلا من أن تستعمل ضد البعض منها .

(١) انظر العقد الفردي جزء (٢) .

دَوْرُ الْوَحْدَةِ

حَضَرَهُمْ تَنْظِيمٌ تَحْتَ رَأْيَةِ الْإِسْلَامِ
وَالتَّوْحِيدِ وَتَلْحُقُ بِالْوَحْدَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

دور الوحدة

حضرموت تنضم تحت راية الاسلام والتوحيد وتلتحق

بالوحدة العربية الاسلامية

لقد مر ذلك الدور البغيض (دور الجاهلية ^١) الذي تشتت فيه قبائل العرب وتفرقت كلمتها ، وكانت كما وصفها الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب للملك الحبشة لما هاجر اليها مع جملة من الصحابة والصحابيات فراراً من ظلم قريش واستبدادها حين يقول : « كنا جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي الضعيف حتى بعث الله لنا رسولاً كما بعث الرسل الى من قبلنا وذلك الرسول منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا الى الله تعالى لنعبده ونوحده ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من دونه من الأصجار والأوثان، وأمرونا أن نعبد الله وحده وأمرونا بالصلاة والزكاة والصيام وصدق الحديث واداء الامانة وصلة الأرحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدم ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة فصدقناه وآمنا به واتبعناه » وهو دور كانت العرب فيه بل وأمم العالم اذ ذاك في انحطاط خلقي واجتماعي ، وهي بأشد الحاجة الى الاسلام بوصفه الدين الكفيل لها باقامة أسس دستورية

(١) للجاهلية اطلاقاتها منها ما قبل الاسلام الى عهد عيسى عليه السلام .

متينة ومبادئ اصلاحية وقيم روحية فهو الدين المدني الذي يحفظ كرامة الانسان وحقوقه ويكفل له سعادة الدارين والعيش في سلام وطمأنينة ورخاء وتعاون وعزة، ويسعى جهده للوحدة البشرية ولتمكين الانسان من استعمال فكره وطاقته وعقله حتى يصل بها الى أبعد ما يمكن من تقدم ورقي في هذه الحياة من جميع نواحيها وفي جميع أدوارها^١، ولكن ويا للأسف ان المتممين إليه لم يطبقوا تعاليمه ولم يقدروه حق قدره .

ثم انه كغيره من الأديان السماوية يغرس في الانسان الايمان بالله تعالى وبالحياة الأخرى التي هي دار الجزاء الأبدي ويوضح له بالبراهين الكافية ان هذه الحياة الدنيوية ليست هي المقصورة وانها لا قصر وأنقص من أن يحياها فقط ثم ينتهي الى غير رجعة والانسان أجل وأعلى من أن يخلق ليعيش عيشة الفناء فقط بل ان حياته الحقيقية انما هي فيما بعد كما ثبت ذلك ليس دينياً وعقيدة فحسب بل وعلمياً^٢، ودواماً ما يثبت العلم الحديث للانسانية صحة ما جاء به الاسلام وكشف عن أسرار ومغيبات^٣ .

ذلك مما تضمنه القرآن الكريم والسنة المطهرة وكتب الشريعة الاسلامية الغراء .

ولقد كان لبلاغة القرآن الكريم الأثر البالغ في نفوس العرب، ولشخصية سيدنا محمد المزودة من قبل الله بالأخلاق السامية وبالطاقة المشحونة وبالتأثير والجازبية والكمال والمثالية فقلب حياتهم الفردية والاجتماعية رأساً على عقب وأصبح البدوي الجلف الذي قد لا تأمنه على عقل بعير متديناً

-
- (١) اقرأ الكتب المؤلفة في هذا الموضوع وهي كثيرة لا تكاد تحصر مثل الوحي المحمدي للسيد رشيد رضا ، وكتابي رسالة التوحيد والاسلام والنصرانية للشيخ محمد عبده ، وتفسير شيوخ الأزهر وكتب « الاخوان المسلمون »، ومثل العدالة الاجتماعية للسيد قطب وغيرها من كتبهم المؤلفة في المواضيع الاسلامية الهامة
- (٢) انظر كتاب العلم يدعو للايمان .
- (٣) الكتاب نفسه .

مخلصاً لدينه وأمته وللوحدة الاسلامية في غاية من النزاهة والانسانية والنبيل
لا يعرف النفعية ولا الأخلاق المنحطة كما كانت تعرف في وسطه قبل اعتناقه
الاسلام، واستطاع سيدنا محمد بتطبيق مبادئ الاسلام^١ أن يخلق في بضعة
سنوات من أمة ضعيفة متفرقة تعبد الأصنام أمة متحدة ذات دستور هو
القرآن ودولة مالية منظمة وحياة مدنية ديمقراطية وذلك ما لا يكون الا
معجزة خارقة .

مقارنة بين العرب قبل الاسلام وبعده

واظهار الفرق الهائل بين التاريخين

ان للعرب استعداداً فطرياً وأخلاقاً يمتازون بها عن كثير من الأمم ،
كالذكاء والشجاعة والجلد والتضحية في سبيل المبدأ ، ولهم حضارات
قديمة مشهورة كما أشرنا إليها ولكن كل ذلك ليس شيئاً يذكر بالنسبة
لحضاراتهم الاسلامية . ولم يستطيعوا أن يقيموا حضارة نفعت العالم
وقادوا بها الأمم الى الاصلاح والنهوض والحياة الكريمة الا بالمبادئ
والتعاليم التي سنّها لهم الاسلام ولم تنتشر لغتهم وآدابهم وعلومهم
ويبنوا لهم تاريخاً مشرفاً تمجدهم به أمم العالم الا بعد اعتناقهم

(١) نحن حين نتكلم عن الاسلام إنما نعني به الاسلام الحقيقي بمبادئه المثالية السمحة وروحه
وتعاليمه العامة الواسعة الصدر الذي لا ينقصه الا قيادة حكيمة واعية وجهة قوية تدافع عنه
وتمشي بواسطته الى الامام . ومع الاسف ان بعض الكتاب واكثرهم من الغربيين لا يفهمونه
بهذا المعنى فيعرفون بما لا يعرفون ويفرقون بين العبادات والاحكام الدنيوية في الاسلام
ويتخذون من اعمال بعض رؤساء الحكومات الاسلامية او وزرائها حجة على الاسلام وهم
في الواقع ليسوا من الاسلام في شيء فاذا غضب شعب عربي مسلم مثلاً على احد من هذا النوع
قالوا انه فضل شعبيته على الاسلام فالشعوب العربية والاسلامية اليوم تعرف كيف تستغل
باسم الاسلام بما لا يأمر به الاسلام وهل أفسد الدين الا الملوك و اجبار سوء ورهبانها .

الاسلام وتطبيقهم مبادئه الصحيحة وبواسطة العقيدة الاسلامية الراسخة في قلوبهم بسطوا سلطانهم على اكثر المعمور في العالم وحين ضعفت عقائدهم وتساهلوا في مبادئهم الاسلامية تقلص ظل سلطانهم وبقدر ما يبعدون عن مبادئهم الاسلامية الكريمة بقدر ما يعترهم الذل والهون ، وتسطو الأمم الأجنبية عليهم . ولقد أخطأ حقاً من تجراً وادعى ان للطبيعة العربية وحدها أكبر الأثر في انتشار الاسلام ومجده ولو كان ذلك حقاً لما اعتر بالاسلام أمم كثيرة اخرى كما اعتر به العرب الا أن العرب هم السابقون الأولون الى المجد الاسلامي وهم القادة والزعماء وهم خير أمة اخرجت للناس . وللطبيعة العربية أثر لا ينكر في تطبيق مبادئ الاسلام ونشره في العالم ، ولذا اختار الله سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم منهم ونبغ بفضل الاسلام فيهم القادة العظماء والزعماء المثاليون أمثال الخلفاء الأربعة وأبي عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد والمثنى بن حارثة وغيرهم ممن أتاحت له القيادة - أو الامارة او الزعامة . والواقع أن المدرسة العربية الاسلامية التي ليس لها منهج سوى القرآن ، وليس لها مدير سوى سيد المرسلين محمد قد أخصبت بكثرة وافرة من هذا النوع الممتاز ، ولو تقلد كل أفرادها شيئاً مما ذكرناه لقام بالواجب كما قام به أولئك .

وقد أنجبت حضرموت أبطالاً من خيرة الصحابة والقادة المبرزين في الفتوحات الاسلامية أمثال امرئ القيس بن عانس الكندي ، وقيس بن سلمة الجعفي وقيسة بن كلثوم السكوني .

الوفود الحضرمية الى سيد العرب صلى الله عليه وسلم بالمدينة

وفدت الى الرسول بالمدينة وفود حضرمية جماعية وفردية، وذلك لما انتشر الاسلام ببلاد العرب وعرف أهلها عن محاسنه الشيء الكثير ، كما سمعوا عن أخلاق نبيه وأصحابه وما يقومون به نحو الانسانية من خدمة

واصلاح وما أتاهم الله من نصر باهر على أعدائهم من أهل الكفر والالحاد .
وكان الغرض من ارسال هذه الوفود التي تمثل المواطنين الحضارمة
هو اعلان الانضمام الى حظيرة الاسلام وتقديم فروض الطاعة والولاء وأخذ
صورة مباشرة عن سيد المسلمين وأصحابه وتعاليمه وتوجيهاته، ومن الوفود
الجماعية وفد كندة .

وفد كندة

ترأس هذا الوفد الأشعث بن قيس الكندي ، وقد مر ذكره أثناء ترجمة
أبيه ، وقد كان هذا الوفد مثلاً للروعة وحسن الهيئة ، وقد تألف من بضعة
عشر رجلاً ، وَعَدَّةُ بعض أهل السير نحواً من ثمانين ١ عضواً متأنقاً في
لباسه وهيئته ، قدموا الى المدينة في السنة العاشرة للهجرة فقابلهم رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم أحسن مقابلة كما يقابل أمثالهم من وفود القبائل
العربية ، ولاحظ عليهم ملاحظتين احدهما :

استعمال الحرير ، والثانية : الافتخار بعظمة جدهم آكل المرار حين
قالوا له على سبيل الفخر والاعزاز الجاهليين : نحن بنو آكل المرار وأنت
ابن آكل المرار ٢ ، فبادروا بترك ما نهاهم عنه فمزقوا الحرير الذي في جيبهم
ووبخهم سيدهم الأصغر الأشعث بن قيس عن اعادة القول بما نهاهم عنه
سيدهم الأكبر محمد صلى الله عليه وآله وسلم ٣ .

-
- (١) من جملة ما يترتب على العدد كثرة الصحابة وقتلهم بضمير موت .
 - (٢) كأنهم يشيرون الى أن له صلة نسب بهم من جهة الأمهات .
 - (٣) انظر السير النبوية ومنها سيرة ابن هشام .

مصاهرة بين القبيلتين

بمناسبة وجود الوفد الكندي بالمدينة استحسن عقد مصاهرة بين قبيلتي قريش بالمدينة وكندة بحضرموت وذلك كما يقول بعض أهل السير ، زواج الأشعث من ام فروة بنت ابي قحافة اخت الصديق، وسواء تم العقد وقتئذ أم بعده ، فان الرغبة في التقارب والمصاهرة قد حصلت بين القبيلتين ، واذا صح ما يقال ان رسول الله خطب قتيلة بنت قيس اخت الأشعث ، وتوفي قبل أن تقدم عليه من حضرموت فهو يؤكد تلك الرغبة من الجانبين في التقارب بين القبيلتين كما أشرنا . وهكذا كان نصيب كندة بوصفها من أعظم العشائر الحضرمية من نبل الأخلاق النبوية المعروفة عن رسول الله وأصحابه حين يتألفونها كما يتألفون غيرها من قبائل العرب لدعم الصلوات والروابط الاسلامية فيما بينهم وبينها ، ولولا قرب عهد هذه القبيلة بالاسلام واصحابه حين توفي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لربما لم يتردد أحد منها ، ومع هذا فان كثيراً من رجالها ، ومن رجال حضرموت الآخرين ثبت على اسلامه كما سيأتي .

وفود حضرمية اخرى

تعددت الوفود الحضرمية في هذه السنة الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالمدينة وقد سطر التاريخ أسماء هؤلاء الأمراء والزعماء وهم : وايل ابن حجر يفند من شبوة يقال انه اول وأشهر وافد حضرمي الى الرسول ، وقد قوبل بمقابلة ممتازة من الرسول وأعطاه عدة كتب وأقره على ما ورثه عن آبائه من امارة وستأتي ترجمته مبسوطه .

وفد الجعفيين من جردان

قيس بن سلمة الجعفي :

وفد على الرسول هو ورهط من أصحابه ، وقد أكرمهم الرسول وقدم لهم القلب بصفة خاصة ، وكان الدافع له على هذا هو ما بلغه عن الجعفيين

من عدم أكلهم القلب ولعل ذلك لتوهمهم انه يضر أو لانهم يعافونه كما يعاف بعض الأعضاء الأخرى كالرئة والأمعاء والكروش. وعلى كل فان الرسول - كما هي عادته - أراد أن ينزع من قلوبهم عملياً كراهية أكل القلب فقدمه اليهم مشويماً فأكله بعضهم وعادوا بعدُ الى حضرموت مسلمين مخلصين . ووفد أيضاً : الاسود الكندي من عرمة وجردان بمفرده وكليب البقلي التنعي من وادي تنعة .

ربيعة بن مرحب الحضرمي :

وغير هؤلاء كثيرون من بلاد الجنوب العربي وهم مذكورون في ثنايا كتب السير المطولة .

سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم يثني على الحضارمة

لقد أورد العلماء والمحدثون والمؤرخون أحاديث كثيرة في فضل الحضارم تدل على ما يمتازون به من امانة وطاعة ورقة، وقد ذكرت بعض قبائل من كندة: كالسكون وتجب بالثناء والمديح وقبيلة حضرموت كذلك، وكندة مدحت بأنها في السنام من الجسم العربي، كما أثني على اليمن وشعبه في أحاديث كقوله صلى الله عليه وآله وسلم : الايمان يمان والحكمة يمانية .

ومن الآيات التي فسرت اذذاك بأهل اليمن ، ومنهم الحضارمة طبعاً سورة : « النصر اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله الله أفواجا .. » الآية ، فسر بعض التابعين كعكرمة الناس بأنهم أهل اليمن ولا يستغرب هذا ، فقد أسلم اكثرهم طواعية ، ولم تفتح بلادهم عنوة .

والمناقب القرآنية والسنية في فضل الحضارمة خصوصاً وأهل اليمن عموماً كثيرة^١ ومنها القوي ومنها الضعيف كالمناقب التي وردت في غيرهما

(١) انظر الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليقها للحداد في الموضوع .

من البلاد والعباد ، ولكن المهم من هذا هو ما يلي :

ان ندرك اندماج القبائل العربية مع بعضها بعضاً وسرعة المواصلات وبواسطة النجب والحياد والحيوية والنشاط في السكان ولم تعد خافية أخلاق كل قبيلة ومناخ كل مقاطعة عربية ، وأن ندرك اطلاع سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم على أحوال بلاده وأخلاق قومه ومن تلك حضرموت والحضارمة ، واندماجه مع قبائل العرب في مواسم الحج وغيرها ، ومع الوفود العربية الكثيرة التي تفد عليه .

لهذا فهو انما يثني عليهم - بمقتضى الواقع - طبعاً^١ ولتشجيعهم على التمسك بالفضائل والابتعاد عن الرذائل .

ولاشك انه يعطي كل موقف ما يستحقه تماماً كما وان بعض القبائل قد يكون لها موقفاً ، احدهما : تشكر عليه والآخر تشكى منه ، فلا تعارض ، واذا ذكرت قبيلة فان المراد بها المجموعة في عمومها وتخابط بالثناء وعكسه كمجموعة لا كأفراد .

ومن هنا لما وصف الرسول الحضارمة بالأمانة^٢ في بعض الأحاديث فانه وصفٌ منطبق على الحضارمة امتازوا به اكثر من غيرهم من اخوانهم العرب واشتهروا به في مهاجرهم منذ عشرات القرون والى اليوم .

ونحن حين نسجل هذا الموضوع في هذا التاريخ فإنما نقصد به ما أشرنا اليه ، وليكون الشعب الحضرمي في الطليعة من بين الشعوب العربية في هذا العصر الحديث كما كان في العصر الإسلامي الاول وفي بعض مراحل التاريخ الاخرى مما سيأتي بعد .

(١) لأن رسول الله (ص) معصوم عن الكذب .

(٢) ورد في بعض الأحاديث : « الامانة في الازد وحضرموت فاستعينوا بهم » وهذا الحديث في كتاب انساب العرب لسلمة بن سالم العوني الصحاري - مسند الى ابي قلابة .

اول عامل اسلامي على حضرموت

كانت نتيجة هذه الوفود الحضرمية بعد أن عادت الى بلادها هو انتشار الاسلام بحضرموت كلها من اقصاها الى اقصاها ساحلها وداخلها وبقية المخاليف اليمنية كذلك .

وكان أول عامل أرسله النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليها هو زياد ابن لبيد الأنصاري الخزرجي البياضي احد شجعان الصحابة وفضلاًها وذوي الرأي فيها كما يُعلم من أعماله .

أما اختصاصاته - كأمثاله من عمال الأقطار الاسلامية الأخرى فمنها :
(أ) جمع الصدقة (الزكاة) بصفتها أعظم مورد للدولة الاسلامية تأخذه من شعوبها ويمشون في صرفه على نظام مركزي، حيث يصرف على مستحقي القطر الذي يقدم زكاته وما فضل يصرف الى العاصمة (المركز) وفيه بيت المال وإمام المسلمين من الرسول او خليفته .

(ب) إصدار الاحكام الاسلامية وتنفيذها .

(ج) نشر تعاليم الاسلام .

(د) تعيين مساعدين له في مهمته ووظائفه ، وقد مكث بحضرموت آخر سني الرسول وخلافة سيدنا ابي بكر ، وصدرأً من خلافة عمر ، واكثر مقامه بتريم وشبام ' ثم غيرهما من المواقع الرئيسية وتوفي في العقد الخامس من الهجرة اول خلافة معاوية .

اول مرشد اسلامي من الصحابة اشتهر بحضرموت

سيدنا معاذ بن جبل الامام المقرئ والصحابي الجليل قد ورد حضرموت واليمن لتعليم الأهالي الاحكام الاسلامية وللقضاء بينهم ايضاً. وقد اشار

(١) يقول الخطيب في البرد النعيم مخطوط، انه مقيم في تريم .

اليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأن يقضي بما في كتاب الله فان لم يجد شيئاً فبما في حديث رسول الله فان لم يجد فليجتهد رأيه^١ .

كان نزول معاذ (ض) بحضرموت بين قبيلة السكون الكندية وامتزج بهم وصاهرهم وله طلبة من حضرموت رروا عنه واقتبسوا من علمه وتقاه^٢ .

وهناك ابو موسى الأشعري ايضاً نزل حضرموت كمعاذ وأرشد أهلها كذلك الى تعاليم الإسلام .

وقد عاد كلا الاثنيين منها فيما بعد الى الجهاد ، وقد توفي معاذ (ض) بالشام في طاعون عمواس سنة ١٨ وتوفي ابو موسى في خلافة معاوية واختلّف في تاريخ وفاته على أقوال نهايتها سنة ٥٢ هجرية^٣ .

لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ١٢ ربيع الأول سنة ١١ للهجرة على المشهور حدث اضطراب ووقع ارتباك في أبناء الجزيرة العربية وارتد عن الاسلام بعض من لم يعه حق الوعي ولم يتمكن من فهم مبادئه من العرب وبعضهم لم يرتد عن جميع المبادئ الاسلامية ، وانما امتنع من دفع الزكاة كبنو يربوع التميميين الذين قتل بعضهم خطأ وهم أصحاب مالك ابن نويرة الشهير .

وبعضهم ظن أن لا طاعة لخليفة رسول الله بعده وان على كل أن يقوم بواجبه الاسلامي بدون أن يلتزم بالخضوع للسلطة بالمدينة المنورة - كل هذا يعرف بدرس أحوال العصاة المسمّين بالمرتدين .

(١) أنظر هذا الحديث الشهير في كتب الحديث .

(٢) يروي بعضهم حديثاً بأن الرسول أمر معاذاً بأن ينزل بين السكاسك والسكون وهما قبيلتان شهيرتان من كندة أنظر الشامل .

(٣) ان كلا من معاذ وابي موسى شهيد وله مواقف معروفة و ابو موسى هو أحد الحكمين لفصل النزاع بين الامام علي ومعاوية ولكن ابا موسى مع الأسف خدع . والقضية شهيرة في كتب التاريخ .

والفرقة الرابعة هي التي ثبتت على المبدأ الاسلامي ووعته حق وعيه وانضموا الى صف الخليفة ، وهم كثيرون كما سيأتي .

أما في القطر الحضرمي فقد ظهرت هذه الفرق الأربع ، فالملوك الأربعة واختهم العمردة كانوا ممن ارتدوا وشربوا الخمر وخلعوا ربقة الاسلام عن أعناقهم وقتلهم أصحاب رسول الله كما يأتي :

وهؤلاء اتبعوا واتباعهم الاسودّ العنسي ، ثم لما مات رسول الله بلغ بهم الأمر الى درجة أن بعض نسأهم أظهرن الشماتة بموته وخضبن ايديهن فوجّه بعض المسلمين الكنديين شعراً الى الخليفة يقول فيه :

ابلق ابابكر اذا ما جئته ان البغايا رمن اي مرام
أظهرن من موت النبي شماتة وخضبن ايديهن بالعلام^١
فاقطع هديت اكفهن بصارم كالبرق اومض من متون غمام
فكتب ابوبكر الى عامله بحضرموت بقطع ايديهن ففعل .

ويتهم الاشعث بن قيس بالردة عن الاسلام بتاتاً بمقتضى كلام بعض المؤرخين^٢ ولكن بعضهم يعده من الفريق الثاني الذي منع الزكاة فقط وشح بماله كما يقول هو لسيدنا أبي بكر الصديق لما ارسل اليه فاستنطقه بالمدينة^٣ .

وهناك حارثة بن سراقة الكندي الذي يعد من الفريق الثالث^٤. وعلى كل حال فالواجب الاسلامي والاجتماعي هو الذي دفع أبا بكر الى قتال الفرق

(١) العلام بضم العين وتشديد اللام هو الحنا او ما يشبهه .

(٢) انظر كتاب قلادة النحر للطيب باخرمه مخطوط .

(٣) انظر المشرع والبرد النعيم: اما صاحب الاستيعاب فقد قال ان جريراً يعني البجلي والاشعث أراد الصلاة على جنازة فقدم الاخير الاول قائلاً إني ارتددت ولم ترتد .

(٤) مما رواه أهل السير عنه هذان البيتان الشهيران :

اطعنا رسول الله ما دام بيننا فيا قوم ما شأنني وشأن ابي بكر

ايورثها بكرأ إذا كان بعده فتلك لعمر الله قاصمة الظهر

فهل ترى بلغت به الغفلة الى حد انه لا يعرف انه ليس لابني بكر ابن موجود اسمه بكر =

الثلاث الاوليات واخضاعها للسلطة الاسلامية العليا، وتأدية جميع الواجبات المادية والأدبية اليها ، فما عم ان أمر زياداً بقتالها وأرسل اليه النجدات ، حتى تم اخضاع العصاة بواسطة المنضمين الى صف الخليفة من الحضارم في الداخل ، ومن أتى للنجدة من الأقطار المجاورة كصنعاء ومهرة .

كيف بلغ اهل حضر موت موت الرسول صلى الله عليه وآله

وسلم وكيف تمت بيعة ابي بكر بينهم

لما تولى الصديق أبو بكر كان من جملة من كتب لهم من العمال زياد ابن لبيد بحضر موت وأرسل له كتاباً يخبره فيه بوفاة الرسول ويقره على عمله ، ولما تناول زياد الكتاب وقرأه خرج متقلداً سيفه وصلى الظهر اماماً بالناس ثم خطب فيهم بعد أن قرأ عليهم كتاب الخليفة ، وأمرهم بالمبايعة له واداء الزكاة فأجابته الأكثرية ومنهم سكان تريم وأشياعهم من المقاطعات الاخرى وبايعوه من بعد صلاة الظهر الى العصر^١ .

العصاة والمردون

هؤلاء كما ذكرنا ثلاث فرق ، وقد اعتزل الأشعث بن قيس مع طائفة من كندة ، ولكن زياداً بدأ يناوشهم ويضايقهم بمن معه من الحضارمة كنديين وغير كنديين^٢ حتى اصطدموا به وكتب الى الخليفة بالمدينة يخبره

ام هو على سبيل التمثيل ومرعاة القافية وغرضه ان يستقل كل اقليم بامرائه وتعود الانفصالية والفوضى كما كانت في بلاد العرب ويهدم بناء المركزية والحكومة العامة التي شادها الاسلام بالجزيرة العربية: وبعضهم يروي البيتين لغيره .
(١) أنظر البرد النعم للخطيب وكتب السير المطولة .
(٢) ممن معه شرحيل بن السمط وابنه كما في الأصابة وله كلام بليغ في ذلك الموقف .

بالواقع ويطلب منه المدد ١ .

ناقة شيطان

شيطان هذا احد شباب بني عمر بن معاوية وهم من أعز قبائل كندة ومنهم الملوك الأربعة وأختهم العمردة المشار اليهم سابقاً ، ويقابلهم بنو الحارث بن معاوية وهم عشيرة الأشعث بن قيس ، وقد صدق أهله حين سموه شيطاناً فهو اسم على مسمى وبسبب عناده وتحيله بدأ الصدام المسلح والقتال بين زياد والعصاة من قبيلة شيطان هذا. وقد أخذ زياد من شيطان ناقة كريمة ووسمها بميسم الصدقة واسمها فيما يقال شذرة فواقه ولكنه فيما بعد قال لزياد انها لأخي العدا وطلبها وليست على أخيه صدقة ، وطفق النزاع بين الاخوين وبين زياد يشتد فتدخل أحد زعماء القبيلة حارثة بن سراقه ولم يزالوا بشذرة حتى انتزعوها من بين ابل الصدقة. فلم يسع زياداً الا أن أمر باعادة الناقة الى ابل الصدقة التي قال انها حق الله وقد دخلت فيها وأمر بتكتيف الثلاثة الكنديين المعاندين له وهم شيطان وأخوه وحارثة وأخذهم جيشه الى حيث يريد ، ثم هاجم القبيلة وقتل ملوكها ٢ بمقتضى التفصيل الآتي :

(١) اطبق مؤرخو الحضارمة القدامى ومنهم صاحب المشرع والبرد التميم على أنه لما ورد الكتاب الى الصديق دعا لأهل تريم بثلاث دعوات ان يكثر فيها الصالحون ويبارك في ماءها ولا يطفأ لها نار. والغاية من هذه الدعوات ان لا تخرب وان تبقى مدينة عامرة حية، قالوا وقد استجيب دعاؤه ولعل رسول زياد تريمي طلب لمدينته الدعاء من الخليفة .

(٢) يقول الطبري في تاريخه وغيره أنه جعل يذبحهم وينشد :

نحن قتلنا الملوك الأربعة
مخصوصا ومشرحا وجمدا وابضعة

والشطر الأخير غير متزن تماماً مع سابقه الذي قطعت همزة الملوك منه .

بدء القتال

كان من الطبيعي أن تغضب قبيلة الاسارى وتقرر حرب زياد وكان زياد يخشى أن يتفرق عنه جيشه وتمتد الثورة في البلاد، فباغت القبيلة في محاربا ليلاً وهي حول نيرانها ، ونظم خطة للهجوم عليها فقتل من رجالها مقتلة عظيمة ، وأسر من نساءها وصبيانها. ومن القتلى ملوكها الأربعة وأختهم قالوا انه ظفر بهم وهم سكارى بدون حراس من شدة لعب الخمر برووسهم .

الاشعث تغلبه الحمية

لما مرت السبايا بالاشعث وهو زعيم عشيرته نادته النسوة والصبيان مستغيثين به ومثيرين به وعصبيته وحميته لينقذهم من الأسر فلم يتمالك نفسه وأشعل حرباً ضد زياد وأصحابه فقتل منهم من قتل وانهمز من انهمز . وكانت النتيجة انتزاع الاسرى واطلاقهم .

فعظم هذا على الأمير وجيشه وشق عليهم، وبقي الأمير صابراً ومدارياً حتى قدم عليه مدد أبي بكر^١ وجاء المدد مقسماً في ثلاث حملات حملة يقودها المهاجر بن أبي امية المخزومي القرشي (ض) وهي الكبرى والسابقة، جاءت من اليمن عن طريق نجران حيث كانت تخضع العصاة هناك. ولحقت بها حملة ثانية يقودها الصحابي البطل عكرمة بن أبي جهل المخزومي شهيد اليرموك وقدر بعضهم فرسانها - وكل جيشها فرسان - بخمسمائة وبعضهم بسبعمائة^٢ . ويقال انها وصلت بعد انتهاء حدة القتال^٣ .

(١) اختلف المؤرخون في طلب المدد فمنهم من قال انه طلبه من بدء الفتنة ومنهم من قال انه طلبه بعد الاصطدام مع الأشعث .

(٢) انظر البرد النعم مخطوط للخطيب .

(٣) نفس المصدر يقول ان عكرمة جاء بعد انتهاء القتال بأربعة أيام وحصل نزاع بينه وبين المهاجر في الغنائم لأن المهاجر وصحبه لا يريدون لهم شيئاً منها لعدم حضورهم الموقعة =

والحملة الثالثة وصلت من الشرق من بلاد مهرة بعد أن وطدت الأمن فيها وكانت مضطربة أثر وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

حصن النجير واين يقع ؟

المشهور عن النجير انه موضع معروف لدينا ويبعد عن تريم الى الشرق بنحو أربعة أميال، وكان بعض الباحثين في تاريخ حضرموت يميل الى انه النجير الذي في غرب حضرموت قرب العبر حيث تكثر كندة وتتضاعف قوتها وشوكتها وانما تحصنت هناك ووقع بينها وبين الصحابة الاشتباك فيه . وعلى كل حال من الخالين ففي المكان المسمى بالنجير حصن عظيم - تحصنت فيه كندة وحاصرها الصحابة فيه بقطع طريق المواصلات اليها . هذا بالنسبة لمن في الحصن من كندة أما من هم خارجه فقد أرسلت اليهم السرايا من الجيش حتى استسلموا وأسلموا .

كيف سقط حصن النجير في ايدي الصحابة ؟

بعد أن التحم الصحابة مع المرتدين والعصاة من كندة في موضع يقال له محجر الزرقان^١ انهزمت كندة وتجمعت بعد في حصن النجير ، فأحكم الجيش الحصار وضيق على الحصن ومن فيه طبقاً لخطة حربية وضعها قواده وكانت هناك ثلاث طرق تؤدي اليه فسدها الجيش ولم يكن بعد هذا بد

ولكن زياداً أحالهم على الخليفة فأمر لأصحاب عكرمة بنصبيهم، وهذا محالف لما يقوله محققو التاريخ من أن عكرمة حضر قتال النجير- ويمكن حمل السابق على اول القتال- وشاع في الأوساط التريمية أن عكرمة جاء مسرعاً من اليمن ودخل تريم من طريق جبلية بشعب خيلة غرب تريم ، وفي مناخ ابلهم ومرابط خيولهم بني مسجد الرباط الموجود اليوم والمنسوب الى الشيخ سالم بافضل .

(١) نسبة الى رجل اسمه الزرقان يتحدث فيه مع قومه .

لمن في الحصن من القتال أو التسليم ، فتعاقدت كندة وشجع بعضهم بعضاً على أن لا يفروا وباتوا به في حالة استعداد وبات راجزهم يرفع عقيرته قائلاً :

صباح سوء لبني قتيبة وللأمير من بني المغيرة^١

وخرجت كندة تقاتل ببسالة، ولم يشر المؤرخون الى وجود مفاوضات قبل القتال لايجاد تسوية او توبة من العصاة الكنديين الذين شقوا عصا الطاعة وارتد بعضهم عن الاسلام .

وكادت تدور الدائرة في المعركة الأولى على كندة ولكنها ما لبثت أن دخلت الحصن حاملة قتلاها وجرحاها .

وأخيراً وقد قطع عنها المدد والاقوات وكثر فيها القتل فاوض الأشعث ابن قيس أشهر زعماء هذه الفتنة. ويقول بعض المؤرخين انه نادى عكرمة وطلب منه الأمان فأمنه مبدئياً وأوصله الى المهاجر بعد أن تم الأمر بينه وبينهم على ما يأتي : -

١ - أن يفتح لهم باب الحصن ليستولوا عليه وعلى من فيه .

٢ - عليهم أن يؤمنوا له عشرة نفر .

٣ - يكتب له وثيقة بهذا .

لما كتب الكتاب وبدأ تسجيل الأسماء وكانت كلها أسماء أقاربه، لم يبق الا العاشر وكان هو اذا بمعدان، ابن الاسود الكندي يهم بالبطش به وقد أخذ بحقوه وأشهر عليه شفرته ليقتله أو يسجل اسمه في تمام العشرة فسجله وترك نفسه .

(١) يعنون ببني قتيبة الصحابة ومن معهم. وقتيرة كلمة ذم كفترة وهي اسم حية خبيثة او كنية لا بليس او غيرها ، والامير من بني المغيرة هو المهاجر لا عكرمة وان كان هو مغيريا من بني مخزوم القرشيين .

وهكذا فتح الأشعث باب الحصن للجيش فدخله وقتل من فيه من المقاتلة
ضرباً أو صبراً وأسر النساء والأطفال، قالوا وتقدر النساء بألف والاسرى
- بهن - ستة آلاف .

ماذا كان مصير الأشعث في هذه الحرب

لقد كان الأشعث بن قيس ذا تقلبات وتلونات فقد عد أصحابه عمله
هذا وتسليمه الحصن شريطة حصر الأمان في أقاربه غدرأ وخيانة ١، وسواء
صح غدره في هذه الواقعة أم لم يصح فان التاريخ يحفظ له معايب عدة كعزومه
على اللحاق بمعاوية وعصيان الامام علي بعد أن كتب له كتاباً وهو عامل
للخليفة عثمان على أذربيجان يقره فيه على عمله، فهم بالمخالفة والعصيان
لكن بعض العقلاء نصحه باتباع الحق وترك الهوى وطاعة الامام حتى ارعوى ٢.
ومرة أخرى هم بعناد الامام علي وهو يخطب على منبر الكوفة فزجره الامام
وأنشد :

أصبحت قنأ لراعي الضان يلعب بي
ماذا يريك مني راعي الضان

حايك ابن حايك

وقد اتهم بأنه من الحوارج بل عدّه بعض المؤرخين منهم ٣ مع أنه
احد الذين يريدون الحكمين بين الامام علي ومعاوية؛ ولكنه فيما بعد لم

(١) المؤرخون لم يفصلوا لنا الاسباب الداعية للاشعث بالتسليم على هذه الصورة، ولشقال
قائل انه مضطربا ذايغدره في المبادرة بالتوبة وعلان التسليم؟ وما الذي يعذره في عدم خطاب
قومه ودعوتهم قبل المفاوضة وبعدها الى ما ذكرنا، حتى يسلموا وتسلم عائلاتهم لأن
الاسلام لا يأسر الا الكفار ومن بقي على كفره من المرتدين .

(٢) تجد القضية مطولة في بعض كتب التاريخ ومنها: شرح النهج لابن ابي الحديد .

(٣) انظر تاريخ الخميس في الموضوع .

(٤) القضية مفصلة في كتب التاريخ كتاريخ ابن جرير .

يخرج مع الخوارج، فان أسر رأيهم في نفسه فهو أول خارجي كندي .
 والى جانب هذا فللأشعث مواقف أخرى مشرفة كاشتراكه في الفتوحات
 الاسلامية وكهجومه على جيش معاوية بصفين حتى أزاحهم عن موضع
 الماء الذي استولوا عليه ومنعوا أصحاب الامام من الشرب، ازاحهم عنه
 واستولى عليه وبقي في قبضة جيش الامام علي الذي اباح الشرب منه لاعدائهم .
 أما مصير الأشعث في هذه الحرب فقد هم بقتله المهاجر حين لم يجد اسمه
 في قائمة المؤمنين ولكن عكرمة طلب منه أن لا يتعجل بقتله وأن يرسله مع
 السبي الى الخليفة ، وكان عكرمة صهراً للأشعث فقد تزوج قتيلة بنت قيس
 بعد هذه الموقعة^١ . وبالرغم من ان أمر الأشعث بيّن للمهاجر كما يقول هو
 بمعنى انه يستحق القتل فانه رأى الأخذ بقول عكرمة القائد الآخر :
 وفعلاً أرسله مع السبايا يحرسهم الجيش العائد من حضرموت الى المدينة .

مقابلته للخليفة

تربط الاشعث بالخليفة رابطة المصاهرة فقد تزوج أخت الخليفة ام فروة
 لما وفد على رسول الله كما تقدم . ولهذا لما قابل الخليفة أخبره بأنه لم يرتد وطلب
 منه زوجته واطلاق سراجه فأجابه الخليفة الى كل هذا .
 وهنا يستغرب موقف الاشعث حين يقول انه شح بماله ولم يرتد مع
 أن القائد الآخر المهاجر استحل دمه ودم أمثاله وقتلهم فعلاً . ولعل الأشعث
 تقلب وتلون ، ومهما يكن فقد تقدمت الاشارة الى الخلاف في رده .

وليمة الأشعث بالمدينة

لما عفا عنه الخليفة ورد عليه أهله وحقن دمه خرج الى سوق الابل

(١) انظر البرد النعيم للخطيب مخطوط .

بالمدينة وجعل يعرقها^١ فذهل الناس وصاحوا: ارتد الأشعث ، فلم يلتفت اليهم واستمر في عمله حتى عرق جميع الابل الموجودة ، ثم التفت الى الناس قائلاً لهم :

« اني والله لم ارتد ولكن هذه وليمتي، فيا أهل المدينة كلوا ويا أصحاب الابل استلموا أثمانها . ولو كنا في بلادنا لكانت وليمة غير هذه » يريد انها ستكون أفخر وأعظم ، وقد صدق فيما يقول .

وعاشت أخت الخليفة مع قرينها الأشعث وولدت له عدة أولاد منهم محمد واسحق .

من شهداء معركة النجير

انك حين تدخل مقبرة تريم وتقصد المنطقة الجنوبية الوسطى منها وتسمى زنبل تجد شرقها حائطاً صغيراً فيه عدد من القبور، هذه هي قبور بعض الجرحى الذين حضروا موقعة النجير وجيء بهم الى تريم^٢ للعلاج فعاجلتهم المنية وكان دفنهم في الموضع الذي أشرنا اليه . وأوصل بعض مؤرخي الحضارم عدة البديين بـتريم الى سبعين وعامة الصحابة الذين دخلوا حضرموت الى ثلاثمائة .

وهناك صحابة آخرون فيما يشاع بحضرموت ، وهذا لا يستبعد ما دام هناك قتال قد حصل في كثير من أنحاءها ، ومن الصحابة رضي الله عنهم شهداء في المعركة . بل أن من يقول بأن النجير هو النجير الغربي وليس هذا . يحتمل أن يكون شهداء الصحابة بزنبل تريم - اذا وافقناه على قوله - قد نقلوا اليها من معركة أخرى والله أعلم .

(١) يعرقها اي يقطع عراقيها حتى يمكن نحرها بسهولة .

(٢) انظر المشرع وأمثاله .

عباد بن بشر الانصاري

أصبح من المتواتر بين الأوساط الحضرمية وصول الصحابي الجليل عباد بن بشر الاوسي الخزرجي ووفاته شهيداً فيها على يد مانعي الزكاة الذين ضربوه بهراواتهم على رأسه حتى مات في قرية اللسك (القرية) أوقريباً منها ودفن بأعلى الجبل المسمى جبل الغراب. وهناك بحضرموت الشرقية يقام له حفل سنوي (زيارة) تقرأ فيه مناقبه ويهتم بها في الأكثر خطباء تريم الذين ينسبون اليه^١.

وفي الصحابة رضي الله عنهم رجلا ن جليلان كلاهما يسمى عباد بن بشر وكلاهما انصاري: أحدهما خزرجي قتل باليمامة في الواقعة التاريخية الشهيرة بين الصحابة وأتباعهم وبين مسيلمة وأتباعه، والثاني أوسي وهذا هو شهيد الزكاة بحضرموت ويقال له الأوسي الخزرجي. ولا تعارض في هذا النسب ففي سلسلة نسبه من يسمى من أجداده الخزرج كما أن في سلسلة قبيلة الخزرج من يسمى الأوس وان كانت الغالبية في نسب الانصار الوقوف على آخر من ينتمون اليه من أحد الجدين الاعليين، الأوس او الخزرج.

أما كتابا الاصابة والاستيعاب وغيرهما من كتب السير فليس فيها هذا الايضاح الذي أشرنا اليه. ولكنه هو المعروف والمتواتر بين أوساطنا الحضرمية^٢.

(١) وهم يقومون الى اليوم منذ ثمانية قرون بالقاء خطب ابن نباته الشهيرة في الجمعة وهي خطب بليغة مؤثرة جداً لولا أنه مناسب أن تعدل في بعض مواضعها فتتناول كل النواحي الاجتماعية في هذا العصر الحديث. وقد قال الامام الحداد في تثبيت الفؤاد: لولا الادب مع السلف لا بدلت في خطب ابن نباته. و لكلامه هذا تفسير سيأتي.

(٢) صاحب الاستيعاب لم يترجم الا للاوسي وذكر أنه قتل يوم اليمامة شهيداً اما صاحب الاصابة فقد ترجم للثنين وذكر استشهاده الاوسي بها ايضاً فهل اشبه عليه بالخزرجي؟ وعلى كل ففي نسبه الى الاوس والخزرج ما يحل الالتباس. فظر سيرة ابن هشام في نسب بني عبد الاشهل في من حضر بدرا، وقد خطأ صاحب برد النعيم من قال ان شهيد اليمامة هو الاوسي وحقق الموضوع بأدلة اخرى أوردها فيه فليُنظرها من شاء.

الآثر الذي أحدثه وجود الصحابة ببلاد حضرموت

سبق ان سقنا مجمل الحوادث التي جرت بين الصحابة والمسلمين من الحضارم ضد العصاة والمرتدين بحضرموت وكلهم أو جلهم من كندة .
والصحابه رضي الله عنهم قد امتازوا بالشجاعة النادرة لانهم يقاتلون عن ايمان وعقيدة اسلامية واعية راسخة في قلوبهم ، وطبعاً فانهم لا يستعملون القوة والشدة الا مع من لا يريد الاحتكام الا الى السيف . وكانت كندة قبل أن تخضع لهم بهذه المثابة حتى أخضعوها^١ .

وهناك طرق سلمية كثيرة استمال بها الصحابة أهل حضرموت فقد صاهروهم ، ومن أبرز من صاهرهم عكرمة بن أبي جهل الذي تزوج قتيلة بنت قيس أخت الأشعث بن قيس^٢ التي قيل ان الرسول خطبها كما تقدم . وصاهر أبو بكر الأشعث بن قيس لنفس السبب .

كما أخذ من الحضارمة جمهور عن الصحابة بحضرموت بعض العلوم الاسلامية من تفسير وحديث وأحكام كعمرو بن ميمون الاودي الحضرمي صاحب معاذ بن جبل وتلميذه^٣ .

ولى جانب هذا كله فقد تأثروا بأداب الصحابة وأخلاقهم العالية وشدة ايمانهم ونصيحتهم في سبيل المبدأ وغيرها من أمهات الاخلاق .

-
- (١) مما يستغرب أن يذكر البكري في كتابه تاريخ حضرموت السياسي أنه قد كان من المنتظر ان تجتمع ملوك كندة للانتقام من زياد وأنهم لو قاتلوا المهاجر لقضوا عليه وعلى جيشه الخ فهذا لا ينسجم مع التاريخ ولا مع الانصاف .
 - (٢) أنظر البرد النعميم مخطوط .
 - (٣) أنظر الشامل للحداد في موضوع نزول معاذ بن جبل .

حضر موت تتمسك باهداب الطاعة

طيلة قرن كامل وربع قرن تقريباً

بعد أن رسخ في حضرموت الاسلام وتأثر أهلها بالصحابة كما تقدم بقي الحضارمة كأخوانهم من جمهور البلاد العربية والاسلامية هادئين مطيعين لامرائهم وخلفائهم لم يشقوا عصا الطاعة ولم يقوموا بفتنة تذكر، بالرغم من وجود زعماء واذواء بها في هذا الدور كله^(١)، ولكنهم مشغولون بما هم فيه من جهاد خارجي واصلاح داخلي. وكان أميرها يصلها اما من مركز الخلافة مباشرة أو بالنيابة عن عامل اليمن بوصفها مقاطعة (مخلاًفاً) من مقاطعاته (مخاليفه) منذ الحروب المسماة حروب الردة التي تكلمنا عنها، حتى خروج عبدالله بن يحيى الكندي سنة ١٢٩ هـ في أواخر خلافة بني أمية التي اضمحلت سنة ١٣٣ هـ.

فالدور الماضي الذي تكلمنا عنه (ولعله أشرف الأدوار) يبدأ باندماج حضر موت في البلاد الاسلامية العربية الى ثورة الكندي الاباضي وبثورته يبدأ الدور الاباضي كما سيأتي :

الحياة الاجتماعية بحضرموت بعد دخولها

الاسلام حتى العهد الاباضي

لقد انقلبت حضر موت انقلاباً تقديمياً عظيماً بدخولها الاسلام كما انقلبت جميع البلاد العربية الى حياة اسلامية منظمة فزال الفوضى الضاربة أطناها ونوقفت الغارات وحروب النهب وما يترتب عليها من اضرار والاخذ

(١) يظهر هذا من ثنايا كتب التاريخ ومنها كتاب العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان والاذواء جمع ذو ، وهم اقل شأناً من الاقباليين وللاذواء نفوذ داخل محاجرهم وبين اتباعهم وعشيرتهم.

بالثأر ومقدماته وكسرت الأوثان ومعابد الاصنام ومنعت الخمر وتلاشى
 الفجور وطبقت التعاليم الاسلامية وصار الناس يجتمعون في مواضع الصلوات
 والجمع والزينات وانتشر الأمان فازداد العمران واتسعت رقعة الزراعة
 وتحسنت الصنائع خصوصاً النسيج وكانت النساء يشتغلن خارجاً في بيوتهن
 ويغزلن ويتنافسن في جودة النسيج وقد أهدي احد الحضارمة لرسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم كسوة من صنع أمه حين قابله بالمدينة وأسلم على
 يديه وطلب لأمه ولنفسه الدعاء منه^١. وكان الملوك والأمراء المترفون في
 ذلك العهد والأغنياء ينتقون البرود والخبر الحضرمية كما ينتقون الأطياب
 الحضرمية أيضاً ، وثققت عقول الحضارمة كغيرهم من أبناء العرب بالتعاليم
 الاسلامية فكان علماء الصحابة كزياد بن لييد ومعاذ بن جبل ومن بعدهم
 يعلمونهم ويلقنونهم إياها في خطبهم ومواعظهم ومجالسهم الخاصة ، ونشطت
 الحركة الأدبية فارتفع مستوى البلاغة في خطبهم وأشعارهم ، ونظم شعراء
 الحضارم القصائد الطنانة وقصدوا العواصم الاسلامية ومنها المدينة ، ثم
 دمشق ، لمقابلة الرسول . ومن أبرزهم امرؤ القيس بن عانس وخيار بن
 ابي اوفي النهدي .

وعم العدل والرفاهية بتوزيع الزكاة توزيعاً عادلاً على المستحقين وبما
 يتحصلون عليه من غنائم في غزواتهم حيث غزا الحضارم مع اخوانهم
 من المسلمين وهم ألوف مؤلفة الى فارس والروم ومصر والجزائر وغيرهما
 من افريقية ثم يعودون بتلك الغنائم فيوسعون بها على أنفسهم وأهلهم وبنيتهم
 في وطنهم .

وهكذا وحده الاسلام قوى القبائل الحضرمية العربية فوجهها الى الكفاح
 والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله وحفظ الكيان العربي والاسلامي بدلاً

(١) اسمه كليب بن سعدو هو معدود في الصحابة واسم امه مهناة وكليب شاعر مدح الرسول
 بقصيدة أنشدها له وهو مذكور في بعض كتب التاريخ .

عما كانت موجهة ضد بعضها بعضاً .

وظهر فيهم القواد والفتاحون للبلاد كالاشعث بن قيس الكندي المرشح لفتح نهاوند وفتح أذربيجان وأميرها والثوار ضد الملوك والامراء أمثال التجيبي المشارك في قتل الخليفة عثمان بن عفان - وكالتجبي قاتل ابن الزبير وكمعاوية ابن خديج التجيبي المدبر لقتل محمد بن أبي بكر الصديق عامل الامام علي على مصر وفيهم من تولى مناصب رفيعة في دولة الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين كالقضاة وادارة الشرطة وغيرهما ١ .

وبالرغم من أن قوى العرب المسلمين متحدة فقد تأثر الحضارة بالمذاهب الاسلامية والأهواء السياسية الداخلية والخارجية .

وهكذا حدثنا التاريخ الاسلامي عن مدى تأثير الحضارة بالمذاهب والنحل الاسلامية ، والأهواء السياسية التي ظهرت بشكل واضح بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان كغيرهم من اخوانهم العرب والمسلمين فنجد فيهم الناصبي والشيعي والخارجي والسني ممن هو أموي النزعة أو عباسيها أو علويها ، بل قد يكونون أبناء عم من أسرة واحدة وهذا ناصبي وذاك شيعي ، مثلاً ، وذاك سني وهذا خارجي اباضي .

لهذا شاركوا فعلاً في جميع الحروب والاصطدامات بين الأطراف والأسر القرشية المتنازعة على الملك من أمويين وعباسيين وعلويين ٢ . وقد كان لهذه التصرفات مع الأسف الشديد الاثر الفعال في تراجع الدول العربية والاسلامية الى الوراء وتقويض بنائها وعدم استمرار الوحدة العربية والاسلامية المنشودة التي نادى بها التعاليم الاسلامية وخاطبنا بها القرآن الكريم حين يقول : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » . وبحكم الاتصال

(١) هؤلاء المشار اليهم يعملون حضارة اما بمولدهم ونشأتهم او بقرب عهدهم وصلاتهم بمضرموت . انظر جني الشماريخ للحداد .

(٢) انظر جني الشماريخ للحداد .

بين حضارم المهجر والوطن في هذا العهد فقد سرى من الأولين الى الآخرين جميع هذه المذاهب والنحل والاهواء السياسية فوجدت في البلاد وبين أبناء البلاد . وطبيعي أن يتغلب الأصلح للبقاء والمؤيدون من قبل الأقوياء ، وسيأتي الكلام عن هذا الموضوع الذي يتكرر في الأدوار اللاحقة .

ومنهم من أقام خارج حضرموت واستقل بحارة خاصة ببعض البلاد العربية والاسلامية كحارة كنده في الكوفة^١ وفي الفسطاط وغيرهما كما ذكرته التواريخ الاسلامية وبقي متصلاً ببلاده وشعبه يواصلهم شأن الجاليات التي تهاجر من بلادها الى الخارج وهكذا كانوا حتى طال عليهم المدى واندمجوا في أهل البلاد التي هاجروا اليها .

ونجد كثيراً ممن في البلاد الأخرى ممن هو من أصل حضرمي ذا شهرة في التاريخ كعبد الرحمن بن الأشعث بن قيس من طبقة التابعين في العراق وقد قام سنة ٧٠ هـ بثورته الشهيرة في التاريخ ضد الحجاج بن يوسف عامل عبد الملك بن مروان على العراق ، وقضاة مصر التسعة في الدولة الاموية .

قال الشاعر :

لقد ولي القضاء بكل أرض
رجال ليس مثلهم رجال
من الغر الحضارمة الكرام
من الصيد الجحاجحة الضخام

وقال :

يا حضرموت هنيئاً ما خصصت به
في الجاهلية والاسلام تعرفه
من الحكومة بين العجم والعرب
اهل الرواية والتفتيش والطلب^٢

(١) يقال للمتنبى الكندي نسبة الى محلة كنده بالكوفة لا الى قبيلة كنده كما ظن البعض . انظر ابن خلكان وما قيل من انه حضرمي الاصل لعل أصله من الجعفيين الحضارمة كما سيأتي قريباً .
(٢) أنظر المشرع .

ويقال ان من هذه الجاليات المتنبية أحمد بن الحسين الشاعر الحكيم الشهير
فهو جعفي حضرمي الاصل ، وقد توفي سنة ٣٥٤ هجرية وابن خلدون
عبدالرحمن بن خلدون المؤرخ الفيلسوف الشهير المتوفى سنة ١٤٠٦م وسنة ٨٠٩ هـ .

الاحكام والمحاكم

تصدر الأحكام طبق الشرع الاسلامي كبقية الأقطار الاسلامية ويستنبطها
العامل أو مساعده من الكتاب (القرآن) والسنة ثم يجتهد فيما لا يجده فيهما ،
وينطق بالحكم وينفذه اذ في يده السلطة التنفيذية أو القضائية . وللعامل سلطة
واسعة وصلاحيه لا تكاد تحدد ويرجع فيما يفشل فيه وما لا يهتدي اليه الى
الرسول ثم الخليفة في العاصمة كما يرجع اليه في الأمور الخطيرة .

ازياؤهم

يستعملون العمام بأشكالها والجب والحلل والأزر والبرود والسراويل
ومنهم من يكتفي بالبعض منها خصوصاً سكان البوادي ، أما ميسور الحال
فقد يجمع بينها كلها . وتفصل غالباً من الأقمشة المتنوعة ، وقد تتخذ في فصل
الشتاء من آدم الأنعام المدبوغة دبغاً جيداً باوبارها وأصوافها^١ .

ومما تستعمله النساء الحمرا والبراقع على رؤوسهن كما يستعملن الفساتين
على أجسادهن وتختلف شكلاً من الفساتين العصرية ويستعملن المروط^٢
ويتحلين بالعقود حول أعناقهن والأقراط في آذانهن والدمالج في معاصمهن
والمناطق في خصورهن والخلخال في أرجلهن وكثير منهن لم يزلن سافرات^٣

(١) والى اليوم يأتي بعض أفراد العشائر الحضرمية الى المدن لابسين الجلود .

(٢) المروط جمع مرط وهو ثوب غير مخيط .

(٣) كنساء الطوائف الكادحة ، وفيما قبل هذا الدورهن ما بين سافرات ومتبرجات وقد نزلت فيهن
الآية الشريفة : « ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » .

المرأة الحضرمية في هذا الدور

والمرأة الحضرمية وفية لزوجها ، ومنهن من يأخذها زوجها في هجرته أو غزوته للجهاد ، ومنهن من تبقى في بلادها ، وتقوم بتربية أولادها وتدير منزلها ، واعداد الطعام والمشاركة في الزراعة والصناعة مع الرجل وصيانة نفسها ومال زوجها ، وقد تمر عليها السنون العديدة وهي راضية صابرة ، ولكن لم تصل غيبة الأزواج للحد الذي وصلته الآن من انقطاع بعض الأزواج عشرات السنين في الخارج حتى تشيب زوجته ويشب أولاده وهو لا يعرفهم ولا يعرفونه ، وهذا خطأ اجتماعي كبير يأباه الشرع والعروبة والانسانية .

وقد أمر سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأن لا يغيب الزوج عن زوجته أكثر من أربعة أشهر حسب الممكن وكتب الى قواده بتطبيق هذا الأمر على أفراد الجيش ، وكان الباعث على هذا قضية المرأة التي سمعها تغني وتقول :

تطاول هذا الليل وازورّ جانبه	وليس الى جنبي خليل الأعبه
فوالله لولا الله تخشى عواقبه	لحرك من هذا السرير جوانبه
مخافة ربي والحياء يردني	واكرام بعلي كي تصان مراتبه ^١

امانة الحضرمي

والحضرمي على العموم معروف اكثر من غيره بالأمانة، ويكفي الحضارمة شاهداً فيها ما أثار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغيره من اتصافهم بها .

أما نواحي حياتهم الاخرى فلا يكادون يختلفون فيها عن سائر اخوانهم العرب .

(١) وتروى هذه الأبيات في كتب الأدب بألفاظ مختلفة والغاية واحدة .

بعض الشخصيات اللامعة في ذلك العهد

وائل بن حجر الحضرمي

هذه الشخصية الكبيرة لها مكانتها في الجاهلية والاسلام ، فأما في الجاهلية فلأنها سلالة ملوك توارثت الملك وتقاليده عن آبائها بحضرموت ، وقد اخطأ بعض المعاصرين اذ أبدل اسمه باسم ابيه وقال انه ملك تريم^١ . وقد وفد بمفرده على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة فأسلم ، ويقال أنه أول وافد من حضرموت الى المدينة وقد بشر النبي به اصحابه قائلاً : « يأتيكم بقية ابناء الملوك » قبل مقدمه مما يدل على اهتمام الرسول به ومرة اخرى قال : هذا وائل سيد الاقيال .

ومن المعلوم أن استقباله بالمدينة كان استقبالاً حاراً الى درجة أن الرسول بسط له رداءه حتى لا يجلس على الأرض وأصعده على منبره ودعا له ولنسله بالبركة الى يوم القيامة ، ومنهم المؤرخ الفيلسوف عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي صاحب المقدمة الشهيرة وغيرها من الكتب ، وله آراء صائبة في التاريخ تفرد بها وقد سبق له ذكر .

كتب الرسول لوائل ثلاثة كتب^٢ ومن أشهرها كتابه الطويل المتضمن بعض أصول الأحكام الشرعية الذي يقول فيه الى الاقيال العباهلة^٣ ولغته حميرية . ولعل ذلك يرجع الى الرواة الذين يستعملونها فرووا كتاب النبي

(١) البعض هو صلاح البكري في كتابه المسمى (في جنوب الجزيرة العربية) ولم ندر من اين مصدره في هذا وأمثاله مما سيأتي بعضه عند المناسبة على أن المعروف عن وائل انه ملك بعض القطاعات الساحلية و القطاعات المتعلقة بشبوة ، فالخطا في الاسم وفي المملكة .

(٢) انظر كتب السير وترجمته في الاصابة والاستيعاب .

(٣) جمع عيهل بالباء الموحدة والعباهل طائفة من الأقيال . انظر كتاب العرب قبل الاسلام . وزاد بعضهم بأنهم الملوك الذين أقروا على ملكهم .

بالمعنى ، لأنها تعد غريبة الالفاظ بالقياس الى كتب النبي الاخرى ويمكن أن يكون مخاطبه بها لأنه يخاطب كلاً بلغته ولعل الاول اقرب .

وقد أقره الرسول على ما ورثه من ملك تقليدي أو امارة تقليدية عن أهله كما هي عادته صلى الله عليه وآله وسلم ، ان يبقي كل من يسلم من أرباب العروش عليها بادي ذي بدء ما دام يخضع لحكم الاسلام ويلتزم مبادئه .

صنم وائل بن حجر

ويذكر العلامة المؤرخ السيد احمد دحلان في سيرته عن وائل أنه قال : وسبب وفودي على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان لي صنم من العقيق ، فينما أنا نائم في الظهيرة إذ سمعت صوتاً منكراً من المخدع الذي به الصنم وسجدت بين يديه واذا قائل يقول :

واءجبا لوائل ابن حجر يخال يدري وهو ليس يدري
ماذا يرجى من نحيب صخر ليس بندي نفع ولا ذي ضرر
لو كان ذا حجر أطاع امري

قال : فقلت أيها الهاتف الناصح فما تأمرني ، فقال :
ارحل الى يثرب ذات النخل تدين دين الصائم المصلي
محمد النبي خير الرسل

(١) وجدت في ذلك العهد وغيره كثير من أنواع الحجارة الكريمة بحضر موت ومنها العقيق الفاخر أنظر حضارة العرب لغستاف لوبون .

ثم خرّ الصنم لوجهه فاندقت عنقه فقامت اليه فجعلته رفاتاً ثم سرت
مسرعاً حتى اتيت المدينة فدخلت المسجد ... الحديث .

وتستخرج من هذه الرواية مدى تفنن العرب في صنع الأصنام واستيثارهم
بها ومن الممكن ان يُتأول هذا الهاتف بأنه احد الأشخاص المؤمنين اختبأ
خارج المخدع أو داخله ، وخاطب وائلاً بما خاطبه ليجعل ذلك وسيلة
الى اسلامه .

بماذا اشتهر هذا الصحابي رضي الله عنه

أما في الجاهلية فهو كأمثاله من امراء ومشائخ حضرموت والبلاد العربية
كثير الاعتزاز بأرستقراطيته وسلطانه وامجاده وله فضائله في جاهليته من
قوى الضيف وحماية الجار ورفع شأن القبيلة .

الزجر

ووائل رضي الله عنه زاجر في الجاهلية وقد يستعمل الزجر بعد اسلامه^١
كما اعتاده في جاهليته ، والزجر وبمعناه القيافة من علوم العرب كالكهانة^٢
والمراد به زجر الطير او الوحش او إطارته او تجفيله ، وملاحظة الناحية
التي يسلكها والهيفة التي عليها ليبي على ذلك تفاؤله او تشاؤمه . قال الكميث
ابن زيد في بائته الشهيرة :

-
- (١) روى له صاحب الاستيعاب قصة الزجر مع زياد بن أبيه فانظرها هناك ان شئت .
(٢) الى اليوم لا تزال بعض القبائل البدوية يتكهن أفراد منها بواسطة لون السحب أو خطوط
الكف أو عظم كتف الشاة بعد أكله فيصدقون في ذلك احياناً .

ولا أنا ممن يزجر الطير همه اطار غراب ام تحرك ثعلب
ولا السانحات البارحات عشية أمر سليم القرن ام مرأعضب

وقد يصدق الزاجر فيما يقول كما قد يصدق الكاهن ولعل ذلك من قبيل الايحاء النفسي او الصدفة ولكن لما جاء الاسلام نهى عن ذلك وابقى بعض علومهم التي لها دخل في الطب والاختبار كالقيافة ، وهي معرفة النسب بالدم والملامح ، وقد اقتصت بها بعض قبائل العرب كبنو مدلج .

وائل بعد اسلامه

وبعد اعتناقه الإسلام وتمكنه فيه لم ير نفسه إلا فرداً كغيره من أفراد المسلمين وأضاف الى عزته في الجاهلية نزاهة وعزة اسلامية وغيره على الحق وجهاداً في سبيله ، فانقل من حضرموت غازياً في سبيل نشر العقيدة والعدالة الاسلاميتين ، ونزل الكوفة ، وكان في صف حجر بن عدي الكندي الشهير والشهيد الذي قتله معاوية اول ملك في الاسلام بعد الخلفاء الراشدين . وذلك لان حجراً رضي الله عنه كان يعارض عامل معاوية نائبه على الكوفة في لعن الامام علي بن ابي طالب على المنبر وفي تأخير الصلوات عن وقتها ، واضاعة الوقت من العامل ، والتشفي بلسانه على المنبر من خيار الأموات والحقدهم عليهم وفي مقدمتهم رحمهم الله الامام علي رضي الله عنه . كما انتقد فساد الحكم اذ ذلك مما ادى الى القاء القبض على حجر المشار اليه ، ومعه بضعة عشر رجلاً من أنصاره ومعتنقي مذهبه ، ومنهم المترجم له ، وأرسلوا الى معاوية بالشام فقتل حجراً رحمه الله وبعض أصحابه ، وضج الرأي العام الإسلامي لقتلهم اذ ذلك ، وأطلق البعض منهم وائل المترجم له وتوفي بعد مدة قريبة من هذه الحادثة رحمه الله .

محاورته مع معاوية

كان للمترجم له مع معاوية محاورتان متعاكستان فالمحاورة الاولى وقعت بالمدينة وذلك لما وفد وائل الى المدينة وأعد له منزل خاص ينزل فيه في حرة المدينة وأشار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على معاوية بأن يرشده الى نزله ، وكان حر الرمضاء شديداً والمنزل بعيد في ضاحية المدينة ووائل راكب ناقته ومعاوية راجل حاف فما وسعه الا أن يطلب من وائل ان يعطيه نعليه لتمنع عنه الرمضاء ، فأجابه وائل الذي لا يزال قريب عهد بالجاهلية معجباً بأبهة الامارة الموروثة بأنه يخشى أن يبلغ أهل اليمن بأن سوقه مثل معاوية في نظره إذ ذاك، لبس نعل أحد أقبالهم يعني نفسه . فخاطبه في أن يردفه فأجابه معتزلاً بنفسه بأنه ليس من أرداف الملوك وإنما يكفيه أن يسير بمعيته في ظل ناقته ، وهكذا صبر معاوية على هذا الضيف الكريم وربما كان ثقيلاً في نظره .

أما المحاورة الثانية فقد جرت بدمشق ومعاوية ملك قد تولى الخلافة ، ووائل فرد من أفراد الشعب وقد ذاق حلاوة الاسلام، فسلم على معاوية فاستقبله معاوية احسن استقبال وقدم له جائزة فاعتذر عن قبولها بأن في المسلمين من هو أحق بها وأحوج اليها منه . وهذا إنما يدل على نزاهته وعفته . وتذكر قضية الحرة القديمة وود لو أنه اركب معاوية على ناقته إذ ذاك .

قيسبة بن كلثوم السكوني

فارس الحضرميين في فتوحات مصر

نشأ قيسبة هذا في اسرة نبيلة لها رياستها على قبيلة السكون الكندية والرجل منذ نشأته ذو وازع ديني ويميل الى التحنث والعبادة . وكان في جاهليته متمسكاً بعبادة الأصنام وزيارتها ولكنه فيما بعد انتشر الاسلام بحضرموت

وعاه حق الوعي واعتنقه وصار من كبار الفرسان المجاهدين في سبيله . وكان أحد قادة الحضارم في فتح مصر عام ٢٠ هجرية ، ومما حواه من الغنائم قصر الشمع بمصر القديمة ولكنه لحبه الخير تنازل فيما بعد عنه للمصلحة العامة ، فهدم وبني في موضعه مسجد عمرو بن العاص الشهير .

منزلته بين قومه ومواطنيه

حاز قيسبة ثقة كبيرة بينهم لما فيه من حسن الخلال ومن أهمها الشجاعة والاستقامة وحب الخير ، ويعد من أبرز فرسان وشعراء حضرموت اذ ذلك ، وكثيراً ما تقرن الفروسية بالشعر عند سادة العرب .

ولما توجه في جاهليته الى الحجاز لزيارة الكعبة الشريفة بمفرده تعرضت له قبيلة بني عقيل في واقعة يسوقها لنا ابو الفرج الأصبهاني في الأغاني بأسلوب جميل ، ونستنبط منها فوايد اجتماعية كثيرة عن ذلك العهد فلنتركه يتحدث كما يقول فيما يلي :

خرج قيسبة بن كلثوم السكوني ، وكان ملكاً يريد الحج وكانت العرب تحج في الجاهلية ، فلا يعرض بعضها لبعض فمر ببني عامر بن عقيل فوثبوا عليه فأسروه وأخذوا ماله وما كان معه ، والقوه في القيد فمكث فيه ثلاث سنين ، وشاع باليمن ان الجح استطارته . فبينما هو في يوم شديد البرد في بيت عجوز منهم اذ قال لها اتأذنين لي أن آتي الاكمة فاتشرق عليها فقد اضربني القر فقالت له نعم ، وكانت عليه جبة له حبرة لم يترك عليه غيرها فتمشى في أغلاله وقبوده حتى صعد الاكمة ثم أقبل يضرب ببصره نحو اليمن وتغشاه عبرة فبكى . ثم رفع طرفه الى السماء وقال اللهم ساكن السماء فرج فيما اصبحت فيه ! فبينما هو كذلك اذ عرض له راكب يسير فأشار اليه أن أقبل فأقبل الراكب فلما وقف عليه قال له ما حاجتك يا هذا ؟ قال

ابن تيريد، قال اريد اليمن، قال ومن أنت ، قال ابوالطمحان القيني، فاستعبر
 باكياً فقال له ابوالطمحان ومن أنت فاني أرى عليك سيما الخير ولباس
 الملوك وأنت بدار ليس فيها ملك ، قال أنا قيسبة بن كلثوم السكوني،
 خرجت عام كذا وكذا أريد الحج فوثب علي هذا الحي فصنعوا بي ما ترى
 وكشف عن أغلاله وقيوده . واستعبر ابوالطمحان فقال له قيسبة هل لك
 في مائة ناقة حمراء، قال ما احوجني الى ذلك ! قال فأنخ ، فاناخ . فقال له
 أمعك سكين قال نعم . قال ارفع لي عن رحلك فرفع له عن رحله حتى
 بدت خشبة مؤخره وكتب عليها قيسبة بالمسند وليس يكتب به غير أهل اليمن .

بلغا كئدة الملوك جميعاً حيث سارت بالاكرمين الرجال
 ان ردوا العين بالخميس عجالا واصدروا عنه والروايا يقال
 هزئت جارتى وقالت عجبياً اذ رأته في جيدي الأغلال
 ان تربي عاري العظام اسيرا قد عراني تضعع واختلال
 فلقد اقدم الكتبية بالسيف علي السلاح والسربال

وكتب تحت الشعر الى أخيه أن يدفع الى ابي الطمحان مائة ناقة ثم قال
 له : اقرىء هذا قومي فانهم سيعطونك مائة ناقة حمراء فخرج تسير به ناقته
 حتى اتى حضرموت فتشاغل بما ورد له ونسي امر قيسبة حتى فرغ من
 حوايجه، ثم سمع نسوة من عجائز اليمن يتذاكرن قيسبة ويبكين فذكر أمره
 فأتى أخاه الجون بن كلثوم وهو أخوه لأبيه وأمه ، فقال له يا هذا اني أدلك
 على قيسبة وقد جعل لي مائة من الأبل قال له فهي لك فكشف له الرجل
 فلما قرأه الجون أمر له بمائة ناقة ، ثم اتى قيس بن معد يكرب الكندي أبا
 الأشعث بن قيس فقال له : يا هذا ان أخي في بني عقيل أسير ، فسر معي
 بقومك ، فقال له اتسير تحت لوائي حتى اطلب ثارك وانجذك والا فامض
 راشداً فقال له الجون مسّ السماء أيسر من ذلك وأهون علي مما خيرته.
 وضجت السكون ثم فاءوا ورجعوا وقالوا له وما عليك من هذا! هو ابن
 عمك ويطلب لك بثأرك فانعم له بذلك ، وسار قيس وسار الجون بعد

تحت لواء كندة، والسكون^١ معه فهو اول يوم اجتمعت فيه السكون وكندة لقيس وبه أدرك الشرف فسار حتى اوقع بعامر بن عقيل فقتل منهم مقتلة عظيمة واستنقذ قيسبة وقال في ذلك سلامة بن صبيح الكندي :

لا تشتمونا ان جلبنا لكم الفتي كमित كلها سلهبه^٢
نحن^٣ ابلنا الخيل في أرضكم حتى أسرنا منكم قيسبه
واعترضت من دونهم مذحج فصادفوا من خيلنا مشغبه^٤
توفي في العقد الرابع من الهجرة .

امرؤ القيس بن عانس الصحابي الشاعر المشهور^٥

هو كندي حضرمي ، ويقال أن مسقط رأسه تريم ، وقد اشتهر بمثانة العقيدة الإسلامية لديه وثباته عليها ، ووعيه للاسلام ، وتعاليمه السامية ، ولهذا انكر على الأشعث رده ، فهو من الأفراد القلائل الذين جمعوا في ذلك العهد بحضرموت بين فقه الاسلام والتضحية في سبيله وبين الأجداد القومية التي تلائمه ولهذا فهو فارس مقارع ومطواع لما عليه احكام الاسلام وأوامره .

منازعته مع ربيعة بن عيدان الحضرمي

وقد تنازع مع ربيعة بن عيدان^٥ في أرض بحضرموت ولعل اسمها

(١) من المعلوم ان السكون قبيلة من كندة ولكنها تنفرد بنفسها لكثرة رجالها بالنسبة لقبائل كندة الأخرى .

(٢) اي طويلة .

(٣) لعله مستعار من ابل الابل اذا احسن سياستها .

(٤) عانس بالنون كما في المشرع .

(٥) بالياء المثناه .

المحترقة^١ وقال بعضهم^٢ هي بير^٣ عند القرية المسماة انف خطم تدعى بحيرة^٤ وذلك بالجبل المقابل لجبل الغرفة وهو السرير واختلفت الروايات في أيهما المستولي عليها وأيها الداخل وأيها الخارج ، والمشهور أن صاحبنا امرأ القيس هو الداخل اي المدعى عليه . ولما كان الحال بمضرموت قد تبدل من الجاهلية الى الاسلام لم يسع الاثنان بعد أن استعصى التوفيق بينهما بمضرموت إلا أن يذهبا الى المدينة عند الحكم الأخير محمد صلى الله عليه وآله وسلم . فقدم كل ما عنده وصدر الحكم طبق القاعدة القضائية الشهيرة وهي : البينة على المدعي واليمين على من انكر . ولم تكن مع خصيمه بينة بما يدعي فحلف امرؤ القيس وبقيت أرضه تحت يده . وفي رواية صحيحة أنه جرى ما يأتي :

ربيعة يقول للرسول لما حكم على امرئ القيس باليمين - ان حلف ذهب بارضي؟ والرسول يجيبه - من حلف على يمين كاذبة يقتطع بها حق أخيه لقي الله وهو عليه غضبان .

امرؤ القيس : فما على من تركها وهو يعلم أنه محق؟
الرسول : الجنة .

امرؤ القيس : إني اشهدك اني قد تركتها .
وهكذا ضحى امرؤ القيس بأرضه من أجل الجنة من غير أن يطلب منه شيئاً^٥ .

وعادا وقد تم الفصل بينهما بهذا . وذلك في آخر حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) أرض معروفة بمضرموت الوسطى قرب الغرفة .

(٢) أنظر البرد النعيم مخطوط .

(٣) بمعنى البستان او المزرعة .

(٤) بالتصغير .

(٥) هل لنا أن نجتمع بين الروایتين بأنه حلف ثم تركها اي الأرض؟

أما شجاعته فقد عرفت عنه بما ابلى به في حروب الردة مع المسلمين وفي صف جيش الخليفة وقد قاتل عن وعي اسلامي كما قلنا وإيمان متين ، ولهذا لم يبال بقتال أقاربه من كندة ومواطنيه ، وكان ضابطاً يوم اليرموك على كردوس^١ من كراديس الجيش .

قضيته مع عمه وتضحيته في سبيل المبدأ

ولما كان عمه في الصف الآخر مع العصاة ضد جيش الخليفة هجم عليه امرؤ القيس ليقتله ، وجرت بينهما محاورة ومصاولة ، فقد قال له عمه اتقتلني وأنا عمك فأجابه بأنه يضحى به وبما عز عليه في سبيل الله . وقد تكررت مثل هذه الواقعة في صدر الإسلام بين أصحاب الرسول واقربائهم . كما جرت بين ابي بكر وابنه عبد الرحمن وبين عمر وأخيه ضرار ، وبين ابي عبيدة وأبيه الجراح ، كما يجري بين أصحاب المبادئ وبين أعدائهم من أقاربهم في جميع العهود البشرية الى اليوم .
والتاريخ يثبت لنا ان امرأ القيس قتل عمه مباشرة في سبيل المبدأ .

شعره

وشعره بليغ سلس متداول ومنه ما يحرض به قومه على الإسلام ومن أشهره قوله وكأنه يرثي نفسه :

قف بالديار وقوف حابس وتأن انك غير آنس
لعبت بهن العاصفات الرائحات الى الروامس

(١) الكردوس فصيلة من الجيش فيها نحو عشرين مقاتل .

ماذا عليك من الوقوف بهامد الظليلين دارس
يا رب باكية علي ومنشد لي في المجالس
أو قائل يا فارساً ماذا رزئت من الفوارس
لا تعجبوا ان تسمعوا هلك امرؤ القيس بن عانس

وقد قلده أبو فراس الحمداني حين يقول :

زين الشباب أبو فراس لم يمتع بالشباب

ومن شعره هذان البيتان اللذان كتبهما لسيدنا ابي بكر في حروب الردة :

الا ابلغ ابا بكر رسولاً^١ وبلغها جميع المسلمينا
فليس مجاوراً بيتي بيوتاً بما قال النبي مكذيينا

ومن شعره الغزلي والفخري قوله من قصيدة مطلعها :

تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد

ثم قال : وباتت وبات له ليلة

وذلك من نباً جاعني وانبتته عن بني الأسود

ولو جاعني نباً غيره وجرح اللسان كجرح اليد

لقلبت في القول ما لا يزا ل يوثر عني يد المسند

بأي علاقتنا ترغبو ن أعن دم عمرو على مرثد

فان تدفنوا الداء لم نخفه وان تبعثوا الداء لم نقعد

وأن تقتلوننا نقاتلكموا وان تقصدوا لدم نقصد

على عهدنا بطعان الكما ة والمجد والحمد والسودد

وبني القباب وملء الجفان والنار والحطب الموقد

وتوفي في العقد الثالث من الهجرة .

(١) بمعنى رسالة .

المقنع الكندي

هو محمد بن ظفر بن عمير الكندي ، قالوا ولقب بالمقنع لأنه يضع قناعاً على وجهه في المواسم العامة التي تجتمع الجنسين من العرب حتى لا تفتتن به النساء ، ولأنه يخشى اذا اسفر عن وجهه وتأمله الناس أن يصاب بالعين لفرط جماله المدهش ، وكان من اسرة كندية حضرية ذات رئاسة وسؤدد. وكان المقنع أبرزها ولكنه لما اتلف أمواله وجدت الأسرة فيه نقطة ضعف ، فرفض أن يزوجه ابنا عمه لما خطب اختهم رغم ما فيه من الصفات الحميدة الاخرى ، فتألم منهم ولم يتراجع عن سخائه .

والرجل مثال الشهامة والنبيل والاريجية العربية الى درجة أنه لا يرد سائلاً عن عطاياه حتى اتلف جميع ماله وركبته الديون فهو من الأجواد القلائل الذين تضرب بهم العرب المثل في الكرم امثال حاتم الطائي الشهير . وهذه الشخصيات لا يخلو عنها عصر من عصور العرب حتى اليوم وهي لا تستطيع أن تتحول عن مألوفها لما جبلت عليه ونشأت من السماحة والجود ، فهي لا تجعل للمال اعتباراً حين توازن بينه وبين حسن السمعة ونباهة الذكر ورجاء الثواب ، وفيها مناعة واحتمال لحالات البؤس والفقير التي تتابها أحياناً نتيجة هذا الكرم .

من أجل هذا لم يفد في المقنع عتب أقاربه ، ولا انتقاد بعض عظماء زمانه عليه ، وإنما ذهب لطيبته يجود بما يحصل معه حتى غير - بكرمه الطبيعي - بخلاء عصره ، فهذا عبدالمملك بن مروان يوجه سؤالاً في ندوته قائلاً للحاضرين اي الشعراء أفضل فقال أحدهم معرضاً ببخل عبد الملك أفضلهم المقنع الكندي حيث يقول :

اني احرض أهل البخل كلهم لو كان ينفع اهل البخل تحريض
ما قل مالي إلا زادني كرمًا حتى يكون برزق الله تعويض

والمال يرفع من لولا دراهمه
 لن تخرج البيض عنقواً من اكفهم
 امسى يقرب فينا طرف مخفوض
 الا على وجع منهم وتمريض
 عند النواذب تحدى بالمقاريض
 كأنها من جلود الباخلين بها

فأجاب عبد الملك بعدما سمع هذا الشعر وعرف ما يراد به الله أصدق من المقنع حيث يقول: «والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا»، ولكن عبد الملك نفسه لم يتحل بهذه الآية التي هي أساس من أساس الاقتصاد فهو يعد من البخلاء كما يروي التاريخ. وصاحبنا المقنع ذو قامة مديدة وتقاطيع جميلة ووجه مشرق وخلق نبيل وكرم فائق كما ذكرنا ولو كانت تقام في أسواق العرب معارض للجمال ولاصحاب الأجسام الرياضية لكان صاحبنا المقنع المقدمة او الفائز الاول بالجائزة^١ ويعد في طبيعة شعراء العهد الأموي وكأنا نشاهده ماثلاً أمامنا حين يصف حالته النفسية ويدي بحجته في إتلاف ماله، ويوازن بينه وبين بني عمه . وهو يقول هذه الأبيات التي سارت مسير الركبان في ذلك العهد والى اليوم :

وإن الذي بيني وبين بني أبي
 فما أحمل الحقد القديم عليهم
 وليس رئيس القوم من يحمل الختدا
 وليسوا الى نصري سراعاً وانهم
 دعوني الى نصر اتيتهم شدا
 اذا اكلوا لحمي وفرت لحومهم
 وان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
 يعاتبني في الدين قومي وإنما
 تدينت في اشياء تكسبهم حمدا

(١) قال في الأغاني ان ثلاثة من العرب يقنعون وجوههم في مواسم العرب لثلا تفتتن بهم النساء وهم المقنع الكندي ، ووضاح اليمن ، و ابو زيد الطائي .

ومما ينسب اليه هذه الأبيات الوعظية :

نزل المشيب فأين تذهب بعده

هلا ارعويت وحن منك رحيل

كان الشباب خفيفة أيامه

والشيب محمله علي ثقل

ليس العطاء من الفضول سماحة

حتى تجود وما لديك قليل

كانت وفاته رحمه الله في اواخر الدولة الأموية وذلك في العقد الثالث

من القرن الهجري الثاني .

الدُّورُ الْأَبَاضِيُّ

من سنة ١٢٩ إلى سنة ٥٩١ هـ

الدور الأباضي

من سنة ١٢٩ الى سنة ١٥٩١ هـ

وانما نسبنا هذا الدور الى الاباضية مع أن سلطتهم فيه ما بين مد وجزر حتى تكاد تنعدم أحياناً لأن دولتهم عاشت فيه ما بين قوة وضعف أكثر من غيرها ومع وجود سلطات اخرى غيرهم ، وهذا الدور هو الدور الغامض المجهول أكثره من تاريخ حضرموت المفصل ، وذلك لعدم وجود المصادر فيه أو لأنها أكثر ندرة من مصادر بقية الأدوار الحضرمية ، وقد أجمع مؤرخو حضرموت على ذلك واختلفوا في سبب انعدامها أو ندرتها^٢. ويظهر أن السبب الرئيسي هو عدم اهتمام الحضارمة والاباضية منهم بصورة خاصة بتدوين التاريخ^٣ بل الحمدود الاباضي السابق يأبى تدوينه في تلك العهود، وهذا يعني انه لو وجد مؤرخون من بينهم اذذاك فان تواريخهم ضاعت ضحية الاهمال والفوضوية الضاربة أطنابها في البلاد

-
- (١) يؤخذ من تاريخ شنبل - في تاريخ ابن هاشم الى سنة ٥٦١ هـ ولم نعرف مصدر الاستاذ ابن هاشم وقد يكون اشبه عليه الستون بالتسعين ، ولا يتعارض هذا مع بقاء الحركة الاباضية اثناء القرن السابع فانها حركة مذبوح ويقول ابن خلدون في تاريخه ان دولة الاباضية بقيت جنورها شرقي اليمن الى القرن السابع .
 - (٢) أنظر رسالة المؤرخ السيد عبدالله بلفقيه المسماة : نحو المدخل الى التاريخ الحضرمي .
 - (٣) انظر تحفة الأعيان في تاريخ عمان لمؤلفه أبي محمد السالمي .

وعدم الاحتفاظ بالذخائر العلمية ولكننا مع هذا نفتح باب الأمل في أن يعثر المؤرخ على مصادر لهذا الدور بالبحث والتنقيب في كل منطقة تاريخية علاوة على ما يلتقطه من هنا وهناك

توطئة وتمهيد

من هم الإباضية! ومن هم الخوارج؟

الإباضية فرقة من الخوارج منسوبة الى عبدالله بن أباض المري اول أئمتها ولها مذهب خاص فيه بعض أصول المذهب الخارجي .

والخوارج هم الطائفة التي خرجت على الامام علي بصفين وشقت عصا الطاعة محتجة عليه بتحكيم الحكيمين في النزاع بينه وبين معاوية حسبما هو مشروح ومفصل في كتب التاريخ الاسلامي العام^١. ولقد قاتلهم الامام علي بالنهروان بعد أن ارسل اليهم ابن عباس رضي الله عنهما فحاجتهم في خروجهم حتى أقنع بعضهم فعاد الى الطاعة وأصر بعضهم على رأيه وهم بضعة آلاف رجل قاتلهم بالنهروان وان لم يبق منهم الا أفراد هربوا، ومنهم تفرعت فرق الخوارج. وبقي مذهبهم موجوداً واستمر خروجهم ضد خلفاء المسلمين من أمويين وعباسيين وغيرهم .

والخوارج عشرون فرقة ، وأبرزهم الإباضية وهي أربع فرق^٢. ويغلب على الخوارج الجحود والتزمت والشدة في مذهبهم وفي أعمالهم وفي تنشئاتهم وفي أدبهم وخطاباتهم وقل أن يعرفوا للتسامح طريقاً ، ولهذا فقد تميزوا عن بقية الفرق بأصول أنكرتها عليهم غالبية الامة الاسلامية. ومما قالت به

(١) انظر تاريخ ابن جرير وكتاب الفرق بين الفرق لعبدالقاهر البغدادي .
(٢) واليزيدية منهم غلاة وكفروا لقولهم بنسخ شريعة الاسلام آخر الزمان. من الفرق بين الفرق - وليسوا بيزيدية العراق المعروفين .

الاباضية وبعض فرق الخوارج ما يأتي :

- ١ - كفر مرتكب الكبيرة من المسلمين ويسمونه كافراً .
- ٢ - الكبيرة لا يغفرها الله بدون توبة وهذا مخالف لنصوص القرآن ولعلمهم يوؤلونها .
- ٣ - عدم امكان الاستدلال بغير نص الكتاب والسنة دون القياس والاجماع ولكنهم يقولون بالقياس من حيث كونه داخلاً في الرأي الذي يقولون به .
- ٤ - كل من خالفهم من المسلمين ليسوا مؤمنين ولا مشركين وانما هم كفار عندهم .
- ٥ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم وان لم يكن من أهل السلطة والنفوذ .
- ٦ - عدم لزوم الامامة في قريش مع وجوبها على المسلمين بنصب امام تقي كفو منهم . ولهم عقائد أخرى منها التحامل على الامام علي وأتباعه وعلى الخليفة عثمان^١ ولكن مذهبهم لم ينتشر ويتسع وتؤلف فيه كتب كثيرة ، كالمذاهب الاسلامية الشهيرة من سنية وشيعية ، ولم ينبغ منهم علماء كثيرون كما نبغوا في تلك الفرق ، ولضيق الاثق الذي اعتبرى عقولهم ومذهبهم ضاقت بهم الممالك والمسالك وأكثروا من شق عصا الطاعة وابوا الدخول فيما دخل فيه عموم المسلمين ، كما يحدثنا التاريخ الاسلامي في خروجهم على الأئمة . ولامتيازهم بالشجاعة الهائلة والتمسك بالعميقة كان لهم أثر كبير في اضطراب جبل الأمن العام خصوصاً في العراق ، وفي البلاد التي استولوا عليها على غرة من خلفاء الاسلام كحضرموت وعمان اللتين اسسوا لهما دولته .

(١) انظر الفرق بين الفرق وانظر الملل والنحل .

شخصيات معروفة من ائمة وزعماء الاباضية بحضرموت

عبد الله بن يحيى الكندي :

هو أول امام اباضي عرف بحضرموت وهو صاحب الثورة ضد مروان ابن محمد الأموي سنة ١٢٩هـ وقتل سنة ١٣٠هـ وسيأتي الكلام عنه وعنهما .

عبد الله بن سعيد الحضرمي

ولما قتل عبدالله بن يحيى تولى الامامة والزعامة بعده على حضرموت فقاد الثورة فيها وجعل مركز قيادته شبام كما سيأتي، ولا ندري هل قتل فيمن قتل من الثور ام نجا؟ وهل هو عبدالله بن سعيد الذي عزله أهل حضرموت وولوا بدله اماماً آخر يدعى خنبشا^١ أم لا؟

وهناك زعيمان آخران من أبرز أصحاب عبدالله بن يحيى وهما يحيى ابن كرب الحميري ، وابن السباق الكلاعي وقد حاول كل منهما أن يقوم باستيناف ثورة عبدالله بن يحيى ففضي على حركتهما باليمن ، فان لم يكونا حضرميين نشأة فهما وثيقا الصلة بحضرموت ومنتدجان مع أباضيتها .

محمد بن عمرو الحضرمي

ويذكر التاريخ شخصية حضرمية اباضية عرفت بالبسالة والزعامة في أواخر القرن الثاني الهجري واسم صاحبها محمد بن عمرو بن عبدالله الحارثي الحضرمي^٢ قاتل معن بن زائدة الشيباني كما تفيد بعض المصادر التاريخية وسيأتي الكلام عنه .

(١) أنظر تحفة الأعيان في تاريخ عمان للسالمي .

(٢) نسبة الى بني الحارث بن حضرموت .

ابو اسحاق الهمداني ووالده

وفي أوائل وأواسط القرن الخامس الهجري لمع نجم ابي اسحق ابراهيم ابن قيس بن سليمان الهمداني الحضرمي بحضرموت فتولى امامة الاباضية بها وربما كان سنة ٤٥٤هـ كما يقول في شعره :

بحول الهي لا بحولي وقوتي وتوفيقه اظهرت بالسيف دعوتي

الى أن قال :

بتاريخ شوال وفي عام اربع وخمسين تقفو أربعا من هنيذة^١

وكان قبل ذلك تابعاً لأئمة عمان الاباضيين وهو بحضرموت ويدين هو ومن تبعه لهم بالولاء وبينه وبينهم صلوات وثيقة وتعاون ضد أعدائهم وأعدائه فهم يمدونه بالمال والرجال والذخائر الحربية الى حضرموت وهو بدوره يبدي استعداداه لنصرتهم في عمان اذا أشير عليه بذلك ، وقد قاوم الصليحي لما هاجم حضرموت كما يستدل من شعره . وابو اسحاق قد شهر بالعلم والأدب والبسالة والبلاغة وعد فحلاً من فحول الشعراء ، وله قصائد بليغة طنانة امتازت بالرصانة والجزالة يسجل فيها أسماء شخصيات بارزة ووقائع حربية بحضرموت غير انه من الصعب أن نجد ما يكشف لنا الستار عنها ، ويظهر ان ابا اسحاق كان يحاول أن يدخل حضرموت كلها في الاباضية فلم يتم له ذلك ، وقد أمضى حياته في حروب ومصادمات مع أعدائه من الداخل والخارج الى أن مات .

اما أبوه فهو من زعماء الاباضية ورجال العلم والثروة والنفوذ بينهم بحضرموت وهو الذي عني بتربية ابنه ابي اسحاق وتعليمه وتهذيبه حتى

(١) هنيذة بمعنى مائة والعرب تطلق هنيذة على المائة من الابل فقط ولكن ابا اسحاق أطلقها على المائة من السنين ايضاً .

نبلغ فيما نبلغ فيه وتفوق على أبيه وتاريخ الأب والابن لم يعرف الا من ديوان الأخير ومقدمته^١ فهما المصدر الوحيد لتاريخهما ولم يشر اليهما أي مصدر آخر قبلهما فيما أعلم مما جعل بعض مؤرخي هذا العصر^٢ يكاد يتشكك في وجود ابي اسحق .

ومن زعماء الأباضية في القرن السادس آل النعمان من بني الدغار أمراء شبام أو سلاطينها كما يسميهم البعض ، ومن أبرزهم راشد بن أحمد بن النعمان الذي قام بحركات ضد السلطان السني عبد الله بن راشد ثم قتل سنة ٥٦٥ هـ . وهم معاصرون لبني عمومته من آل راشد كما سيأتي . هذا هو استعراض زعماء الأباضية الذين انتزعنا أسماءهم من بين ثنايا المراجع التي بين أيدينا ولا يبعد الحصول على آخرين بمواصلة البحث والتنقيب .

ثورة طالب الحق عبدالله بن يحيى الكندي الاباضي

هذا هو أشهر زعيم سياسي وديني حضرمي في عصره، وقد لقبه أتباعه بهذا اللقب «طالب الحق» الذي اشتهر به والذي أرادوا أن يرمزوا به الى مبدئهم الثوري . وهو من بني شيطان^٣ المنتمين الى بني عمرو بن معاوية الكندي نسباً الاباضي عقيدة ومذهبا ، وقد ثار في حضرموت ضد بني أمية سنة ١٢٩ هـ وبخروجه يبرز لنا العهد السياسي الاباضي بحضرموت، ووصفته كتب التاريخ بأنه مجتهد عابد شجاع كريم ذو فصاحة ولسن كما تدل على ذلك خطبه .

(١) المقدمة للشيخ سليمان الباروني ناشر ديوان ابي اسحاق .

(٢) هو العلامة عبدالله بن حسن بلفقيه في رسالته: استدراقات وتحريات على تاريخ حضرموت في شخصيات .

(٣) من الصدف الغربية ان يبرز اسم شيطان عند ذكر المتسبين في الفتنتين الكبيرتين بحضرموت فتنة الردة وفتنة الخوارج ولم ينس الشيطان نصيبه فيهما ، رب اعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب ان يحضرون .

نوازع ففسية تعتمل في صدره

أول ما عرف عن عزم طالب الحق على الثورة ما كان يتحدث به من ان رجلاً تنبأ له بالملك وبذهاب احدى عينيه قبل ذلك ولهذا يلقب أحياناً فيما بعد بالأحور. وقد روى خطاب ذلك الرجل له فقال: ^١ لقيني رجل فأطال النظر إلي وقال ممن أنت فقلت من كندة، فقال من أيهم قلت من بني شيطان، قال والله لتملكن وتبلغن خيلك وادي القرى وذلك بعد أن تذهب احدى عينيك. فذهبت أتخوف ما قال واستجير الله ^٢ فرأيت باليمن جوراً ظاهراً وعسفاً شديداً وسيرة في الناس قبيحة .

ان هذا الكلام قوى من معنوية هذا الشاب الذي ظهرت عليه مخائل الاستعداد للقيام بعمل خطير، وهكذا بدأ يخاطب أصحابه بوجوب الخروج وكتب الى اباضية البصرة يشاورهم فيه فشجعوه عليه كتابياً ومما كتبوا له به . « ان استطعت أن لا تقيم يوماً واحداً فافعل فان المبادرة بالعمل الصالح أفضل ولست تدري متى يأتي عليك أجلك ، والله خيرة من عباده يبعثهم اذا شاء لنصرة دينه ويخص بالشهادة منهم من يشاء . »

اباضية البصرة تفد الى حضرموت

وشخص الى عبدالله بن يحيى نخبة من شجعان اباضية البصرة في مقدمتهم قائده الشهير أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي ومعهم كتب من اخوانهم الاباضية تدعو الى الخروج . وتقول بعض الروايات إنه قد عرف ابا حمزة في مكة أيام الحج اذ كان الأخير يدعو الى خلاف مروان ^٣ وآل مروان

(١) انظر الأغاني .

(٢) بالجيم كما في الأغاني ولكن لو رويت بالخاء الفوقية فلا مانع وهي تفيد معنى ادل على التصميم على الثورة .

(٣) آخر خليفة من بني أمية .

كل سنة بمكة ، ولما التقى به عبدالله بن يحيى آخر سنة قبل الثورة وذلك سنة ١٢٨ هـ قال له : يا رجل اني اسمع كلاماً حسناً وأراك تدعو الى حق فانطلق معي فاني رجل مطاع في قومي . فخرج به حتى ورد حضرموت فبايعه أبو حمزة على الخلافة. ولعله عرج على البصرة ، وقابل زملاءه بها ، ثم خرج مع الوفد الى حضرموت^١ وبايعوا بها عبدالله بن يحيى اماماً للاباضية وبايعه كثيرون من حضرموت ، لكن امامته هذه لم تدم سوى عام واحد أو أقل ضحى في سبيلها بعشرات الألوف من القتلى وأكثرهم من الحضارم ، وكانت سبباً فيما بعد لتخريب ومجازر في حضرموت كما سيأتي .

اول خطوة عملية

بعد أن بويع عبدالله بن يحيى استولى على دار الامارة بدمون المهجرين وطرد عامل مروان واسمه ابراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي ولم يقتله ولكنه حبسه ثم أطلقه فهرب الى صنعاء. ووضع عبدالله يده على الأموال ، وتم له الاستيلاء على حضرموت بدون اراقة دماء لأنه كان مطاعاً في قومه قبل أن يعلن ثورته. هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد ساعدته ظروف نقمة الأهالي على الجور الذي ابتلوا به من قبل الدولة الأموية ، ولهذا فقد استطاع أن يقوم في مدة وجيزة باصلاحات هامة في البلاد كبسط الأمن ونشر العدل واطعام الفقراء. وقد عزز مركزه بحضرموت وأصبح حاكمها المستقل وانفصلت بذلك عن بقية البلاد الاسلامية .

الخطوة الثانية : الاستيلاء على صنعاء عنوة

توجه طالب الحق من حضرموت قاصداً صنعاء يقود جيشاً قوامه ألفان

(١) هذا للجمع بين الروايتين .

من الشجعان، وكان قد كتب لأصحابه بها بأنه قادم عليهم، ثم مضى واستخلف على حضرموت عبدالله بن سعيد الحضرمي، وقد مر في طريقه على أبين ولحج^١ حيث التقى به فيها من الناحية الأخرى - ناحية صنعاء - العامل الأموي على صنعاء واسمه القاسم بن عمر الثقفي - أخو يوسف بن عمر الثقفي أحد رجال الدولة الأموية المعروفين - في جيش أقوى عدة وأكثر عدداً. وكان قد بلغه توجه الكندي إليه، فالتحم الجيشان واستمر القتال. وانجالت هذه المعركة عن انتصار الكندي وانهزام جيش العامل وكثرة القتلى والجرحى فيه، وكان عامل صنعاء قد غلط بعض الغلطات الحربية ولم يستمع لنصيحة بعض قواده وأعوانه في اختيار الوقت المناسب لمهاجمة أعدائهم.

وعاد العامل إلى صنعاء وحاول مرة ثانية أن يجمع شتات جيشه المهزوم ويستعيد معنويته، ومكث بها يوماً واحداً ثم غادرها واستخلف عليها الضحاك ابن زمل وهو نفسه الذي استخلفه عليها في خروجه الأولى.. غادرها العامل إلى مكان قريب جداً لجيشه فيها استحكامات من الخنادق وعدد عسكريه آلاف من المقاتلين. وأقبل الكندي في جيشه القوي المنتصر فعسكر في محل مقابل يقال له جوين، وبين المعسكرين ميلان. فوجه العامل احد قواده المسمى يزيد بن الفيض في ثلاثة آلاف من رجال الشام واليمن إلى الجيش الكندي، فكانت بينهم اصطدامات خفيفة ثم تجاوزوا^٢ ورجع القائد إلى العامل بستأذنه في بيات القوم^٣ فلم يسمح له بذلك فقال: والله ان لم تبيتهم ليغمنك، فأصر العامل على رأيه وبقوا يومين لا يتقاتلون. وفي فجر اليوم الثالث صبحهم عبدالله بن يحيى برجاله وهجم على خندقهم واستمر القتال فغلبهم عليه. ثم استمر القتال حتى ارتفع النهار، ثم انهزم الجيش الأموي هزيمة نكراء كما انهزم في المعركة الأولى. وأراد ابرهة بن الصباح احد رجال الكندي

(١) انظر الأغاني

(٢) بمعنى اوقفوا القتال مؤقتاً.

(٣) الهجوم عليهم في مبيتهم ليلاً.

اتباعهم حتى لا يتجمعوا مرة أخرى أو يدافعوا عن صنعاء فمنعه عبدالله بن يحيى ودخل صنعاء بعد هذه المعركة دخول الظافر المنتصر ، وألقى القبض على كل من الضحاك بن زمل نائب العامل ، وعلى ابراهيم بن جبلة عامل حضرموت الطريد ، وجمع الأموال المخزونة فأحرزها وخضعت له بلاد اليمن .

خطبة عبد الله بن يحيى في صنعاء

خطب عبدالله بن يحيى بعد استقراره في صنعاء على منبرها خطبته الشهيرة التي هي أشبه بخطب العروش في هذا العصر ، ومنها يعرف بعض مذهب الأباضية ، ومما ذكر المؤرخون منها بالنص الحرفي قوله ١ بعد أن حمد الله وصلى على الرسول وذكر ووعظ وحذر .

انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه ، واجابة من دعا اليهما ، الاسلام ديننا ، ومحمد نبينا ، والكعبة قبلتنا ، والقرآن امامنا رضىنا بالحلال حلالاً ما نبغي به بديلاً ولا نشترى به ثمناً قليلاً ، وحرمانا الحرام ونبذناه وراء ظهورنا ولا حول ولا قوة الا بالله والى الله . المشتكى وعليه المعول . من زنى فهو كافر ومن سرق فهو كافر ومن شرب الخمر فهو كافر ومن شك في أنه كافر فهو كافر . ندعوكم الى فرايض بينات وآيات محكمات وآثار مقتدى بها ونشهد أن الله صادق فيما وعد ، عدل فيما حكم ... الى آخر ما قال . وقد اشتهرت سيرته بأنها سيرة عدل في اليمن كسيرته في حضرموت .

الخطوة الثالثة : الاستيلاء على الحجاز والشام

قرر عبدالله بن يحيى بعد أن تم استيلاؤه على اليمن وكثر جمعه وأتته

(١) انظر الأغاني .

الشراة ويعنون بهم الخوارج الذين شروا أنفسهم لله، من كل جانب - قرآن
يخطو خطوة ثالثة للاستيلاء على الأماكن المقدسة ثم غزو الدولة الأموية
في عقر دارها بالشام. فأرسل ثلاثة من فرسانه المبرزين وهم قائده ابو حمزة
المختار بن عوف، وبلع بن عقبة، والأبرهة بن الصباح، والأول أمير والآخران
قائدان، في جيش قوامه ١١٠٠ رجل^١. ورسم لهم خططاً ينتهجونها، ومنها
أن يتوجه بلج الى الشام بعد الحاج ليقم له ملكاً على أنقاض الملك الأموي.
ولكن هذا لم يتم له بسبب القضاء على ثورته كما سيأتي.

وتوجه ابو حمزة بجيشه الذي يتألف من الشباب^٢ ووصل الحجاز
في ميقات الحج ودخلوا عرفة وقد جعلوا على رؤوس رماحهم أعلام عمائم
سود. فارتاع الحجاج منهم فراسلهم أمير الحجاز الأموي عبد الواحد بن
سليمان بن عبد الملك وتمت بينه وبينهم اتفاقية على أن لا يحدثوا شيئاً إلا
ما بعد اداء النسك. ووقفوا على حدة أنفسهم.

أما عبد الواحد فقد توجه بعد الحج تواء الى المدينة وترك مكة لابي حمزة
وجهاز جيشاً بأمر مروان لقتال الخوارج، أبي حمزة وأصحابه. وكان عدد الجيش
ثمانية آلاف، لكنهم وان كانوا أضعاف جيش ابي حمزة ليس لهم معرفة
بأساليب القتال، وأكثرهم من متمدني المدينة المعظمة وقد لبسوا المصبغات
والثياب الناعمة^٣. فالتقى بهم ابو حمزة في قديد^٤ قرب المدينة المنورة ودارت
فيها رحى معمعة قديد المشهورة التي أسفرت عن انتصار الجيش الكندي
وهزيمة المدنيين بعد أن قتل أكثر من ربعهم. وتفصلهم بعض المصادر التاريخية
هكذا^٥: من قریش ٤٥٠ ومن الأنصار ٨٠ ومن القبائل والموالي ١٧٠٠.

(١) انظر الأغاني ويقول صاحب المشرح انهم عشرة آلاف مقاتل.

(٢) يدل على هذه نص خطبته الآتية.

(٣) انظر الأغاني.

(٤) بضم القاف وفتح الدال.

(٥) انظر الأغاني.

وتم استيلاء أبي حمزة على المدينة^١ وكان أول ما عمله أن دخل مسجد رسول الله وألقى خطبة طويلة في الناس أوضح لهم فيها أسباب خروجهم وهدد أهل المدينة وتناول أعمال بني أمية. ومن أبلغ ما فيها قوله: «يا أهل المدينة بلغني أنكم تنتقصون أصحابي قلم هم شباب أحداث واعراب جفاة ويحكم يا أهل المدينة وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا شباباً أحداثاً شباباً والله مكتهلون في شبابهم غضيضة عن الشر أعينهم ثقيلة عن الباطل اقدمهم قد باعوا أنفسهم تموت غداً بأنفس لا تموت ، قد خلطوا كلالهم بكلالهم^٢ وقيام ليلهم بصيام نهارهم محنية أصلابهم على أجزاء القرآن كلما مروا بآية خوف شهقوا خوفاً من النار واذا مروا بآية شوق شهقوا شوقاً الى الجنة فلما نظروا الى السيوف قد انتضيت والى الرماح قد أشرعت والى السهام قد فوّقت وأرعدت الكتيبة بصواعق الموت استخفوا وعيد الكتيبة عند وعيد الله ولم يستخفوا وعيد الله عند وعيد الكتيبة فطوبى لهم وحسن مآب ، فكم من عين في منقار طائر طالما بكى صاحبها من خشية الله، وكم من يد قد أبيت عن ساعدها طالما اعتمد عليها صاحبها راعياً وساجداً... أقول قولي هذا واستغفر الله من تقصيرنا وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .»

مصرع ابي حمزة واسترداد الحجاز

لما بلغت هذه الأنباء الخليفة المرواني بدمشق أرسل جيشاً قوامه أربعة آلاف من الفرسان المعدودين وأعطى كل واحد منهم ١٠٠ دينار وضم اليه

(١) قالوا ان نائحة اهل المدينة قالت تبكيهم :

ما للزمان وماليه أفنت قديد رجاليه
فلا بكيين سريرة ولأبكيين علانية الخ

ونسبها صاحب المشرع الى النابغة ولعله خطأ قلبي أو مطبعي .

(٢) الكلال الاعياء والاجهاد بمعنى أنهم دائماً في اعمال شاقة

بغلاً لحمل أثقاله ولينجدوا أهل الحجاز بسرعة . وكان يقودهم عبد الملك ابن عطية السعدي ١ .

ومن ولع العرب بالفأل الحسن ما ذكروا أن غلاماً اسمه العلا بن أفلح مولى أبي الغيث لقيه أثناء الطرية فجرت بينهما هذه المحادثة :

ابن عطية	ما اسمك يا غلام ؟
الغلام	العلاء - بالمد
ابن عطية	ابن من ؟
الغلام	ابن أفلح
ابن عطية	مولى من ؟
الغلام	مولى ابي الغيث
ابن عطية	فأين نحن ؟
الغلام	بالعلاء - بالقصر
ابن عطية	فأين نحن غداً ؟
الغلام	بغالب

سر ابن عطية بهذا ووهب الغلام جائزة وكان الغلام قد حاور بعض أصحاب ابن عطية بهذه المحاوراة الطريفة ٢ .

أما ابو حمزة فأرسل بدوره لما بلغه الخبر حملة بقيادة قائده بلج المرشح من قبل عبد الله بن يحيى لغزو الشام ولكن رجال الحملة ستمائة رجل فقط . فالتقى الجمعان بوادي القرى في الاسبوع الأول من جمادى الأولى سنة ١٣٠ هـ . وقبل أن ينشب القتال بين الفئتين وهما متقابلتان دعاهم قائد الأباضية الى كتاب الله وسنة نبيه ، وذكر بني أمية وظلمهم ، فشتمه وشتم أصحابه أهل الشام قائلين : أنتم أنتم يا أعداء الله أحق بهذا ممن ذكرتم ٣ . ثم هجم عليهم

(١) سعد هوازن وفي كل حي بنوسعد كما في المثل .

(٢) انظر تاريخ ابن جرير .

(٣) يعنون بني أمية .

بلج وجيشه فانكشفت طائفة من الشاميين ولكن القائد ثبت في صيانة بقية جيشه والحفاظ عليها من الهزيمة ، وخطب فيهم يحثهم على الصبر والثبات فتحمسوا للقتال حتى انتصروا وقتلوا بلجاً وأكثر أصحابه . وانحازت قطعة منهم تقدر بمائة الى جبل يعصمهم فقاتلهم ابن عطية واستماتوا في قتاله ثلاثة أيام فأفنى منهم سبعين وفر البقية الى أبي حمزة .

بلغ الخبر أبا حمزة فتوجه الى مكة ، واستخلف على المدينة أحد رجاله ولكنها ما أسرع ان انتقضت عليه ودخلت تحت طاعة ابن عطية الذي دخلها بدون قتال ومكث بها شهراً ثم بارحها متوجهاً الى ابي حمزة بمكة .

ومما يستحق الذكر ان أحد اصحاب ابي حمزة واسمه علي بن الحصين العنبري أشار عليه بقتل الاسرى يوم قيدهم من أهل المدينة حتى لا يثوروا ضده يوماً ما فأبى . وثاروا عليه وقتلوا عامله . وأشار عليه قبل قدوم ابن عطية بأن يقتل أهل مكة قائلاً له انهم كفره فجرة (كما يعتقد الخوارج) فأبى قائلاً : لا أرى ذلك لأنهم قد دخلوا في الطاعة وأقروا بالحكم ووجب لهم حق الولاية ، قال انهم سيغدرون قال أبو حمزة أبعدهم الله (من نكث فانما ينكث على نفسه) . وقد صدق صاحبه فيما قال فان أهل مكة انضموا الى ابن عطية ضده .

استعد ابن عطية لقتال أبي حمزة وقسم جيشه الى شطرين أحدهما توجه الى الأبطح للقاء ابرهة بن الصباح ورجاله وعددهم ثمانون فارساً ، وبالرغم من قلتهم فقد هزموا أهل الشام حتى أوصلوهم الى عقبة منى فعاد أهل الشام اليهم حتى غلبوهم وقتلوا قائدهم ابرهة .

أما الشطر الثاني فقد واجه به اباحمزة بأسفل مكة وكان ابن عطية نفسه في مقدمتهم ودارت رحى حرب ضروس بين الطرفين انتهت بقتل أبي حمزة والقضاء على جل أصحابه ما بين قتيل وجريح وأسير ، وبعث برأسه الى مروان بالشام وصلبت بقية جثته وجثث بعض أصحابه ولم تنزل الا في خلافة

بني العباس ١ .

ومما يروى عن ابن عطية انه قال للاسرى : ويحكم ما دعاكم للخروج معه ، فقالوا انه ضمن لنا « الكنة » وكانوا يلفظون الجيم كافاً كما يلفظها بعض العرب مشوبة بالشين أو القاف - أي الجنة فأعدمهم جميعاً ويقدرون بأربعمائة .

شجاعة نساء الخوارج

قد اشتهرت نساء الخوارج كرجالها بالشجاعة المتناهية ومنهن غزالة زوجة شبيب الشيباني التي كان الحجاج بن يوسف عامل العراق يخاف بطشها حتى عبره عمران بن حطان بقوله :

اسد علي وفي الحروب نعامة
فتخاء تنفر من صفير الصافر
هلا برزت على غزالة في الوغى
بل كان قلبك في جناحي طائر
صدعت غزالة قلبه بجفافل
تركت عساكره كأمس الدابر
وأمه جهيزة كما تحدث عنها التاريخ .

وهذه مريم زوجة ابي حمزة هي الأخرى انزلت باعدائه ضربات شديدة حتى قتلت معه في المعركة ، وكانت ترتجز اثناءها :

أنا الجعيداء و بنت الأعلم
من سال عن إسمي فإسمي مريم
بعث سوارى بسيف محمد ٢

وبعدها الفارعة أخت الوليد بن ظريف الشيباني التي تولت القيادة بعدُ مثل أخيها وقاتلت يزيد بن مزيد الشيباني قائد الرشيد حتى ذكّر لها بحق العشيرة

(١) يظهر أنهم يثومون بعملية تشبه تخنيط الموتى أو تصبيرهم و الا فلا يمكن ان تبقى جثثهم سليمة في مثل ذلك الموضع ولو مدة قصيرة .

(٢) الجعيداء تصغير جعداء وهي ذات الشعر المنقبض غير المسترسل و الاعلم مشقوق الشفة العليا و سال بالمد و اسمي بالقطع او بالوصول مع تشديد الياء .

لأنه من شيان فتوقفت عن القتال .

وليست هذه الشجاعة مقصورة على نساء الخوارج وحدهن ففي جميع عهود العروبة والاسلام تقوم نساؤهم بقسط وافر من مشاركة الرجال في الفنون الحربية والشجاعة النادرة وغيرها من جميع نواحي الحياة . والصحابيات بصورة خاصة تتجلى فيهن تلك المشاركة ومنهن من انتظمت في الجندية ومعالجة الجرحى بمهارة وشجاعة كسيدتنا فاطمة بنت الرسول وعائشة زوجته وصفية عمته وخولة بنت الازور وأم عمارة — قاتلة مسيلمة الكذاب... وغيرهن .

مصرع طالب الحق والقضاء على ثورته

وتوجه ابن عطية الى صنعاء قاصداً طالب الحق ليقتلع الفتنة من جذورها كما أمره مروان^١ فلاقاه خصمه بعد ما وصله الخبر بقتل أصحابه ومعه آلاف من الفرسان ، فالتقيا أثناء الطريق . وبعض المصادر تقول^٢ ان طالب الحق هو الذي قصد خصمه قبل أن يتوجه اليه .

ومهما يكن فقد التفتيا واسم موضع المعركة الفاصلة — كسة — وتقول بعض المصادر ان موضعها تباله وهي بليدة على طريق اليمن للخارج من مكة^٣ . وقد قتل فيها طالب الحق بعد ما أبدى هو وفرسانه ضروباً من أنواع البسالة والاقدام وأرسل ابن عطية برأسه الى مروان بالشام وقد قيلت فيه وفي من قتل من أصحابه مرثية عصماء من نظم عمرو بن الحصين ، وهو الحسن العنبري مولى بني العنبر التميمي مطلعها :

(١) انظر ابن جرير .

(٢) انظر الأغاني .

(٣) هكذا يقول صاحب المشرح ومن كلامه ايضاً عن ابن خلكان وهذا المكان كثير الخصب له ذكر في الأخبار ثم قال وهي أول ولاية وليها الحجاج بن يوسف ولكنه تركها استهانة بها فضرب بها المثل — أهون من تباله على الحجاج ا . ه . و معلوم انها غير تباله الشحر .

هبت قبيل تبليج الفجر

هند تقول ودمعها يجري

ومن مقول القول :

اقدى بعينك ما يفارقها
ام ذكر اخوان فجعت بهم
فأجبتها بل ذكر مصرعهم
يا رب اسلكني سبيلهم
في فتية صبروا نفوسهم
تالله القى الدهر مثلهم
اوفي بدمتهم اذا عقدوا
متأهلين لكل صالحة

ام عابرا ام ما لها تذري
سلكوا سبيلهم على خير
لا غيره عبراتها يمري
ذا العرش واشدد بالتقى أزي
للمشرفية والقنا السمر
حتى اكون رهينة القبر
واعف عند العسر واليسر
ناهون من لاقوا عن النكر

ومنها : -

ان لا تُجيبُهُم فأنهموا
متأوهون كأن جمر غضى
تلقاهم الا كأنهم
فهم كأن بهم جوى مرض
لا ليلهم ليل فيلبسهم
الا كذا خلساً وآونة
كم من اخ لك قد فجعت به
متأوه يتلو قوارع من

رجف القلوب بحضرة الذكر
للخوف بين ضلوعهم يسري
لخشوعهم صدروا عن الحشر
أو مسهم طرف من السحر
فيه غواشي النوم بالسكر
حذر العقاب وهم على ذعر
قوام ليلته الى الفجر
آي القُمران مفرع الصدر

الى أن قال :

والمصطلي بالحرب يسعرها

بغارها وبفتية سعر

(١) هكذا في الأغاني ولعل الرفع احسن .

يحتاجها بأفل^١ ذي شطب
لا شيء يلقاه أسر له
منهرة منه تجيش بما
كخليلك المختار اذك به
خواض غمرة كل متلفة
ترآك ذي النخوات مختضباً
وابن الحصين وهل له شبه
بشهامه لم تحن أضلعه
طلق اللسان بكل محكمة

عضب المضارب قاطع البتر^١
من طعنة في ثغرة النحر
كانت عواصي جوفه تجري
من منند في الله أو مسري
في الله تحت العنبر الكدر
بنجيعة بالطعنة الشزر
في العرف انى كان والنكر
لذوي اخوته على غمر
رآب صدع العظم ذي الوقر

الى آخرها .

وهي من غرار المرآئي في الشعر العربي .

تعقب الثورة الى حيث منبتها

وبعد مصرع طالب الحق فرت فلول جيشه الى صنعاء وتتبعهم ابن عطية
وحين قرب اليها هرب عامل طالب الحق منها فدخلها خصمه ظافراً منتصراً ومنها
أرسل قواده لاختضاع المتمردين على الدولة الأموية باليمن من أصحاب طالب
الحق ، فوجه ابن أخيه عبدالرحمن بن يزيد بن عطية الى الجند لاختضاع ابن
السباق أحد سلالة ذي الكلاع الحميري الذي نجا بنفسه بعد هزيمة عساكره
والقضاء عليهم ، وبعث أبا أمية الكندي الى ساحل البحر لتأديب يحيى بن
كرب الحميري ومن معه من الاباضية فقتل بعضهم وهرب البعض الآخر
الى حضرموت مرتكنين الى عامل طالب الحق عبدالله بن سعيد الحضرمي

(١) أفل بالفاء بمعنى سيف مفلول من كثرة الضرب به ، والشطب القطع .

السابق . ولكن بعض المصادر ^١ سمته عبدالله بن معبد الجرمي ، ولعلها غلطة مطبعية أو خطية وشجعوه على قتال ابن عطية وتجهز معه كثير من مختلف القبائل وجعل مركز قيادته شبام .

ووردت الأخبار الى ابن عطية فشخص الى حضرموت مستخلفاً ابن أخيه المشار اليه سابقاً على صنعاء ولقي القوم بـ «الكسر» حيث نشبت بينهم معركة حامية الوطيس ، وفي أثناء الليل وبينما الحوارج مشغولون بالقتال أرسل قطعة من جيشه الى مركز قيادتهم شبام فاقتحموا البلدة عند الفجر واحتلوا حصونها وقتلوا مقاتلتها وأحرزوا المؤونة والذخيرة . وتقول بعض الروايات إن الجيش كله استولى على شبام وقطع عن الحوارج الميرة والمادة وجعل يقتل ويسبي وينهب فيهم ، وأخيراً أتاه كتاب من مروان بتوليته على الحج فصالحهم وسالمهم وولى عليهم من يختارونه ^٢ وتوجه في عدد يسير من أصحابه قاصداً مكة فقتل أثناء الطريق . والروايات تختلف في الكيفية التي قتل بها وفي تعيين قاتله ولكنها تتفق في أن الاباضية هم الذين قتلوه لأنهم موتورون منه .

تخريب حضرموت والفتك بأهلها

لم يكذب بلوغ عبد الرحمن بن عطية قتل الاباضية عمه حتى أرسل اليهم للأخذ بثأره جيشاً من الفرسان الى حضرموت يقوده شعيب البارقي فجعل يقتل الرجال والصبيان ويقر بطون النساء يأخذ الأموال ويخرب القرى ويتتبع البريء والنطف ، ولم يبق أحداً ممن عرفهم من قتلة ابن عطية أو من الاباضية ^٣

(١) هو الأغاني ومع ذلك فقد سماه عبدالله بن سعيد عند ذكره لتوجه طالب الحق الى صنعاء وسماه هنا عبدالله بن معبد الجرمي والاسمان متقاربان كتابة ويظهر ان الأخير محرف كما قلنا .

(٢) لم تذكر المصادر التي بين أيدينا اسمه .

(٣) انظر الأغاني .

ومن البلاد التي أصابها الحراب والسلب والنهب هينين وحورة وقعوطة وشبام .

حضر موت تحت الناج العباسي

بعد سقوط الدولة الأموية وفي الفترة اليسيرة التي جرت فيها الحرب بينها وبين بني العباس عادت حضر موت الى الاباضية^١ واستقلت بنفسها وذلك لمدة عقد من السنين تقريباً حكمها فيها من بقي من خلفاء عبدالله ابن يحيى الكندي وأتباعه .

• عن بن زائدة يغزو حضر موت

وفي سنة ١٤٠ هـ جهز المنصور العباسي جيشاً بقيادة عامله معن بن زائدة الشيباني الشهير ، وقد ضم ذلك الجيش كثيراً من الشجعان ، والى جانب ذلك فعدد أفرادهم كثير حتى قال بعضهم انه يقرب من ٤٠ ألف جندي وذلك لاختضاع اليمن وحضر موت ، والقضاء على الحوارج الذين بها ، فأدى مهمته . ويزيد بعض المؤرخين بأنه استباح حضر موت^٢ ويستفاد من رواية بعضهم انه انما استباحها ثانياً وذلك حين انتقض أهلها فقتلوا أخاه العامل^٣ الفاسق بتريم ، فأحرده ذلك عليهم وغزاهم غزوته الشهيرة التي قتل منهم فيها خمسة عشر ألفاً وحاربهم حرباً تكاد تكون حرب ابادة وخراب بلادهم . ومن جملة ما عمله فيهم انه أصدر الأوامر ضدهم بما يأتي : —

(١) انظر الشامل ، وفي معالم تاريخ الجزيرة العربية للاستاذ سعيد باوزير ما يخالف هذا ويذكر ابن جريران السفاح وجه محمد بن زياد على اليمن سنة ١٣٢ هـ ولم يشر الى حضر موت بشيء .

(٢) أي جعلها مباحة لجيشه . انظر الشامل .

(٣) انظر المشرع .

سد مياه عيونهم ١ .
قطع كثير من أشجارهم .
لبس السواد ٢ .

ويشاع انه أمرهم أيضاً بأن تجعل نساؤهم ذيولاً في أثوابها - تسحبها في الأرض ولا تزال هذه الأذيال الى اليوم موجودة عند نساء الداخلة وفيها بعض الأزراء ولكن عادة سحب الأذيال موجودة من قديم عند نساء العرب قال عمر بن أبي ربيعة :

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغايات جر الذبول

فعل ذلك في بعض المناسبات ، ولعل نساء الحضارم استعملته من قبل أنفسهن اذا لم تصح تلك الاشاعة حتى صار عادة ، وبالشكل المعروف الآن الذي يجب أن يزال لعدم ملائمة للذوق ولا للاقتصاد ولا للأعمال .

لقد اشتهرت في التاريخ الغزوة التي قام بها معن ضد الحضارم في الأوساط الاسلامية اذذاك واستعظمها كثيرون حتى شكوه الى المنصور العباسي ولكن المنصور تجاهل ذلك لأغراضه السياسية . وقال مروان بن أبي حفصة الشاعر الشهير ٢ أثناء قصيدة في معن وصف فيها بعض ما فعله في الحضرميين :

وطيئت حدود الحضرميين وطأة
فاقعوا على الأذنان ٣ اقعاء معشر
لها هدركن منهم فتضعضعا
لكنوا ومامدوا الى الحرب اصبعاً
فلمدت الأيدي الى الحرب كلها

-
- (١) هكذا يروى ويمكن ان تكون هناك عيون تشبه الآبار طمرها وسدها وهو عمل شنيع مستنكر .
(٢) هذه الثلاثة المذكورة في بعض كتب التاريخ ومنها المشرع ولعله يشير بلبس السواد الى ان يلبسوا ثياب الحزن قهراً على قتلهم العامل أولاً لأنه شعار بني العباس كما يتمول بعض المؤرخين .
(٣) انظر ترجمته في ابن خلكان اذا شئت .

وقال راجز آخر يخاطب معنأً بمناسبة ايقاعه في الحضارمة :

يا معن من شيبان انت انتا علّمت أهل حضرموت الموتا

وبعد أن شفى معن غليله من الحضارمة وآمن من جانبيهم تماماً استخلف ابنه زائدة على اليمن بما فيها حضرموت وبقي بها ثلاث سنين تواترت بعده عمال العباسيين عليها حتى ثار باليمن ابراهيم بن موسى بن جعفر الصادق العلوي في نهاية القرن الثاني الهجري وغيره من العلويين وشيعتهم فتولاها بنو زياد بأمر المأمون كما سيأتي :

وفاة معن بن زائدة

وقتل معن بن زائدة الشيباني سنة ١٥١ هـ على الأصح بسجستان على يد قوم من الخوارج ، وقد يكونون من أباضية حضرموت— اندسوا بين عمال يشتغلون في داره . وتذكر بعض المصادر^١ قضية مقتله بصورة مفصلة نلخصها فنقول إن قاتله محمد بن عمرو بن عبدالله من بني الحارث بن حضرموت أو من الأسياء الحضارمة وكان أبوه أميراً فقتله معن بحضرموت فيمن قتل وترك اولاده أيتاماً منهم محمد المشار اليه . فلما أدرك محمد أخذ أخاً له صغيراً ونفقة كثيرة وحج وسأل عن معن فأخبر بمقره فتوجه اليه فلم يقدر أن يصل اليه لتشديد الحراسة عليه . فاشتغل مع العمال الذين يعملون في قصر بناه معن وهو يترصد لمعن حتى أمكنته الفرصة بزيارة معن للقصر بعد ما تمت عمارته . وقط الرجل بطن معن وهو يقضي حاجته بسكين مسموم كان معه وغمز أخاه فخرجا من باب آخر . وانكشف أمرهما بعد أن وجد معن قتيلاً في موضعه وبعد أن توجهها

(١) في رواية الاسناد .

(٢) من شرح شرنبة على قصيدة نشوان الحميري .

الى اليمن ، حيث استقبلا هناك ووضع التاج على رأس محمد لأخذه بالثار
من معن ، وقد أشار الى ذلك مردان بن ابي حفصة في احدى مرثيته لمعن
حيث يقول :

فلو ان أم الحضرمي تلفعت بثوبين في جنح من الليل دامس
لغالتك ان شاءت كما غالك ابنها وقد يقتل المغرور اضعف لامس

وتال عبدالرحمن بن يونس الاجعدي شعراً :

يا معن أصبحت في بيداء مظلمة من بعد ما كنت بين الناس مختالاً
حتى أتاك ابن عمرو في اطامره قد جاشم الصبر احوالاً فأحوالاً
حتى سقاك بها كأساً معتقة من شربة جعلت في الصدر انكالا

والرجل يضرب به المثل في الشجاعة والكرم لولا انه متهور فيما عمله
بحضرموت واليمن كقائد لم تجد الرحمة الى قلبه سبيلاً ولم يؤثبه ضميره
على ما اقترفته يداه ، فقد تجاوز الحد في اداء ما قام به من مهمة حربية ،
وسياسية ، بحضرموت . ولئن ربح المعركة سياسياً وحربياً ، فقد خسرها
ادبياً . وبعض المؤرخين يصفه بالحلم ولعله الحلم الذي يتفق ومصلحته
السياسية او الشخصية ، كأمثاله من الامراء والملوك^١ .

امارة بني زياد

وفي صدر القرن الثالث الهجري (وضبطه بعضهم بسنة ٢٠٢ هـ) خاف
المأمون العباسي أن تستقل اليمن ويستولي عليها العلويون وشيعتهم ، ويخسرهما
التاج العباسي . فأرسل اليها محمد بن زياد بن عبدالله بن زياد بن ابيه الذي

(١) انظر ترجمته في وفيات الاعيان لابن خلكان .

(٢) انظر المشرع .

استلحتمه معاوية بن ابي سفيان اول ملك اموي ، كما هو مشهور في التاريخ .
وأمدته بألف من مسودة خراسان^١ تقوية له وتثبيتاً لإمارته . وكان غرض
المأمون بهذا ان يضرب العلويين وشيعتهم بهذا الأمير المنتمي الى بني امية^٢ ،
وهكذا توطن ملك بني زياد في حضرموت واليمن ، إلا أنهم تحت التاج
العباسي .

فأولهم محمد هذا وملك من سنة ٢٠٢ الى سنة ٢٤٥هـ ، ثم ابنه ابراهيم
ثم ابنه زياد بن ابراهيم ومدتهما نحو سنة ٤٥ ، ثم ابنه الثاني اسحق بن ابراهيم
المكنى بابي الجيش سنة ٢٩٠هـ . وكان طويل العمر ولهذا دامت إمارته نحو
ثمانين عاماً لم تخل من الاضطرابات والفتن . وتوفي سنة ٣٧١ هجرية .
وملك بعده ابن له ثم انقرضوا وقام بالأمر بعدهم مولاهم الشهرير .

الحسين بن سلامة النوبي الأصل مولى بني زياد

اما الحسين بن سلامة هذا فهو نوبي الاصل من اتباع ابي الجيش الزيادي
وقد قام بالأمر في اليمن وحضرموت ، واستطاع ان يحتفظ بالملك وأن يخلد
له ولمواليه بعض المآثر .

بناء الجوامع وتنظيم البريد

من المآثر الدينية والعمرائية التي قام بها هذا النوبي العالي الهمة (بناء
الجامع) ووضع أعلام البرد والفراسخ والاميال في الطرقات بين حضرموت
ومكة . ومن مدن حضرموت التي بنى لها جوامع : تريم وشبام ،

(١) الجيش المخلص للعباسيين من خراسان ويقال لهم المسودة اللبسهم السواد شعار بني العباس .
(٢) وبعضهم يستبعد أن يكونوا امويين وينسبهم الى زياد آخر ويقول لا يعقل ان يثق العباسيون
بأحد من الأمويين في هذا الشأن وان كانوا امويين صورة .

ونظم المراحل عنهما تقريباً الى مكة وجعل عدد أيامها ستين يوماً يمر
المسافر فيها على المدن الشهيرة المعمورة ، وقسم ما بينهما وبين عدن الى
عشرين مرحلة في كل مرحلة جامع وبير ومثذنة .

أما المفاوز المنقطعة فقد حفر فيها آباراً للاستقاء بحيث لا ينقطع عن
المسافر الماء على طول المسافات التي يجتازها في العمران وفي القفار^١ . وقد توفي
سنة ٤٠٢ هـ بعد أن تمتع بالملك نحواً من ثلث قرن ولم يستقم لبني زياد ملك
يذكر بعد وفاته .

الحوالي يخرج على الزياديين

والحوالي هو اسعد بن ابي يعفر بن عبد الرحيم الحوالي الحميري الذي
يرجع نسبه الى احد الاذواء الحميريين . فقد قام بثورة في اليمن ضد
الزياديين وغزا حضرموت واستولى عليها في أوائل وأواسط القرن الثالث
الهجري هو وأخوه محمد بن ابي يعفر . ولكن مهرة أخذتها من الحواليين ،
ومن زعمائها ابو ثور المهري لمدة وجيزة عادت بعدها الى الزياديين .

وصول الامام المهاجر الى حضرموت

وفي سنة ٢٣١٨ وصل الامام احمد بن عيسى العلوي الى حضرموت
مهاجراً من البصرة ، وهو جد العلويين الحضارمة الذين لهم مركز اجتماعي
بها ، وستأتي ترجمته .

(١) انظر مفيد عمارة في التاريخ كما نقله عنه في الشامل .

(٢) ويمكن ان يكون - سنة ٣١٩ لأنه حج سنة ٣١٨ ويصعب أن يصل الى حضرموت بعد
اليمن فيها بذلك العهد .

كيف كان بنو زياد يحكمون حضرموت

اختلفت فترات ولاية الزيايين لحضرموت ما بين ان يحكموها مباشرة وما بين أن يحكموها اسمياً فقط . فمن المحقق أنهم حكموها مباشرة في عهد محمد بن زياد الاول وفي أوائل ولاية ابي الجيش وأواخرها ، وفي عهد الحسين بن سلامة .

الصليحي يحتاج حضرموت وينيب المعنين عليها

الصليحي هو الداعية علي بن محمد الصليحي اليمني وكان داعية للفاطميين ملك مصر وافريقية ويقال لهم « العبيديون » نسبة الى اول ملوكهم عبيدالله المهدي ، وهم أصحاب المذهب الاسماعيلي الشيعي .

وقد جاء الصليحي الاذن من المستنصر العبيدي بالقاهرة بأن يقوم بإظهار دعوته باليمن فاستولى عليها . وكان مما يقال أنه يطوي الارض طياً ، فاستولى على حضرموت سنة ٤٥٥ هـ ولم تغن شيئاً مقاومة الحضارمة إياه . وقد أبقى بني معن^٢ الذين سبقوه بالاستيلاء عليها ، ابقاهم عليها وعلى بعض مناطق الجنوب العربي كنواب عنه ، ولكن كل ذلك لم يدم الا بضع سنوات ، فتم قتل الداعي الصليحي سنة ٤٥٩ هـ واستقل بنو معن بالبلاد التي تحت أيديهم ومنها حضرموت الى حوالي سنة ٤٧٦ هـ كما تقول تواريخ اليمن . وبعدها استقل أرباب السلطة من الحضارمة ببلادهم الى اوائل القرن السادس الهجري . كما ان الدولة الصليحية بقيت باليمن الى اثناء القرن السادس ، وتبرز من بين شخصيات الدولة الصليحية الملكة أروى

(١) نسبة الى سيدتنا فاطمة بنت رسول الله والتحقيق أنهم منسوبون اليها . انظر تاريخ ابن خلكان وغيره ، ومن آثارهم العظيمة الجامع الأزهر ومدينة القاهرة وتاريخ دولتهم مشهور .
(٢) بنو معن هؤلاء ليسوا منسوين الى معن بن زائدة ولكنهم من العوالق . انظر المشرع والشامل .

بنت احمد الصليحي التي أدارت المملكة بعد وفاة زوجها ، واشتهرت
بالحزم والعقل والتدبير وتلقب ببليقيس الصغرى ولعلها اول ملكة مستقلة
في الاسلام .

القرامطة^١

ولم تسلم حضرموت من هجمات القرامطة واستيلائهم عليها^٢ .
ويقرب أن يكون ذلك في أواخر القرن الثالث الهجري او أوائل الرابع
ولم نظفر بتفصيلات عن تلك الهجمات ولا عن مدة الاستيلاء . ويظهر
أن ذلك لم يدم طويلاً وإلا لاهتمت به المراجع وذكرته كما ذكرت الزياديين
والاباضيين وغيرهم من المعاصرين لاولئك .

موقف الاباضيين

ان للاباضية في هذه الفترة التي دعوناها بالدور الاباضي موقفين
ناشئين عن الظروف السياسية التي تكتنفهم . فتارة يظهرون بمظهر الحزب
الذي يحكم البلاد . وذلك حين يأنسون من أنفسهم القوة والقدرة على
مقاومة الحكومة المتغلبة بحضرموت ، ورئيس دولتهم إمامهم المنتخب على
قاعدة مذهبهم من أنهم يختارون التقي القوي الكفو من بينهم وينفذون
أحكامه في المناطق التي يستولون عليها كمنطقة شبام في اثناء القرن الخامس
الهجري ، ومنطقة دوعن في اثناء القرن الرابع الهجري . واكثر ما تقيم

(١) القرامطة اتباع أبي سعيد القرمطي نسبة الى قرمطة وهي قرية من قرى واسط العراقية ، ويتهمون
بانحلال العقيدة و يلصقون انفسهم بالاسماعيلية الذين لا يعترفون بانهم منهم ولهم فطائع
وأعمال منكرة مسجلة عليهم في التواريخ .
(٢) انظر جني الشماريخ نقلا عن البشادي .

أثمتهم بها^١ . ويتخذون فيها عاصمة لهم . ويزعم بعض المستشرقين ان موضع الخريبة بالذات كان مقر اثمتهم .

وكثيراً ما يعتصمون في حروبهم برووس الجبال ويوغلون في بطون الصحارى والأودية كما هي خطة تقليدية عن اسلافهم السابقين في العراق إذا ضايقتهم جيوش الدول الكبيرة ، وتارة يتمسكون بمذهبهم كفرقة اسلامية يطبق أفرادها مذهبهم وينشرون عقايدهم فيما بينهم ، وذلك حين يقضى على شوكتهم ولا يكون لهم كيان سياسي ، كما حدث فعلاً في أواخر القرن السادس الهجري .

ويظهر أنهم في كل من الموقفين يقبلون الجدل والأخذ والرد حول مذهبهم فيما له وعليه بالطرق السلمية ، كما وقع لهم مع الامام المهاجر احمد بن عيسى العلوي في اثناء القرن الرابع الهجري ، فانه استعمل معهم طريقة الاقتناع والافتناع ، ونشر بواسطتها في حضرموت المذهب السني هو وبنوه وأشياعه وأعقابهم من بعدهم^٢ ، حتى توارى المذهب الاباضي من حضرموت شيئاً فشيئاً الى أن رحل عنها فعمها المذهب الشافعي في الأعمال والاحكام ، والمذهب الاشعري في العقائد . وقد يختارون في أحوال قليلة مسائل من غيرهما كما سبق عند الكلام على جغرافية حضرموت . ولا يعني ما تقدم من مناظرة المهاجر للاباضية انه كان في مناعة من بطشهم وإرهابهم بل عنى أن له في حضرموت من يؤويه وينصره من شيعته وحشمه . ومع ذلك فلم يقع بينه وبين الاباضيين صدام مسلح كما تفيد

(١) انظر الشامل .

(٢) من المشهورين من أولئك الامام محمد بن علي صاحب مرباط المتوفى سنة ٥٥٦هـ والشيخ سالم ابن فضل بافضل المتوفى سنة ٥٧٤هـ والشيخ سالم بن بصري العلوي - المتوفى سنة ٦٠٤هـ . وفسر بعضهم قول صاحب المشرع : ثم تلاه الامام العالم الشيخ سالم بن بصري وبعضهم سالم بافضل وكل من السالمين شارك في ازالة المذهب الاباضي من حضرموت فلا مانع من صحة التفسيرين وستأتي تراجمهم .

المراجع التاريخية القديمة التي بين أيدينا^١. ولا يستطيع المؤرخ الباحث أن يجزم بشيء من ذلك وإن سطره بعض المعاصرين الذين كتبوا في تاريخ حضرموت^٢. ويشير كلام الامام عبدالله بن علوي الحداد في كتاب تثبيت الفؤاد الى أنه يستدل بسكنى الامام المهاجر وابنه عبدالله وحفيده علوي المواقع الحصينة العالية كما توجد بها قبورهم - يستدل بهذا على ما يتشممون اليه من ايجاد قوة يمكنهم بواسطتها اقامة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بدافع من علمهم وتقاهم. وكلما حلوا بمكان لم يطب لهم المقام، فبقوا في الأطراف ان حصل لهم ما أرادوه بقوا عليه والا فينالهم في مكانهم اذى ملوك البلاد. وتحمل بعض المصادر بما يفيد وجود حزب قوي مع المهاجر ضد الاباضية ولكنها لا تصرح بوقوع اصطدام حربي بين الطرفين^٣. وسواء قاتل الاباضية

(١) انظر البرقة واضرابها .

(٢) هو العلامة عبدالله بن محمد السقاف في تعليقاته على رحلة باكير ، فقد صرح فيها بوقوع معارك حربية بينه وبينهم وقال : « ويقال ان معركة فاصلة وقعت بينجران عندما كان المهاجر مقيماً بالهجرين انكسرت فيها شوكة الاباضية وانتقل المهاجر على أثرها من الهجرين الى قارة بني جشير » ولكني اتصلت به وكتبت اليه في الموضوع ليتفضل بذكر المصدر التاريخي هذا فلم يأت به. ونسب بعضهم رواية هذه المادة الى تعليقات العلامة المرحوم احمد بن حسن العطاس ولم نعلم المصدر الاصيل . وفي تعليقات العلامة محمد بن عقيل ابن يحيى على ديوان ابن شهاب تصریح بأنه هو وأنصاره وبنوه من بعده الى حدود ٦٠٠ سنة قاتلوا الاباضية ثم تركوا حمل السلاح. ولم أطلع على مصدره ولعله استنتج ذلك من ان العلويين انما حملوا السلاح للقتال والنضال، ولكن لا يمكن اثبات ذلك الا بنص اذ قد يكون حمل السلاح عادة تقليدية او للدفاع عن النفس .

(٣) هذا هو المشرع وهذه هي عباراته المسجعة حين يقول : لما وصل السيد الامام احمد بن عيسى تلك الديار قصدهت الأخيار وعملت المطي اليه من أقصى القفار . ثم قال : ودخلت الخوارج تحت الطاعة وعلمت الاباضية بأنهم ليس لهم بأهل السنة استطاعة ثم قال : واشهر إمامه الامام الشافعي بنشر مذهبه واقعد النسب الهاشمي بأعلا رتبة و تاب على يديه خلق كثير ورجع عن البدعة الى السنة جم غير بعد أن ركبوا الصعاب والذلول في تشتيت شمله والله يجمعه واجتهدوا في خفض مناره والله رفعه وضربت على من تمادى غيه الذلة والمسكنة وأبدله الله تعالى مكان السيئة الحسنة اه

المهاجر أو لم يقاتلوه فموقفهم كما ذكرناه وطريقتهم طريقة اخوانهم الاباضية والخوارج الآخرين من حيث انهم لا يتورعون عن استعمال القوة ضد أعدائهم في السياسة أو المذهب كلما وجدوا الى ذلك سبيلاً .

صور من الحياة الاجتماعية في العهد الاباضي

لقد أصبحت حضرموت في هذا العهد محوراً تدور عليه رحى الحروب ولم يعرف أهلها الاستقرار منذ فتنة طالب الحق عبدالله بن يحيى الكندي الذي سبق ذكره اذ نكل ابن عطية قائد مروان بالكثير منهم وخرّب جزءاً لا يستهان به من بلادهم . وتلتها الحرب الضروس بين معن بن زائدة الشيباني والحضارمة خصوصاً الخوارج الاباضية منهم وقتل منهم ما يقدر بحمسة عشر ألفاً وخرّب مدينتهم وأفنى مزارعهم وغور مياه عيونهم . واستقرت البلاد بعد ذلك في أيام الزياديين دون أن يدوم ذلك طويلاً . ثم جاء الصليحي فيما بعد واشتبك معهم ولما قاومه الحضارمة ومنهم ابراهيم بن اسحق الحمداني الحضرمي الاباضي على ما يروى في ترجمته... لما قاومه قتل منهم مقتلة عظيمة أضرت بهم وبلادهم أضراراً بليغة. وجاء الزنجيلي فيما بعد فزاد الطين بلة وكاد يفني البقية منهم كما سيأتي الكلام عن هذا في الدور التالي. وفيما بين هذه الهجمات والحروب الكبرى حروب جزئية يشنها ويقوم بها أرباب الطموح من ملوك اليمن الآخرين .

وهناك في الداخل حروب القبائل المتوطنة والنواقل من البلاد الاخرى فيما بينها والتي هي أشبه بحرب العصابات التي تشنها على الحكومة المحلية الحضرمية الاباضية التي قد تكون في بعض الجهات الحضرمية اسمية فقط ولم تستطع أن تفرض مذهبها ولا سلطتها على بعض المحلات بحضرموت كالهجرين وتريم في أواسط واواخر العهد الاباضي .

هل جنى الاباضية على حضرموت

ان الواقع التاريخي يدفعنا الى الجواب على هذا السؤال بالاجاب فقد

أصبحت حضرموت بالانفصالية عن العالم الاسلامي في غالب أيام شوكة الاباضية بها للصفات التي توجد فيهم مما قدمناه. وقد ارسل اليها الملوك^١ والامراء الحملات تلو الحملات للقضاء عليهم وعلى مآثرهم وآثارهم فالحروب الطاحنة التي أدار رحاها البارقي ثم معن ابن زائدة وغيرهما كما مر كانت نتائج لعناد وتقلب الاباضية وما توحيه اليهم عقيدتهم من الفتك وعدم حرمة مخالفيهم من أهل العقائد الاسلامية الاخرى. فيكون الانتقام او رد الفعل بمقتضى التعبير الحديث من خصوصهم الاقوياء أشد وأعظم. والشعب الحضرمي ليس اباضياً كله ولكن الدولة الغالبة في اكثر هذا الدور الاباضية، ولهذا جرت على الشعب النكبات وانتهكت بالفتن والحروب من الخارج ومن الداخل ولم يستطع الشعب الحضرمي أن يتصل ويندمج مع اخوانه من أبناء الشعوب العربية والاسلامية الاخرى كما كان يفعل في الأدوار السابقة واللاحقة^٢. ويظهر ان الاباضية الموجودين اليوم بعمان وافريقيا تعدلوا كثيراً، وليسوا بالصفات التي يذكرها المؤرخون عن أسلافهم التدامي، وليسوا متعصبين الى الدرجة التي وصل اليها أجدادهم السابقون واعتنق كثير منهم مذهب أهل السنة ولا يزالون كذلك^٣.

الثقافة في ذلك العهد

ومع ما ابتليت به حضرموت من الحروب والنوازي والخراب في هذا

(١) كمروان الثاني وأبي جعفر المنصور.

(٢) انظر جني الشماريخ والشامل للحداد.

(٣) الواقع ان الفرق الاسلامية كلها سادت روح التسامح فيما بينها ونظرت نظرة بعيدة الى الخطر الاحادي والى خطر الاستعمار الذي لا يترك اي فرصة لبث الفتنة وللتفرقة بين المسلمين ويمكن ان يضاف سبب آخر سلبي لهذا التسامح والتساهل وهو تيار هذا العصر المادي الذي نزلت فيه قيمة الروحيات وقل فيه التصلب والتشدد من أجلها.

العهد فان في أهلها مناعة وثباتاً مكننا بعض طوائف منهم في فترات من ارتشاف
كؤوس المعارف والعلوم الشرعية والأدبية والعقلية . وجمهوره من السنين ،
ولم نسمع عن غيرهم من الشيعة اذا صح وجودهم بها^١ ، وقليله من الاباضيين .
وبعض مؤرخي^٢ هذا العصر ينكر وجود علماء في عصر المهاجر
بحضرموت غيره وغير الآخذين عنه محتجا بان التاريخ لم يثبت لنا اسم
احد منهم^٣ ولكن من الصعب أن لا يكون لطائفة الاباضية علماء ولو
بمذهبهم على الأقل وقد حاجهم المهاجر فحججهم كما مر فللمستبينين
علماؤهم الكبار وأئمتهم الأخبار ويذكر لنا التاريخ منهم الامام المهاجر
الى الله أحمد بن عيسى النقيب الذي جادل الاباضية والنواصب وقارعهم
بالحجج القوية حتى أسكتهم واخضع أصواتهم هو وبنوه وشيعته وتلاميذهم
ثم من تبعهم من السنين كالمشائخ آل ابي حاتم ، ويبدو لنا في الطليعة
منهم يحيى بن عبد العظيم وكالشيخ المعمر احمد المحاسب العالم الشهير وغيرهم
من تنسب اليهم بعض الأسر المعروفة بالعلم كآل الخطيب وآل ابي عبيد
وآل ابي فضل وغيرها ممن استمر فيها العلم عبر أجيال عدة كما سيأتي .

وللاباضية علماؤهم وزعمائهم الدينيون وإن لم يحفظ لنا التاريخ كل
أفرادهم كما ذكرنا، ففي مقدمتهم أئمتهم البارزون كعبد الله بن يحيى الذي يعد
أول شخصية اباضية بارزة نادى بهذا المذهب في حضرموت بعد ما كانت
على العموم من قبل على ما عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم

(١) يستفاد وجودهم من رسالة جني الشماريخ للسيد علوي بن طاهر .

(٢) هو السيد المؤرخ عبدالله بلفقيه في رسالته المسماة بحث في الارينخ المعاصر وستأتي الاشارة
اليها في ترجمة المهاجر .

(٣) يستفاد من تعليقات ابي خزيمة كما نقله عنه الحداد في جني الشماريخ ولفظه: وقد قيل انه كان
بها (الهجرين) في القديم مذهب الشافعي ومذهب الحنفي وقاضيان حنفي وشافعي ومفتيان حنفي
و شافعي يستفاد وجودهم بها وان لم نذكر الأسماء .

بإحسان كما تقدم ، وكأبي اسحق ابراهيم بن قيس الهمداني ووالده بمقتضى ما يحدثنا عنه الباروني في صدر ديوانه، ولكن تشكك في وجوده بعض محققي هذا العصر كما تقدم .

النواحي الاقتصادية

تقوم أعمال الزراعة والغرس والتجارة بشكل تعاوني في الأكثر بين السكان فيقوم العمال كأجراء بالسقي وتعهد النخيل ويعطيهم المالكون الأراضي والفسائل ، وقد يجعل للعامل جزء من النخيل ولصاحب الأرض جزء ولصاحب الفسيل جزء ، وقد يقوم الملاك أنفسهم بكل هذا وتجري التجارة براس مال التاجر نفسه أو بشكل مقارضة مع الغير . وتعتبر الثروات بقدر ما يملك أصحابها من نخيل ومزارع وعقارات وانعام ودواجن ونقود في بلادهم حضرموت ، كما يلتقط كل هذا من المراجع خصوصاً التي قد تفيض في تراجم بعض أعيان الحضارمة فتشير الى مثل هذا عرضاً^٢ . وفي مقدمة صناعاتهم الغزل والنسيج اللذان اشتهروا بهما .

ويظهر بمقتضى ما يذكر من وفرة الجيوش والخيول بحضرموت وانها ذات منعة وقوة في فترات من هذه المرحلة - يظهر انها قاومت أعاصير الفتن الهوجاء وصابرت تلك المحن مع استمرار بقية الطوائف من زراع وصناع وعمال في أعمالهم وأشغالهم كما استمر رجال العلم والدين في التمسك بطلب العلوم والمعارف والاستزادة منها^٣ وتدريسها كالناحية العمرانية . ومما يستعمل

(١) هو السيد المؤرخ عبدالله بلفقيه في رسالته المسماة استدراكات و تحريات على تاريخ حضرموت في شخصيات .

(٢) أنظر تراجم العلويين السابقين وغيرهم في الكتب المختصة كشرح العينية للامام احمد بن زين الجشي وكتاب البرد النعيم .

(٣) يعرف هذا من تراجم الفحول المعد ودين في اثناء القرن الخامس وأوائل السادس .

عندهم للبناء الجراريم المعروفة وهي آلة توضع على أعجال تجرها الأبقار والبعال وتسمى العرابة^١ ، ويستعملون الآجر والحصى ولكن الغالب استعمالهم في البناء اللبن والطين ، الا انه لم يبرز لنا التاريخ أثراً من الآثار التي تلفت النظر وتدل على حياة عمرانية زاهية، وإن كان ذلك فلا يلام هذا الشعب الذي أضحت بلاده مسرحاً للحروب والقتال بل كفاه فخراً أن يحتفظ بحياته ويقوم له كياناً بين أمواج الفتن والحروب المتلاحقة .

وبما أن هذا الدور فيه من مجاهل التاريخ الشيء الكثير ومدته طويلة فما ذكرناه عن النواحي العامة في الحياة لا شك انه كله غير مطرد فيه وانه يختلف باختلاف الظروف الحربية ، فكلما طالت فترة السلم تقدمت البلاد في هذه النواحي والعكس بالعكس .

المرأة

والمرأة تشارك زوجها وتعينه على اداء عمله ، كل طائفة من السكان بحسب أعمالها التي تزاولها كما ينشأن على ذلك وتلاقي ما يلاقه الرجل من سعادة أو شقاء .

وعلاوة على ما ذكرنا فهناك أعمال منزلية هي من اختصاص المرأة وتقوم بها بالطبع وهكذا حالتها بالنسبة للعهد القادمة ولم تخل بعض العهود من نوايغ فيهن ولبعضهن نصيب من التاريخ هنا^٢ .

من اعلام العهد الاباضي

قد مر موضوع بعنوان (اسماء المعروفين من أئمة وزعماء الاباضية بحضرموت) وقد استوفيت فيه من عرف منهم لدينا ، والتاريخ الى اليوم

(١) انظر المشرع اذ لا تزال سلطة لاباضية فيهما . .

(٢) تقدم ذكر بعضهن ومن سيأتي زينب ام الفقراء و سلطانية الزبيدية .

لم يحفظ لنا تراجم شخصيات حضرية في القرنين الثالث والرابع عرفت بالعلم والتقى والزعامة من أي الطوائف ، كما حفظ لنا تراجم الامام المهاجر أحمد ابن عيسى العلوي وابنه عبدالله ، وأحفاده بصرى وعلوي وجديد بن عبدالله بل - والحق يقال - لقد تعرفنا على بعض مجاهل التاريخ الحضرمي في تلك الفترة بفضل تاريخ هؤلاء الأئمة وقد اعتنى به من بعدهم لانهم شيوئهم وقادتهم .

الامام المهاجر الى الله احمد بن عيسى

هو الامام احمد ، ابن النقيب عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنهم أجمعين .

لماذا لقب بالمهاجر ؟

أما سبب تلقيبه بالمهاجر فلانه هاجر من البصرة الى حضرموت لاسباب اصلاحية اهمها : الاطمئنان على سلامة دينه ودين اتباعه في موضع امن ، ولم تكن الهجرة من هذا الامام بدعاً فهي شيء معتاد عند أئمة الاسرة النبوية منذ بدأ بها الرسول صلى الله عليه وآله حين هاجر من مكة الى المدينة وتلاه الامام علي بن ابي طالب حين هاجر من الحجاز الى العراق . وقد تبعه بنوه وأحفاده من بعده كالامام الحسين بن علي والامام زيد بن علي بن الحسين حفيده ومحمد النفس الزكية بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط واخويه ابراهيم وادريس جد الادارسة بالمغرب وغيرهم كثيرون وفيهم أئمة مثاليون . وهجرتهم هذه في سبيل نشر الاسلام وتنفيذ العدالة ووضع الحق في نصابه ، واكثرهم قاموا في سبيل تحقيق هذه المبادئ بثورات معروفة في التاريخ ضد الملوك الجائرين من امويين وعباسيين وغيرهم من الولاة . وكان البعض من هذه السلالة العلوية مطاردين ايضاً ومروقيين من الملوك المشار

أما الامام المهاجر هذا فقد احاطت به ظروف الحروب والفتن والقتال الواقعة في القرن الثالث الهجري في العراق فلا يكاد يستقر الامن ولا يستتب العدل العام ابدأ فيها، اذ أصبح العراق مضطرباً والبصرة موطن الامام احمد مهددة بغارات القرامطة أصحاب أبي طاهر الجنابي وغيرهم، واستبد فيها أصحاب القوة من الأمراء والمماليك حتى بلغ الأمر بالناس الى ان يقيم كل على نفسه حارساً أو خفياً. وبلغ الضعف بالخليفة وعماله حدّ العجز عن ضبط الأمور فانتشرت الفوضى وضرب الفساد أطنابه في العراق . عند ذلك قرر الهجرة وهو يحمل بين جنبيه مبادئه وعقائده لينشرها كلما وجد الى ذلك سبيلاً ، فهجرته لأسباب عدة وليست لسبب واحد^٢ بالرغم من انه عميد الاسرة العريضية بالبصرة وأبوه نقيب العلويين ، وكلاهما الى ذلك من كبار أئمتها وزعمائها وأثريائها . فارتحل عنها سنة ٣١٧ هـ ومعه ابنه عبدالله وحفيده اسماعيل الملقب بصري بن عبدالله وغيرهما من مواليه وحاشيته الذين يقدرون بنحو السبعين ، وترك بعض العائلة بالبصرة للبقاء على روابط القرابة - والمواطنة وللإشراف والادارة على أموالهم الفخمة وجاههم العريض . وممن أبقاه بها بنيه محمداً والحسن وعلياً ونساءه حيث يقيم أعمامهم وبنو عمومتهم وفي مقدمتهم الامام محمد بن عيسى اخو المهاجر الذي كان قد أعلن ثورة ضد الخليفة العباسي فأقنعه المهاجر بالعدول عنها حتى اقتنع^٣ . وقد أعقب اخوه وبنوه المشار اليهم بالعراق وبقي الاتصال بين الشعبين الحضرمية والعراقية مستمراً بالمكاتبة وبالزيارة فقد زار جديد بن عبدالله بن احمد بن عيسى العراق باشارة من أخيه علوي وكان من جملة مهام تلك الزيارة قبض أموالهم بالبصرة وتصريفها ،^٤

(١) انظر مقاتل الطالبين لأبي الفرج الاصبهاني .

(٢) انظر المبحث في جي الشماريخ بهذا الصدد .

(٣) انظر المشرع .

(٤) انظر المشرع .

ومن جعلتها أرض واسعة خصبة تسمى قسم . ومن أجل محبتهم للعراق ومن أجل تذكار العراق سموها فيما بعد مقاطعة قسم الحضرمية المعروفة التي غرسها نخيلاً الامام علي بن علوي خالع قسم ، سماها باسم قسم العراقية بعد ان اشترها بعشرين ألف دينار .

المهاجر يزور المدينة

اتجه المهاجر من العراق الى المدينة المنورة فزار مآثرها وآثارها ومكث بها سنة ولم يتمكن من الحج ودخول مكة لاضطراب حبل الأمن ، وهذا الاضطراب هو الذي يقلقه ولا يعجبه وهو من أسباب هجرته من العراق ، فلم يسعه سوى التريث بالمدينة حتى اذا هدأت الفتنة وكانت فتنة القرامطة الذين هاجموا الحجاج وقتلوا منهم آلافاً مؤلفة من الرجال والنساء ونهبوا الأموال واستباحوا البلاد ، وذلك يجري والمهاجر وأتباعه بالمدينة تصلهم الأخبار المؤسفة عنها - حتى اذا هدأت الفتنة كما قلنا وأمكنته الفرصة فيما بعد قصد مكة حاجاً هو ومن معه فحجوا سنة ٣١٨ هـ . ومنها توجهوا توجهاً الى اليمن فحضر موت وقد درس في رحلته هذه عملياً أحوال اليمن وتنقل في مدنها وقراها الى ان وصل حضرموت وقام في بادئ الأمر بنفس الدور الذي قام به في اليمن . ويقرب أن يكون قد اتصل به بعض اليمانيين الذين سار في قافلته كما اتصل به بعض الحضارمة ايضاً فدعوه الى الاقامة بينهم لان مثل الامام المهاجر في مركزه وشهرته ووجاهته انما يكون مخطوباً ومطلوباً - كما انه بدوره يبحث عن الموضوع الذي يطيب له ويهدأ فيه ويتمكن له أن ينشر مبادئه بين أهليه .

نهاية الرحلة

وانتهى به المطاف الى حضرموت فتنقل في قراها وأول قرية نزل بها قرية الجليل الشيعية بدوعن فالهجرين ، وكانت حصينة وفيها أيضاً بنو الصدف

من قبائل كنده وهم فيما يقال سنيون . وقد مكث فيها سنوات نظم فيها اقتصادياته ، فملك نخيلاً وعقاراً ولا تزال داره - موجودة بالمجربين كأثر من الآثار التي تزار ، وقد ترك أحد مواليه ويسمى شويه^١ بها قبل أن يغادرها واكرمه بماله فيها من أموال ولم يعرف السبب الحقيقي لمغادرته إياها .

بعد أن غادر المجربين نزل قارة بني جشير بالتصغير وموقعها معروف عند قرية بور . والقارة هذه كندية هي والمقاطعة التي تقع غربها الى حدود شبام^٢ وفي أهلها سنيون فأنزل عائلته فيها واستقروا بها وقد يبارحها لمدة وجيزة الى غيرها كترميم ثم يعود اليها .

لعل المهاجر لم يتخير الإقامة في المواضع التي أشرنا اليها الا لوجود أنصار له بها من شيعة وسنيين ، وكان المذهب السائد في حضرموت اذذاك هو المذهب الاباضي وأهله السلطة فيها ، ولم تكن سلطة الزياديين أو اليعافرة في تلك الفترة الا اسمية فقط ، حيث كان قدومه أيام «ابي الجيش» المار ذكره ، واليعافرة قاموا بثورة ضد الزياديين في ذلك العهد أيضاً كما سبق أيضاً .

أما موقف المهاجر مع الاباضية فقد اسلفنا الكلام عنه تحت عنوان (موقف الاباضيين) .

ثقافة المهاجر وعلومه وتقاه

نشأ المهاجر بين آبائه وأعمامه من أئمة ونقباء وعلماء في بيئة تزخر بالعلم والنبل والفضل ، وفي بلد تموج بكبار العلماء فدرس العلوم الاسلامية اذذاك من حديث وتفسير وفقه وأدب وتاريخ الى العلوم العقلية على أولئك وتثقف

(١) شويه بفتح الشين وكسر الواو وسكون الياء المثناة وله ذرية لا يزال بعضهم موجوداً بحضرموت .

(٢) انظر جني الشاريخ .

بتقافة أهل ذلك العصر .

وقد اجمع المؤرخون القدماء^١ والمعاصرون^٢ على تقاؤه وصلاحه .

مذهب المهاجر

المعروف ان مذهب المهاجر هو المذهب الشافعي السني كما تصرح بذلك المصادر^٣ ولكن من المعلوم ان المهاجر وان كان يعتنق مذهب الشافعي - لا يقلد الشافعي تقليداً أعمى فهو أجل من ذلك .. كيف وأمامه الكتاب والسنة اللذان عليهما أساس مذهب الشافعي . وكذلك عقائده الاسلامية هي عقائد آبائه وأجداده كالباقر وزين العابدين اذ لا تنافي بين عقيدة أئمة أهل البيت القدماء وبين عقيدة أهل السنة كما تصرح بذلك الكتب المختصة ؛ اللهم الا ان كان في مسائل معروفة.. بل الشافعي رضي الله عنه نجد في نثره ونظمه تشييعاً معتدلاً لأهل البيت وهذا لا يخرجهم عن سننهم . وبذلك يتضح ان المهاجر على مذهب الشافعي الذي يراه كمذهب آبائه^٥ وبلغني ان بعض مؤرخي هذا العصر يقول انه امامي المذهب^٦ ولكن المصادر التي أشرنا اليها لا تؤيده ولا تؤيد

(١) من كتبهم الجوهر للخطيب وقلادة النحر لبا محرمة والتحفة النورانية لبا وزير .

(٢) من كتبهم صفحات من التاريخ الحضرمي لبا وزير وكتاب في جنوب الجزيرة العربية للبكري .

(٣) منها المشرع وامهاته .

(٤) منها الفرق بين الفرق للبغدادي .

(٥) قال العلامة ابوبكر بن شهاب

مذهبي بمذهب الوصي ابي السبطين فالحق دائر حيث دارا

وبنيه الأئمة العلوية بين الألى حولوا العتيم نهارا

ثم قال :

ولنا الشافعي خير إمام إن وجدنا في النقل عنهم غبارا

(٦) هو العلامة بن عبيدالله في كتابه نسيم حاجر والسيد صالح بن علي الخامد في تاريخه المخطوط

كما بلغني ولم اطلع على مصدر يهما وقد خالفهما السيد علوي بن طاهر الحداد في كتابه أئمة

البصائر مخطوط، وذكر فيه ان مذهب الامامية انما أسس بعده ، كما خالفهما السيد عبدالله

بلفقيه ايضاً . وامامي نسبة الى الأئمة الاثني عشر وهم الهادي والحواد والعسكري والرضا

ما بينه عليه ، وما ذكرته ايضاً أخذ ابنه عبدالله عن ابي طالب المكي السني وهو نسخة طبق الأصل لأبيه كما سيأتي .

فكيف لا يكون المهاجر شافعي المذهب ؟ وهو الذي قام بنشره او ادخاله الى حضرموت ١ لما ورد اليها وكانت السلطة السياسية والمذهبية بها نهياً مقسماً بين الاباضية والزيايين واليعافرة ٢ وكان مذهب الاباضية هو المذهب السائد فيها ولهم بها نفوذ كثيراً ما يكون نفوذ الآخرين ازاءه اسماً فقط ، فاستطاع المهاجر بعلمه وقوة عارضته وشجاعته أن ينشر مذهب الشافعي السني بحضرموت حتى حل محل المذهب الاباضي تدريجياً طبق سنة التطور المذهبي ، وبفضله وفضل تلاميذه من أهل السنة كما قدمنا انقلب القطر الحضرمي بلداً شافعيّاً سنياً ولم ينته القرن السابع حتى تلاشى المذهب الاباضي بتاتاً من حضرموت وعمها المذهب السني .

ويرى بعض مؤرخي هذا العصر انه لا يوجد أحد من علماء أهل السنة أو بالأخص من علماء الشافعية بحضرموت قبيل ومنذ قدوم المهاجر اليها ، فهو في نظره ليس أول من نشر مذهب الشافعي بها فحسب بل اليه يرجع الفضل بمقتضى ما يقول في انه أول من أدخله اليها ونشره .

ومما ركز بحثه عليه ان التاريخ لم يذكر لنا اسم احد من العلماء في ذلك العهد سوى المهاجر وبنيه ٣ حتى القرن الخامس ٤ .

والكاظم فأبوه الى الرسول والامام علي. ومذهب الامامية هو المذهب الرسمي في ايران وينفرد عن المذاهب الاسلامية في بعض الأمور .

(١) اذا قلنا برأي من يقول انه أول من أدخل مذهب الشافعي الى حضرموت وسيأتي قريباً .
(٢) تقدم الكلام عنهم .

(٣) هو السيد عبدالله بلفقيه في رسالته المسماة بحث في التاريخ المعاصر للحياة الثقافية والمذهبية بحضرموت قبيل ومنذ قدوم المهاجر وهي مخطوطة يرد بها على ما جاء في كتاب صفحات من التاريخ الحضرمي لأبي وزير عن وجود مذهب الشافعي بحضرموت من قبل عصر المهاجر ، وفي جني الشماريخ للحداد ما يؤيد كلام أبي وزير ولكن صاحب الرسالة نقل عن المؤيديين في كتاب أنباء الزمن في أخبار اليمن المطبوع بالمانيا وعن أبي حوقل بواسطة ابن خلدون ما يؤيد رأيه .
(٤) وأول من عرف من بعد المهاجر وبنيه من علماء أهل السنة أبوالمكارم الخطيب وهو في القرن

وقد قام بنفس الدور في مهرة حفيده الامام محمد بن علي صاحب مرباط
حيث نشر بها مذهب الشافعي بعد قرنين من الزمن تقريباً^١.

أمواله ومكارمه

للسيد المهاجر أموال كبيرة بالعراق - كأمثاله من زعماء أهل البيت -
وقد أخذ بعضها معه لما رحل مما خف وزنه وغلا ثمنه وقد أنفق النفقات
الكثيرة في رحلاته ، واشترى في حضر موت عقاراً ونخيلاً بكميات كبيرة
ولكنه كريم جداً ، فيسمح بماله قدر عظيم من المال كأبائه الكرام في الخير
وقد تقدم ذكر ما يدل على ذلك .

وفاته

توفي رضي الله عنه بحضر موت بالحسيمة والصحيح ان وفاته كانت سنة ٣٤٥ هـ
وقبره معروف في جبلها الشمالي ويعد من المآثر التي يقف أمامها من يقدر
عظماء الرجال ويزور مآثر الأبطال ، فاقامته بحضر موت الى وفاته قد استغرقت
ربع قرن تقريباً ، كان له فيه الأثر البالغ في تطورها المذهبي وفي نشر الأخلاق
الاسلامية العالية .

ابنه الامام عبد الله بن احمد بن عيسى

نشأ هذا الامام بالبصرة وشب فيها في نفس البيئة التي وصفناها في ترجمة
أبيه وتلقى تلك العلوم العقلية والشرعية والعربية التي تلقاها ابوه عن أولئك
العلماء وتفوق بصورة خاصة في علم الحديث ويعد من كبار حفاظه . ومن
شيوخه الامام أبو طالب المكي شيخ أهل السنة المتوفي سنة ٣٨٦ هـ ومن البديهي

الخامس ويحيى بن عبد العظيم الحاتمي ومحمد بن احمد الحاسب وقد تقدم ذكرهما وتوفيا
في اوائل القرن السادس .
(١) انظر عقود اللماس وستأتي ترجمة صاحب مرباط .

ان يعد ابوه الامام المهاجر في مقدمة شيوخه وقد تأدب بأدابه وهذا الشبل من ذلك الأسد .

اول صوفي عرف بحضرموت

لم يذكر التاريخ اسم صوفي بها قبله وكما ذكرنا ان من شيوخه ابا طالب المكي فقد تلقى عنه علم التصوف وقرأ عليه كتابه قوت القلوب ، ذلك الكتاب الشهير في فن التصوف وأخذ عنه بقية مؤلفاته ومروياته ، كما ان ابا طالب بدوره اعترف له بطول الباع في العلوم وكل ذلك لما حج سنة ٣٧٧هـ وقضى مدة بمكة .

والتصوف الذي نعنيه هو الذي يبحث عن أدواء القلوب المعنوية وعن كيفية التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل في دائرة التعاليم الاسلامية السمحاء وهو منتشر بين علماء حضرموت الكبار ولكن مع الأسف ان البعض يفهمه بالطريقة العكسية لما يراد منه وربما تكلمنا عنه فيما يأتي عند ذكرنا لانتشار طريقة الفقراء في حضرموت أوائل القرن السابع .

رحلاته

له عدة رحلات منها رحلته مع والده لما هاجر من البصرة الى حضرموت ومر في طريقه بالحجاز واليمن .

ومنها رحلته الثانية الى مكة هذه التي أشرنا اليها للاستزادة من العلوم والمعارف والتجارب في الحياة واداء النسكين .

وتذكر بعض المصادر ^١ انه تلقى عن العلماء باليمن ويحتمل أن يكون قام برحلة خاصة اليها ، او في اثناء احدى الرحلتين السابقتين او كليهما

(١) المشرع .

اقتصادياته ونفقته في سبيل الله

لعله لما كانت نشأته بالبصرة وفيها النخيل الكثير استكثر منه بحضرموت وذكروا انه احب امواله اليه ، والواقع ان النخل يستفاد من كل جزء من أجزائه مما يدلنا على ان هذا الامام من رجال الاقتصاد العملي .

وله أطيان كثيرة واسعة غيرها من الأموال كما كان لوالده أيضاً أما صدقاته ونفقته فكان اذا أدرك ثمر عام يتصدق بما بقي من محصول العام الذي قبله من تمر وحب ويقول : هذا شكر نعمة هذا . وتذكر المصادر انه كان يقوم بالإنفاق على كثيرين من مستحقيها وبلغ من تشجيعه للأدب والشعر انه يميز رجالها الذين يتقدمون اليه بقصائدهم جوائز سنية .

ولما انتقل من الحسيمة بعد وفاة والده الى قرية سمل وهب أرض سوح كلها وهي احدى ممتلكاته لمولاه جعفر بن محمد وسكن سمل واشترى فيها عقارات وألقى بها عصا التسيار حتى توفي بها سنة ٣٨٣ هـ .

اخلاقه وتواضعه

عرف الامام عبدالله بالأخلاق العربية والاسلامية الغالية من كرم واباء وجد واخلاص ونشاط في الاعمال ، وتتجلى فيه ظاهرة التواضع ونكران الذات الى درجة انه يصغر اسمه فيقول عبيدالله بدلاً من أن يقول عبدالله ويستحسن من أصحابه أن ينادوه به حتى عرف به رضي الله عنه .

تلاميذه

ومن المعلوم بالطبع ان له تلاميذ كثيرين في وطنه حضرموت وفي البلاد التي حدث ودرس فيها ، وقد ذكرت المصادر لنا منهم أسماء بنيه العلماء الثلاثة : بصريا وعلويا وجديدا وترجمت لهم تراجم خاصة ، كما للكثيرين من سلالاتهم في كتب التاريخ العديدة ، وواجبنا كمؤرخين وكما هو الواقع

ان نعترف بأن اسرة المهاجر هي من أشهر الاسر الحضرية وأخصبها برجال العلم والفضل والاصلاح^١ ان لم تكن أشهرها وأخصبها بمن ذكروا على الاطلاق ويوجد لهم من المكانة بحضرموت ما يوجد لآخوانهم في بعض الأقطار العربية والاسلامية الاخرى ، كالمراغة في السودان والأدارسة في المغرب في كل عصر بما يناسبه .

انهم منذ هذا العهد وما بعده بأجيال ومن عرف من العلماء والشيوخ الحضارمة يمشون يداً واحدة على المعالم المذهبية لأهل السنة والجماعة كما تتحدث بذلك التواريخ ، ولا يعرف مستند لمن يرى غير هذا من مؤرخي هذا العصر^٢ .

فعلى بنبيهم أن يعتبروا أنفسهم خداماً للعروبة والاسلام^٣ كما كان يفعل آباؤهم الكرام .

(١) انظر كلام الاستاذ باوزير في هذا الموضوع في كتابه: صفحات من التاريخ الحضرمي ، في ترجمة المهاجر ومحاضرة المستشرق ريبي سرجنت باللغة البريطانية المسماة: سادة حضرموت ، وغيرهما .

(٢) هو السيد ابن عبيدالله الذي يرى ان تأخر استيطان العلويين بمدائن حضرموت انما هو لانقلاب المذاهب الخ ما يقوله ، وما يستغرب ان يجعل للقطبانية الصوفية مدخلا في الموضوع اذ انها وما اليها من علوم القوم الصوفية انما هي اشبه برموز واصطلاحات لا يبنى عليها شيء من الأحكام .

(٣) قد قدمنا ما نراه من أن العروبة والاسلام متفقان .

الدُّور الرّابِعُ

من سنة ٤٠٠ هـ تقريباً الى سنة ٧٠٠ هـ تقريباً

الدور الراشدي

من سنة ١٥٤٠٠ تقريباً الى سنة ٢٥٧٠٠ تقريباً

هذا الدور منسوب الى السلطنة الراشدية التي أسسها آل راشد وهم اسرة من بني قحطان احدى القبائل الحميرية^٣ فهو المراد حين ينسبون اليه لا قحطان الأول وان كان مرجع نسبهم كعرب قحطانيين اليه . وآل راشد هؤلاء هم أبناء عمومة لبني الدغار الهزليين سلاطين شبام وأعمالها ويلتقون في النسب عند فهد بن القيل بن يعفر بن مرة بن حضرموت بن سبأ الأصغر . قال نشوان الحميري في قصيدته الخائية الشهيرة^٤ :

وبني الهزيل وآل فهد منهم من كل هش للندی مرتاح

وذروة دورهم هذا تلي ذروة الدور الاباضي وتقدر مدة دورهم كله

-
- (١) يُوخذ من البرد النعيم ومن جني الشماريخ .
 - (٢) بمعنى ان دولتهم بقيت ذيوها الى آخر القرن السابع الذي في أثنائه ظهرت سلطنة آل يمانى كما سيأتي و امارات اخرى تقوم وتسقط ولم تدم الا يسيراً . ويقال ان محمد بن عبدالله بن راشد ولي حضرموت ولكن لم تشتهر ولايته كأسلافه .
 - (٣) ولا يتعارض هذا مع نسبتهم الى سبأ الأصغر لأنه اما اب او ابن لحمير الاصغر او الأدنى على اختلاف المؤرخين . اما سبأ الأكبر فهو جد الكل وخطأ في الشامل من نسبتهم الى الانصار وكلامه في محله .
 - (٤) شرحها عبيد بن شرنبة توفي نشوان سنة ٥٧٣ هـ

بنحو ثلاثة قرون^١ ويليه دور آل يمني ويقدر بنحو ثلاثة قرون أيضاً^٢ ثم الدور الكثيري الأول وتقدر مدته بنحو ثلاثة قرون ونصف^٣ وكل ذلك سيأتي إن شاء الله .

ومعلوم ان دولة كل من هؤلاء الاسر التي توارثت السلطنة على حضرموت لها مد وجزر وانسباط وانكماش وقد يعثرها الضعف حتى يكاد يقضي عليها ثم تنبعث مرة اخرى من جديد ويتجدد شبابها .

كما ان نهاية زمن السابقة يكون بداية زمن اللاحقة وقد يطول هذا الزمن المشترك بينهما يتنازعان فيه البقاء حتى تتغلب القوية على الضعيفة كما يقع هذا كثيراً في التاريخ .

فقد بدأ الدور الراشدي وسلطة الأباضية موجودة الا انها الى ضعف وتلاش وان بقي أثر مذهبها الى ما بعد قضاء السلطنة الراشدية عليها^٤ ووقع نفس الشيء بالنسبة للسلطنة الراشدية مع السلطنة اليمانية ، فقد ظهرت الأخيرة ولسابقتها ذيول وأطراف حتى ورثتها وحلت محلها . كل هذا وقع مع عدم خلو المطاف دوماً بحضرموت من أشخاص وأسر وقبائل اخرى تتجاذب الحبل أيضاً مع هذه السلطنات في عهودها .

سلاطين آل راشد

تولى السلطنة الراشدية قحطان بن العوم الحميري وكان مركز سلطنته

(٢١) انظر البرد النعيم للشيخ محمد بن عبدالله بن سليمان الخطيب الذي انتهى منه ١٠٢ مخطوط .

(٣) يوخذ هذا بالضبط لميلادها ونهايتها من تاريخ الدولة الكثيرية لابن هاشم ويلاحظ عليه من نفس كتابه ما قاله من انها لعبت دورها في اربعمائة سنة .

(٤) انظر تاريخ الدولة الكثيرية لابن هاشم .

(٥) لقب سلطان اول ما عرف في أثناء الجهد العباسي لما ضعف أمر الخلافة واستبد كل قوي بسلطة مقاطعة يحكم فيها بقوته وشوكته وبقي الخليفة العباسي في بغداد خليفة صورياً وملكاً

تريـم^١ .

وخلفه ابنه احمد بن قحطان المولود بتريـم سنة ٤٣٠ هـ وقد اخرج منها الى دمون سنة ٤٦٧ هـ فتوفي بها . ثم فهد بن احمد المتوفى سنة ٥٢٨ هـ^٢ .
ثم ابنه شجعنة ، ابن فهد وقد تولى السلطنة سنة ٥٢٨ هـ وقتل بتريـم سنة ٥٣١ هـ فلم تطل ولايته ، وهو الجدد الأول للسلطان العادل عبدالله بن راشد الآتي ذكره وشجعنة هذا هو شجعنة الأول .

ثم فارس بن فهد المتوفى سنة ٥٤٧ هـ وتلاه مباشرة ابن اخيه راشد بن شجعنة المولود سنة ٥١٧ هـ والمتوفى سنة ٥٩٤ او سنة ٥٩٣ كما تقول بعض المصادر . وبناء عليه فقد طال عهده اذ تولى السلطنة وهو شاب في الثلاثين من عمره وبقي على كرسيها مدة ٤٧ سنة تقريباً^٤ وحدثت في زمنه حروب فيما بينه وبين أمراء وقبائل حضرمية وغزاة من خارج حضرموت ولكن المعروف ان شجعنة بن راشد ابنه تولى سنة ٥٧٧ هـ . فالفراخ الذي بينها وبين سنة ٥٩٣ هـ انما مألها ابنه شجعنة . وشجعنة هذا هو شجعنة الثاني وقد خدش في سيرة شجعنة هذا الخاصة والعامة كما يعلم ذلك من تصرفات له شاذة

اسمياً لمركزه الديني والرسمي فقط والقوة في يد السلطان او السلاطين من أترك او اكراد أو فرس او غيرهم ببغداد وغيرها . وهكذا استعمل اسم سلطان الى ما بعد حتى الى حد انه في حضرموت يطلق على من حكم قرية وعلى كل فرد من افراد اسرة اي سلطان .

(١) يستنبط من البرد النعم للخطيب وعقود الاماس للحداد .

(٢) أخطأ في جني شماريخ في ذكر اسمه .

(٣) لم يشر في عقود الماس الى وجود سلطان بين فارس هذا وشجعنة الأول ولكن في تاريخ سنبل مالفظه : في سنة ٥٣٩ توفي العموم بن فهد وولي بعده ابنه . ولم يذكر اسمه ولما وصل الى سنة ٥٤٧ هـ قال : توفي فارس بن فهد وولي تريـم راشد بن شجعنة . وقد تكون ولاية العموم ولاية جزئية .

(٤) هكذا صرح به في عقود الاماس راشد بن شجعنة ولم يقل ثم شجعنة بن راشد . ويظهر انه خلط بين الاثنين والمعروف ما اشرنا اليه فيما بعده ، وفي جني شماريخ للحداد نفسه ما يشبه ولاية شجعنة ولكنه اخطأ في ذكر فارس لما قال ابن احمد .

وسياتي ذكر بعضها ١ وقد أدى به الأمر فيما بعد الى ان قتل واتهم اخوه
عبدالله بذلك لاختلافهما في الآراء وفي السلوك ولكن عبدالله نفى ذلك وتبع
قاتليه حتى قتلهم كما سياتي .

ثم تولى السلطان عبدالله بن راشد بن شجعنة بن فهد بن احمد بن قحطان
الشهير بالسلطان العادل المولود سنة ٥٥٣ والمتوفى سنة ٥٩٣ هـ بطلب من أعيان
الشعب ٢ حيث انتخبوه سلطاناً في تلك السنة بعد ما بلغ السيل الزبى من الفتن
والتفائل والفوضى واختلال الامن . ولكن مع الأسف لم يلبث الامدة يسيرة
من انتخابه وفي السنة نفسها حتى قاومته بنو حارثة ونهد وحضرموت متعلمين
بطرده والي شبام النعماني وهو أحد أبناء احمد بن النعمان ممن يرون رأي
الحوارج والسلطان ابن راشد يرى فيهم عدوه اللدود سياسة ومذهباً . ودارت
بينه وبين ولاة شبام معركة في السنة نفسها في محل يقال له بيت الحوارج
كان النصر فيها لهم بعد أن كان حليفه . ولكنه فيما بعد سنتين تقريباً من هذا
التاريخ أي في سنة ٥٩٦ استطاع أن يعيد هيئته وأن يستولي على شبام وغيرها
من مدن وقرى حضرموت الداخل ونعم بشيء من الاستقرار وطمع في
الاستيلاء على الشحر فحصرها شهرين في سنة ٥٩٩ ورجع عنها واشتبك
في قتال مع بني حارثة أنفسهم ودارت المعركة بكحلان الى ناحية الجنوب
الغربي من تريم . وبعد نهاية المعركة نهبوا تمرنخيل مسيلة عدم كما تتخذها القبائل
المسلحة عادة قبيحة اذا حاربوا السلاطين او تحاربوا فيما بينهم ان يسطوا
على الزروع والثمار وكل ما تصل اليه ايديهم من المال . ولم تصف له السلطنة
فيما بعد فقد تحركت قبائل نهد وحصرت مدن الداخل وبعض قراها سنة
٥٩٤ . وترأس في نفس السنة راشد بن احمد بن النعمان احد سلاطين شبام
حملة ضد ابن راشد ودخل تريم كما سياتي . ولكن لصديق ابن راشد وعلمه

(١) ومع هذا فيؤخذ من تاريخ شنبيل انه هو الذي بنى مسجد شجعنة وهو المعروف اليوم بمسجد

فضل با مقاصير بتريم سنة ٥٧١ وجدد عمارته الشيخ فضل بن سالم بافضل فنسب اليه .

(٢) يظهر أنهم من منطقة تريم .

واخلاصه لوطنه ودينه مال اليه الشعب واستطاع ان يستعيد هيئته مرة أخرى وذلك سنة ٦٠٦ فكانت مباركة عليه وعلى الشعب الذي نعم فيها بالهدوء والراحة واستتباب الأمن باستثناء بعض الحوادث القليلة . وكان الوادي كله عامراً زاهياً بفضل عدالته فنسب اليه وسمي وادي ابن راشد^١ . وهكذا انتزعت هذه الفترة في عهد هذا السلطان من ثنايا الدهر الى سنة ٦١٦ ، وهي عام هجوم ابن مهدي الخارجي على حضرموت فقلب الأمور رأساً على عقب كما سيأتي ففيها اعتزل عن السلطنة^٢ وفيها قتل .

مذهب هذه الدولة وتقاليدها

ودولة آل راشد دولة سنية تأخذ بمذهب الشافعي في الفروع وبمذهب الأشعري في العقيدة فهي مخالفة للاباضية مذهباً وسياسة^٣ . اشتهر كثير من رجالها بالتقوى والعدالة والاصلاح وأمع شخصية منهم في التاريخ عبدالله ابن راشد الذي نسب اليه وادي ابن راشد ويعنون به الوادي الرئيسي في حضرموت الداخلة كما ذكرنا آنفاً .

وبالرغم من أن السلاطين القحطانيين سنيون يميلون الى الخير ويكبرون رجال العلم والفضل من اخوانهم السنيين فشانهم شأن غيرهم من الحكام السياسيين الذين لا يتورعون عن القاء القبض على أي شخص يشكون فيه ايأ كان ومهما بلغ من الفضل والمنزلة اذا اقتضت السياسة ذلك ، بل والى حد

(١) وهو من اعلا العقاد غرباً الى اقصى شعب نبي الله هود شرقاً .
(٢) ويظهر أنه مع اعتزاله عن السلطنة لم يترك التدخل في السياسة اذا تمكن من ذلك فقد قتل بسببها رحمه الله .

(٣) المصادر التاريخية الوثيقة تقول بهذا وفي ترجمة عبدالله بن راشد الدليل الكافي على ذلك . أما الاستاذ سعيد با وزير فقد تساءل في كتابه : معالم تاريخ الجزيرة العربية ، عما اذا كانوا يتمذهبون بمذهب الاباضية واعتقد ان لا داعي لهذا التساؤل ولعل فيها بيناه ونبينه الجواب .

السجن و دس السم والقتل جهاراً خصوصاً لما كانت دولتهم مهددة بالأخطار دواماً من الداخل والخارج ، والغاية عندهم تبرر الوسيلة .

فهذا الامام علوي بن محمد صاحب مرباط العلوي لما كان يتمتع بشعبية كبيرة لما اتصف به من وفرة العقل والعلم والفضل والثروة وشرف النسب لم يتورع السلطان المعاصر له منهم ، وهو كما تقول بعض المصادر راشد بن شجعنة^١ ، لم يتورع عن دس السم له مراراً مع تظاهره له بالصدقة وقبول الشفاعات التي يتوجه بها اليه . وذلك خوفاً من توجه الناس اليه وخوفاً من أن يأمرهم بالخروج عليه كما تصرح بهذه الفقرات بعض المصادر التاريخية^٢ .

وطبقاً لما ذكرناه فهم حين يخشون من تصادم أي نفوذ بنفوذهم يسعون في محو ذلك النفوذ او ايقافه على الأقل . ومع هذا فوالي تريم الذي ضايق علماءها وصلحاءها يبعد أن يكون منهم . فقد عقد مؤتمراً عاماً من العلماء الصالحين وما اكثرهم في ذلك العصر وأمرهم باختيار خيارهم^٣ ولم يزالوا يختارون له حتى كانت نتيجة الاختيار على الامام سالم بن بصري^٤ فنصب له شركاً ليقعه في مفسدة خلقية مع احدى الفتيات الجميلات ولكن عصمه الله بفضل متانة خلقه وتقواه . وغرض الحاكم من ذلك اسقاط نفوذ العلماء الثقات بين جماهير الشعب الذين قد يكونون أطوع لهم منه .

ومن تقاليدهم أنهم يدفنون موتاهم في صناديق^٥ تعظيماً لهم . ولهم

(١) هكذا يقول صاحب عقود الأماس ويمكن أن يكون ابنه شجعنة اذ هو معاصر له ايضاً

بمقتضى ما هو معروف في التاريخ .

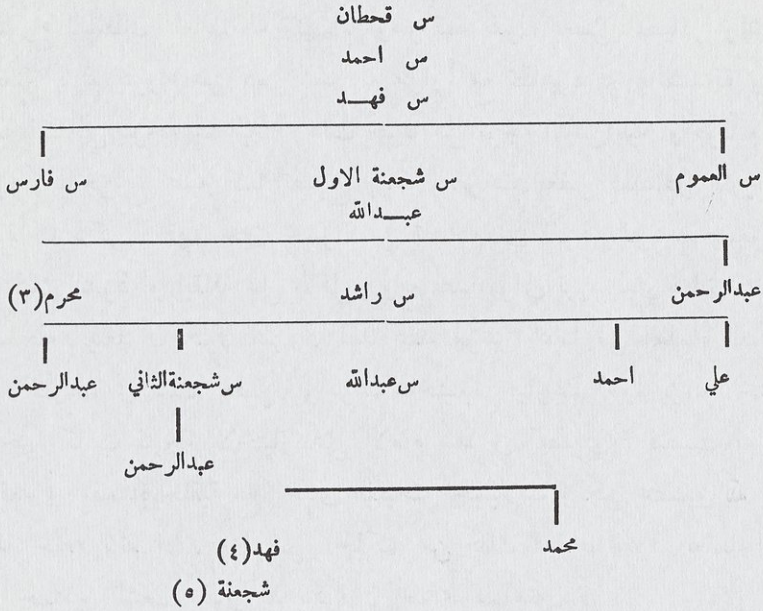
(٢) أنظر المشرع الرومي ومعنى هذا أنه يخشى ان يأمر الناس بالخر وج عليه لجوره وسوء سلوكه لا لاختلاف بينها في المذهب .

(٣) بمعنى ذوي النفوذ فيهم .

(٤) سنائي القضية عن تاريخ باحمره في ترجمته .

(٥) أنظر البرد النعيم ويظهر انها صناديق خشبية خاصة ويقول بعضهم ان في نجيل شبام قبور او لياء عليها صناديق من ذهب . وينسب لاحد تلاميذ الامام الداعية عمر العطاس و لعله يقصد و لاة بدلا عن اولياء . والتلميذ هذا هو محمد بن احمد بامشموس كما في كتاب القرطاس فهل هم بنو عمومهم من ال الدغار ام غيرهم والموضوع محل نظر .

مقبرة خاصة بقارة أبي جرش بتريم وتحتها مقبرة اخرى تدعى ديار الحجم ١ .
سلسلة المعروفين من سلاطين وأمراء آل راشد ٢ القحطانيين وقد
أشرنا الى من تولى السلطنة منهم بحرف سين .



- (١) انظر البرد النعيم ايضاً، وهاتان المقبرتان قد طمستا الان و ليستا من مقابر تريم المشهورة اليوم كما هو معلوم وقارة باجرش معروفة وهي جنوب غربي مسجد ، وقرية منه .
- (٢) يلاحظ أنه توجد اساء مشابهة لهذه الاسماء في بني عمومهم من آل الدغار سلاطين شبام وفي ال اقبال سلاطين الشحر و يتميز كل عن الاخرين بمتبع التاريخ .
- (٣) قتل سنة ٥٦٧ انظر تاريخ شنبل .
- (٤) قدم سنة ٦٠٣ اي صار مقدماً وقدمه ابوه على الجيش .
- (٥) ولد سنة ٦٠٢ . وبقي منهم اخرون لمنقف على من وصل سليله نسبهم الى نهايتها كعبد الباقي ابن عبد الرحمن المتوفى سنة ٧٣٣ هـ .

امراء حضرميون آخرون معاصرون للراشدين

وحروب وهجمات من العشائر والامارات

يوجد في بعض المدن الحضرمية في فترات مختلفة من الزمن امراء حضرميون تقوم اماراتهم وتسقط وليست في قوتها واتساعها وشهرتها كالسلطنة القحطانية الراشدية وتقع فيما بينها حروب وهجمات وفنن وقلاقل اضرت بحضرموت . وبالطبع فان عدم الاستقرار وتفرق الشمل وضياح العدل والأمن اضرّ شيء على المجتمع وأعظم أسباب التأخر والانحطاط .

امارة بني الدّعّار بشبام

وبنو الدغار هم ابناء عمومة لبني راشد كما سبق ومن ابرز عائلات بني الدغار آل النعمان الذين قاتلهم السلطان عبدالله بن راشد حتى اذعنوا له برهة . ومن ابرزهم راشد من احمد بن النعمان الذي شق عصا طاعة السلطان عبدالله ودخل تريم بعد سنوات من ولاية السلطان عبدالله بن راشد المشار اليه وهو غائب عنها وكانت اذ ذاك تموج بالفتنة والخوف . واتفق آل حضرموت الداخل على مبايعة راشد المشار اليه ضمن دائرة الشريعة المحمدية ولم تطل مدته اكثر من عام واحد حتى قتل سنة ٦٠٥ هجرية وبعدها (أعني سنة ٦٠٦) قبض السلطان ابن راشد على أزمّة الأمور من جديد وكان ذلك بمساعدة بعض قبائل الوادي ومنهم بنو حارثة وبنو حرام^١ .

امارة آل اقبال بالشحر

ومن الامارات المعاصرة لهم ايضاً امارة ال اقبال ويقال لهم ايضاً

(١) بنو حرام هؤلاء بطن من كنده و منهم بنو جعفر امراء الهجرين ونواحيها .

آل فارس^١ ، وقد استولوا على الشحر وحاولوا الاستيلاء على كثير من المقاطعات الحضرية الأخرى ولكن الحروب التي تقع فيما بينهم وبين غيرهم من العشائر وفيما بين بعضهم مع البعض الآخر كانت سبباً مباشراً في عدم استمرار سلطتهم فلم تقم لهم قائمة لمدة طويلة متصلة. ونجد في بعض المصادر التاريخية أسماء كثير منهم قتلوا في المواقع الحربية في هذا العهد^٢.

ومن أبرزهم راشد بن اقبال بن فارس القتييل بدوعن سنة ٥٠٩ . وفارس بن راشد بن عبد الباقي بن فارس بن راشد بن اقبال والي الشحر الذي هرب منها الى تريم حين هجم الغز^٣ على الشحر ، وقد وصل بهم أحد أفراد تلك العائلة وهو عبد الباقي بن راشد فبقيت تحت أمرهم عدة سنوات .

أما فارس بن راشد فقد توفي بتريم بعد سنة تقريباً من وصوله إليها في عهد السلطان عبدالله بن راشد وذلك سنة ٦٠٨ هـ .

شراء البلاد بالنقود

ومن امراء ال اقبال^٤ عبد الرحمن بن راشد بن اقبال ملك الشحر ، وقد استولى على حضرموت جميعها بالشراء من ولاتها سنة ٦٣٣ هـ ولكنها خرجت عن يده بعد ثلاث سنوات تقريباً من شرائها . وشراء البلدان عادة تقليدية في حضرموت استمرت الى اثني القرن الثالث عشر الهجري . وقد ملك ابو شماخ^٥ حضرموت بعد عبد الرحمن المشار اليه ٦٣٦

(١) الى الان لم أظفر بتسلسلهم الى أي القبائل .

(٢) انظر الشامل نقلا عن تاريخ شنبل .

(٣) انظر الشامل والغز فصيلة من الاتراك كما سيأتي .

(٤) يظهر أنه عامر بن فضالة بن شماخ من قبيلة ال شاخ .

لعام واحد تقريباً فقد خلفه عليها الرسوليون ملوك اليمن بالقوة .
أما عبدالرحمن بن راشد المشار اليه فانه توفي سنة ٦٦٤ بمحرموت
بالريدة^١ .

موجات الغزو الخارجي على محرموت في هذا العهد

استيلاء الايوبيين عليها وهجوم قائدهم الزنجبيلي^٢

استولى الأيوبيون على اليمن سنة ٥٦٩ بقيادة توران شاه شقيق صلاح
الدين الايوبي الشهير . فأرسل توران قوة الى محرموت حوالي سنة ٥٧٥
بقيادة عثمان الزنجبيلي ومعه بعض الجيش الذي اخضع به اليمن ، واكثره
من الغزى^٣ ، فاحتل الشحر واستمر في تقدمه وتوسعه يفتح ويستولي .

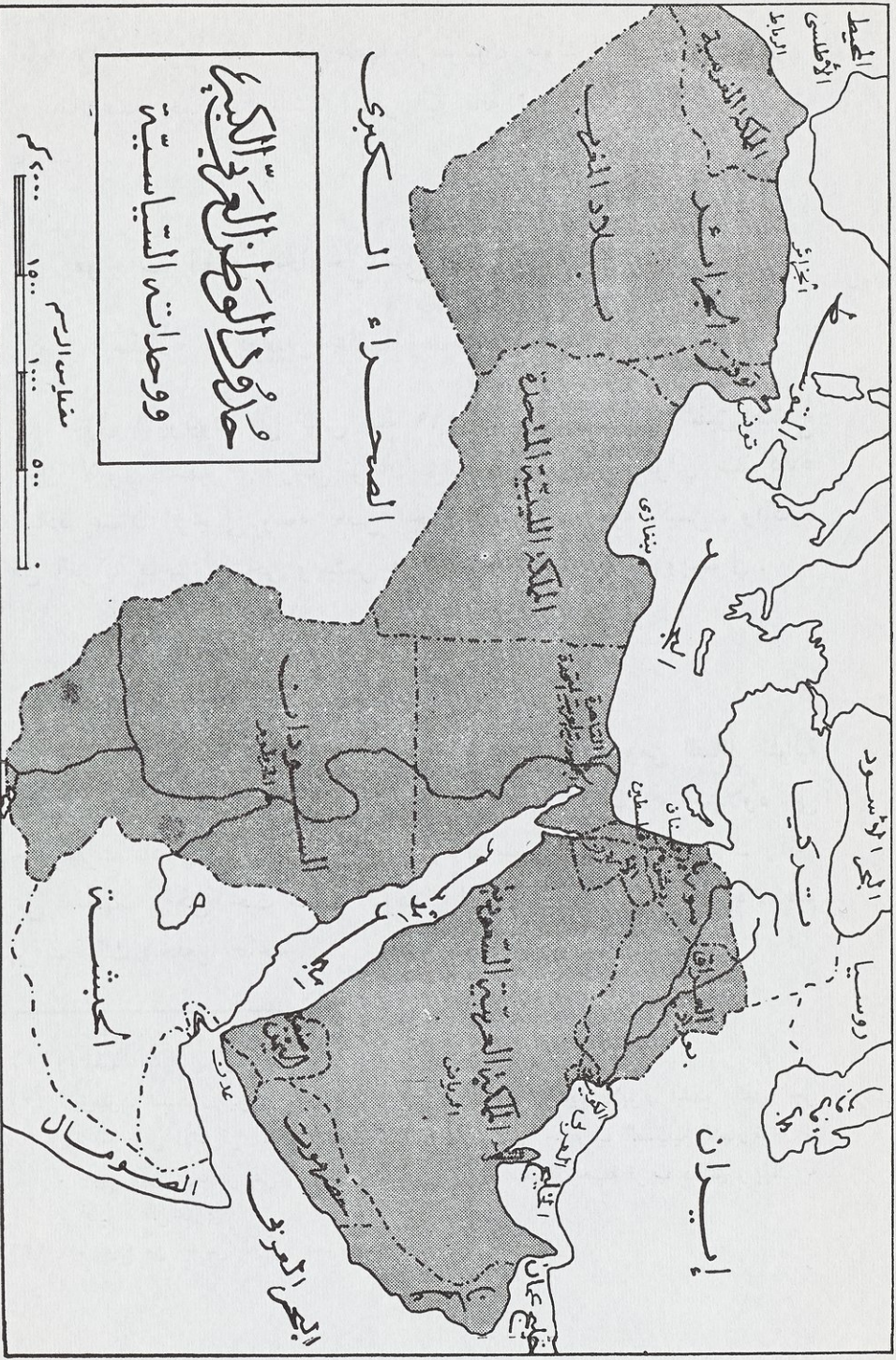
آل راشد يقاومون الزنجبيلي

وقد قاوم ال راشد الزنجبيلي فاعترضوه بجيش منهم ومن القبائل الموالية
لهم ، واسفرت المعركة عن تقدم الزنجبيلي . وبعد ان تم استيلاؤه على
محرموت عاد الى اليمن وترك أخاه الأسود او سويد نائباً عنه وابقى ال راشد
على ملكهم ولكن تحت سلطته ليؤدوا له الخراج وينفذوا أوامره ، فلم
يرقمهم ذلك وخلعوا طاعته .

(١) ولم نعلم اي الريد يعنون .

(٢) الايوبيون نسبة الى ايوب بن شادي الكردي والد صلاح الدين الايوبي الشهير الذي اجلى
الافرنج - عن الاماكن المقدسة بالشام، وقائد المسلمين في الحروب الصليبية الشهيرة . وأما
الزنجبيلي فهو عثمان بن علي الزنجبيلي نسبة الى قرية اسمها زنجبيلة قرب دمشق ويقال له
الزنجبيلي و الزنجاري .

(٣) وهم نوع من الجنس التركي كما مر .



حلاوى الوسط العربي الكبير
ووحدة السياسية

الصحراء الكبرى

مقياس الرسم
0 500 1000 1500 2000 كم

الزنجبيلي يأسر بعض سلاطين آل راشد

بعد ان بلغ الزنجبيلي ذلك جهاز قوة اخرى اخضع بها آل راشد وأسر السلطان عبدالله بن راشد وأخاه احمد ، وأرسلا الى عدن في هذا العام نفسه . وفي سنة ٥٧٦ القى القبض على كل من ابيه وأخيه شجعة ثم اطلقوا في العام نفسه .

قتل العلماء والصالحين

ودخلت تلك الحملة تريم وفتحتها وقتلت كثيراً من علمائها وصلحائها متهمة إياهم بأنهم المحرضون لآل راشد على خلع الطاعة . ومن ناحية اخرى تذكر بعض المصادر ان الزنجبيلي متعاون مع الخوارج^١ . وأن خروجه الى حضرموت بدعوة وترويح منهم ولا يبعد ان يخرضوا على قتل اولئك العلماء الشجعان المخالفين الخوارج عقيدة ، ولهم وللغز سياسةً ايضاً .

استشهاد الشيوخ بني اكدر

الشيخان يحيى واحمد ابنا سالم بن أبي اكدر من أفضل علماء تريم وأشجعهم وابرزهم تقى واستقامة . وقد قتل يحيى شهيداً فيمن قتل من العلماء التريمين كما قتل ابن عمه القاضي أبو بكر وكان حاكماً بتريم ، وأخ له فقيه وكانا راسخي الايمان لا يخشيان الموت وبينهما مودة اخوية وعلمية . ولما قدما للسياق قال لأخيه وقد سبقه اليه : أتسبقي الى الجنة لا بأس عليك فالى مثلها يكون السباق^٢ . وقد استشهد غيرهما من العلماء وكانت تزخر بهم تريم اذ ذلك اكثر وكانوا

(١) أنظر الجوهر الشفاف وعقود الالماس .

(٢) رواها بعض المعاصرين بتحريف لم نعرف مستنده بالنسبة لكل مصدر على انفراد .

على جانب من الاقدام والشجاعة ، ولم تخل حضرموت في أدوارها كلها من هذا النوع الممتاز بوفرة العلم ومثانة الاخلاق وبعد النظر ونزاهة القصد باستثناء أواسط هذا القرن الرابع عشر الذي لا نكاد نشاهد فيه من يقوم بما قام به أولئك العلماء الشجعان ١ .

نهاية امر الغز بحضرموت وقيادة عمر بن مهدي لهم

واستمر الغز في بقية المناطق الحضرمية يقتلون وينهبون ويفتكون وتشتبك معهم القبائل المسلحة في انتفاضات ضدهم وضد قائدهم عمر بن مهدي اليميني الخارجي العقيدة الذي انتهى امره وأمرهم في داخل حضرموت بهجوم القبائل النهديية ٢ عليه في شبام وقتلته مع عدد كثير من جيشه سنة ٦٢١ هـ وأفرجت عن أولاد السلطان عبدالله بن راشد من سجنه ثم استولت في هجمات خاطفة على أكثر البلاد الحضرمية ومنها تريم حيث يوجد بها واليا عبد الرحمن ابن راشد ٣ ثم عادت الى مقرها من حيث أتت . وتقول بعض المصادر ٤ ان مسعود بن يمانى الآتي ذكره هو الذي زحزحها عن البلاد وبقي يتجاذب حبل السلطة مع الغز ومع البقية من آل راشد ومع بعض القبائل الهايجة تعطشاً للسلب والنهب وسفك الدماء ومع السلطان الجبوظي كما سيأتي .

(١) الواجب على الأهالي حكومة وشعباً ان يعتنوا بانشاء معاهد اسلامية لتخريج قضاة ومرشدين ومفتين يقومون بانقاذ معالم الاسلام ونشر مبادئه واحياء ما اندرس من آثاره، وان يقوموا بتحسين المعاهد الموجودة ويكون كل هذا بواسطة خبراء من البلاد الاسلامية الاخرى ومن حضرموت ليقوموا بدور اولئك .

(٢) اختلف في المراد بنهد فبعضهم يقول المراد بها في هذا الموضع: القبائل المتجمعة في أواسط حضرموت . ويقال هي نهد المعروفة ساكنة الكسر .

(٣) يظهر أنه عبدالرحمن بن راشد بن اقبال لا عبد الرحمن بن راشد اخو السلطان عبدالله بن راشد ويستفاد هذا بتتبع تاريخ شنبل وغيره .

(٤) منها تاريخ ابن هاشم .

فمن بعد هذا التاريخ (عام ٦٢١) الى منتصف القرن السابع تقريباً نجد هؤلاء الزعماء المتنافسين وهم مسعود بن يمانى وابن شماخ وعبد الرحمن بن اقبال يتقاسمون السلطة بحضرموت ويتداولون مناطقها ويلعبون بها لعب الصبيان بالكرة، والشعب الحضرمي يذوق مرارة الخوف والارهاب والتجزئة في الداخل فضلاً عن الانفصالية عن الشقيقات في الخارج . واستطاع الجبوتي في أثناء هذه الفترة أن يملكها .

السلطان الجبوتي وبعده الملك الرسولي يستوليان على حضرموت

السلطان الثري سالم بن ادريس الجبوتي

ينتمي الى اسرة آل الجبوتي سلاطين ظفار بعد المنجويين ، وكان جم المطامع عالي الهمة كالكثير من اضرايه من السياسيين الطامحين الى توسيع ملكهم بالسيف تارة وبالدينار مرة اخرى ، فاستولى على اكثر مدن حضرموت من سنة ٦٧٣ الى سنة ٦٧٧ هـ تقريباً اذ بدأ ذلك بشراء مدينة شبام سنة ٦٧٣^١ . وهاجم منها المدن والقرى الحضرمية في الداخل واستصعبت عليه تريم فلم يفز منها بطائل سوى ترويع أهلها ف ضرب الحصار عليهم كما سيأتي ويقدر بعضهم ذلك الحصار بتسعة أشهر^٢ .

وقد أمد الحضارمة بمعونة كبيرة من النقود والأطعمة لما حدثت عندهم مجاعة في سنة ٦٧٦ ، ولكنها لم تكن لمجرد الاخوة الوطنية والاسلامية بل لجعلها وسيلة للاستيلاء على حصون القبائل المسلحة ومراكزهم التي سلموها اليه بدافع الفاقة والقحط ، لكنه لم يضع فيها قوة كافية لبقائها تحت سيطرته

(١) في تاريخ ابن هاشم سنة ٦٨٣ ويظهر انه خطأ مطبعي .

(٢) أنظر تاريخ شنبل .

فلما عاد الى بلاده ظفار لم يلبثوا ان استقبلوا بها فكان كما قال المتنبي رحمه الله :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلی مضر كوضع السيف في موضع الندى

وأخيراً هاجم الشحر وبها الغز فدحروه منها بالرغم من استعدادهم بقوات بحرية وبرية . وانتهى به المطاف الى الرجوع الى ظفار كرسي سلطنته وانتهى أمره باستيلاء الملك المظفر يوسف بن عمر الرسولي احد ملوك الرسولين^١ باليمن عليه وعلى بلاده ، وقتله وألقى القبض على أفراد أسرته . وذلك سنة ٦٧٨ بعد حرب نشبت بين الطرفين في ظفار . ثم استولى الرسولي على حضرموت في السنة نفسها .

صدقات الحبوذي

ومع ما تقدم من قصر حكم الحبوذي بحضرموت فقد ترك فيها آثاراً عديدة وأموالاً كثيرة اطياناً ونخيلاً وغيرها ، منها صدقاته وأوقافه على المعوزين بكثير من المقاطعات الحضرمية . وبالرغم من أننا لاندرى عما اذا كانت أمواله خاصة أم حكومية ، وهل وصلت اليه بطرق مشروعة ام ابتزها من أموال الشعب ومقدراته — بالرغم من هذا فقد انتفع منها الأهالي ولا يزالون بها ينتفعون . ولاندرى عما اذا كانت منظمة ومحفوظة كلها الى اليوم — كما هو الواجب — أم لا .

تلك آثاره تدل عليه فانظروا بعده الى الآثار

(١) نسبة الى بني رسول ملكوا اليمن بعد الايوبيين وينتمون الى جيلة بن الايهم الغساني وتأسست دولتهم سنة ٦٣٠ هـ .

الحياة الاجتماعية في العهد الراشدي

الناحية السياسية

يمكنك أن تأخذ مما تقدم صورة عن الحياة السياسية اذ لا تزال الفتن والقلاقل واضطراب حبل الأمن كل ذلك يكاد يكون مستمراً في ذلك العهد الا في فترات تبدو بين آونة وأخرى ، من أهمها وأبرزها مُفتتح عهد السلطان عبد الله بن راشد . ويعقب ذلك الاضطراب ويصاحبه غلاء في الأسعار ومجاعات كما هو الغالب في كل حرب من هذا القبيل .

الشفاعات والخفارات

وكثيراً ما تقع الشفاعات من ذوي الوجاهات المعروفين بالعلم والصلاح والتقوى والانتماء الى الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم لدى السلاطين والأمراء ورؤساء العشائر^٢ فيما اذا وقع على احد من أفراد الشعب ظلم أو ضغط أو ضريبة .

وقد يقوم بعض أولئك بخفارة القوافل في الطرق بأن يعطيهم شيئاً من آثره كمسبحة او رسالة او نحوهما حتى ولو كانت طويلة^٣ . وقد يجيرها احد افراد قبيلة مما يسمى ذلك بالسيارة وهو الخفير الذي يقوم بالخفارة وقد عرفته العرب منذ سابق عهود الجاهلية واستمر ذلك العمل بحضرموت الى ما قبل هذا العصر بقليل أي بعد الحرب العالمية الأخيرة وبعد استتباب الأمن بها وتعميمه .

(١) أنظر تاريخ شنبيل .

(٢) يستفاد هذا من كتب التراجم والنواريخ كقلادة النحر والمشرع والبرد .

(٣) من أمثلة ذلك تسيير الأمام محمد صاحب مرباط للقوافل في امان ما بين أو اسط حضرموت ومهرة . والضمير في « كانت » يعود على الطرق .

الزراعة والاعمار

وانتعشت الحياة الاقتصادية في الكثير من زمن هذه السلطنة بغرس النخيل وزرع الاطيان والاعتناء بعمارة السواقي والأودية ومن أبرزها في حضرموت الداخل وادي بيت جبير الشهير^١. وظهر تحسن احوال الزراعة وانتعاش التجارة واستمرار الصنائع الوطنية كالغزل والنسيج. وقد بلغت الحالة الاقتصادية مستوى عالياً في زمن السلطان عبدالله بن راشد لما اقترنت باستتباب الأمن ونشر العدالة في الفترة الذهبية من أيام حكمه حتى أثرت عنه القولة الشهيرة بأنه لا يوجد بها حرامي ولا سارق ولا محتاج^٢. ومعلوم ان هذا في فترة من فترات حكمه كما قلنا اذ من المعلوم وجود اضطرابات كثيرة في عهده مما اضطره الى التنازل عن الحكم ثم العزلة، الى ما قد يحصل من ارهاق الناس احياناً بالرسوم والضرائب من بعض سلاطين آل راشد^٣ خصوصاً في أواخر عهدهم. فقد بلغ الحال في بعض المدن الحضرمية^٤ الى أن السكان يغلقون عليهم بيوتهم من العشية وعطلت صلاة الجمعة ثلاثة شهور مما أدى الى كره الشعب لهم وانحلال دولتهم وقد قيل في الحكمة المأثورة: العدل كم عمّر والظلم كم دمّر.

العملة:

والعملة المستعملة في ذلك العهد ومن حين استيلاء الدولة العباسية على حضرموت هي الدينار والدرهم والدانق العباسية وفيما بعد تعددت العملات في حضرموت كما سيأتي.

-
- (١) ذكرها المؤرخون في ترجمة الامام محمد بن علوي بن عبيد الله وغيره.
 - (٢) في تاريخ باخرمة حرام وكان يفتخر بذلك وقد خص بلده بأنها تريم.
 - (٣) يُوخذ هذا من المشرع ومن تاريخ باخرمة.
 - (٤) منها تريم كما تواتر عن الشيوخ وكما في كلام بعضهم المسجل.

الازياء :

ومما عرف عنهم استعمال العمام والمقصان والبرود المنوعة وغيرها والتمنطق بالخنجر والجنابي^١ وتعليق السيوف على اكتافهم بواسطة حمائلها عند سيرهم ويضعونها قريباً منهم أو على افضادهم في مجالسهم ومنهم من يجلدها ويزين أعمادها كما يزينون أثوابهم بالسجاف والتطريز، وفي حروبهم يستعملون كل الأسلحة المعروفة من سيوف ورماح وأقواس ومجانيق، والى أن ظهرت البندقيات في القرن العاشر فتسارع اهله الى اقتنائها بعد ان بدأ بها السلطان بدر بن عبدالله الكثيري ابو طويرق كما سيأتي. واهتموا بها وبالأسلحة التي تعد حديثة بالنسبة لذلك الزمن وما بعده ومنها المدافع، وبلغ بهم الاهتمام بالبندقيات الى درجة التأليف في كيفية استعمالها وتركيب أجزائها وصب رصاصها وعلاج المصابين بها خاصة وما الى ذلك^٢ مع العلم بأن حمل السلاح لم يصبح عاماً في اكثر الطوائف وقتئذ كما كان في العهد الراشدي الذي نحن بصدده فان الامام الفقيه المقدم محمد بن علي العلوي لما بدأ بكسر السيف والقاء السلاح لأسباب جمّة سيأتي ذكرها في محله ومنها رغبته في تعميم السلم، صار قدوة حسنة للكثيرين ممن فعلوا ما فعل حتى أصبحت فيما بعد اكثرية الطوائف الحضرمية لا تستعمل السلاح كأمثالها من الشعوب الأخرى.

أما السيدات فيرتدين الفساتين الطويلة الأكمام والأذيال^٣ ويتقنعن بالأقنعة ويختمرن بالحممر ويستعملن الأحزمة والحلي^٤ ويخضبن بالحناء كما

(١) الجنابي جمع جنبية وهي الخنجر الصغير.

(٢) منها كتاب البذرقة في البندقية لاحد علماء بيجان وهو مخطوط قد وقفت عليه وفيه الشيء الكثير عما ذكرته وعما يتعلق بحمل السلاح وعادات ما يسمونه بالقبولة بفتح القاف واللام بيزان فعولة مشتقة من اسم القبائل ويطلقونها على القبائل المسلحة وهي التي تقوم بالأعمال العسكرية بحضرموت ويبقى العزل دواماً تحت رحمتها فيما يتعلق بالسلم والحرب والامن والخوف.

(٣) قد مر الكلام عن الاذيال في موضوع هجوم معن بن زائدة على حضرموت.

(٤) سيأتي الكلام عن الوقت الذي حدث فيه استعمال الاصباغ وعن المشطة التي اختلف في جوازها

في العهود السابقة واللاحقة ، ويختلف كل ذلك باختلاف الظروف والأحوال والمناسبات وفي الأفراح - والاتراح فالاستعمال لم يختلف في هذا العهد كثيراً عن الماضي والتطور لم يرتفع الى الدرجة المطلوبة بالتحسين .

الاحكام والمحاكم

وتصدر الأحكام من محاكم شرعية جليها شافعية^١ وكثيراً ما يحدث أن يصدر أرباب السلطة من حملة السلاح احكاماً طاغوتية وقد تجتمع الرؤساء فيصدرون احكاماً في القضايا التي يرون أن يتولوها وقد يستبد الفرد المتسلط فيصدر أحكاماً ارتجالية فيما يشاء كما يشاء^٢. ويكثر هذان النوعان عند اشتداد الفتن حتى اذا بلغ السيل الزبي تراجعوا فيما بينهم وتعاهدوا على تنفيذ احكام الشريعة الاسلامية كما وقع ذلك في عهد السلطان عبدالله بن راشد اكثر من مرة.. وهكذا تلعب الفوضى والاسْتبداد والجهل لعبها في هذه البلاد المسكينة وعلى حساب شعبها المنكوب .

التدريس في الزوايا والمساجد

وكان التدريس اذذاك في مدارس يسمونها الزوايا وهي بنايات خصصت للتعليم والتدريس ومنها زاوية الشيخ سالم بافضل المعروفة الى اليوم بتريم، هذا بالاضافة الى دروس المساجد والديار. وكثيراً ما يلحقون ببعض المساجد

علماء حضرموت في القرن الثالث عشر وهي وضع التمر والطيب في شعر العروسة اياماً يتلبد فيها الشعر ولا يصل الى اجزائه الماء .

(١) احتزنا بلجلها لوجود اباضية في هذا العهد .

(٢) سيأتي الكلام عن العهد الذي دونت فيه بعض الأحكام القبلية وعن كتاب يدعى المنع من حكم الشرع .

زوايا من هذا النوع ولهم مكاتب فردية ولم اسمع عن العمومية الا فيما بعد
هذا العهد كما سيأتي عنها وعن غيرها من حدوث وسائل الثقافة بخصرموت
في محاله ان شاء الله .

الحالة الثقافية

وتبرز لنا ناحية هامة من نواحي الحياة وهي الناحية الثقافية في ذلك العهد
فقد كان مخصصها برجال العلوم الشرعية والعقلية والصوفية^١ والعربية الى تقي
وورع واستقامة. وارتقى المستوى العلمي الى درجة انه اجتمع ثلثمائة مفتي
في تريم^٢. وفي اسر كبيرة برمتها انجبت وانتجت سلالات توارثت العلوم
المشار اليها، ويبرز لنا من أولئك العلويون وآل ابي ماجد وآل ابي عيسى
وآل أبي جواس وآل ابي اكدر وآل ابي الحب^٣ وآل ابي فضل وآل
الخطيب وآل ابي حاتم وهذه الأسرة بلغ من رجالها خمسة وأربعون مفتياً
يجمعون في محل واحد^٤. بل ومن الاسر السلطانية منهم بهذه المثابة كالسلطان
عبدالله بن راشد وبعض اخوته وبنيه والناس على دين ملوكهم. وقد كان كل
أولئك وغيرهم يتدارسون العلوم والمعارف ويطبقون العلم على العمل في
ديارهم ومساجدهم ومعاهدهم كما كان يعمل في البلاد الاسلامية الاخرى
وتغلب عليهم روح العلم والشرع اكثر من روح التصوف. وقد وصفهم

(١) لا يتعارض هذا مع حدوث طريقة الصوفية فيما بعد اذ المقصود هنا التصوف العام وفيما
يأتي طريقة الفقراء التي يرمزون اليها بقوله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا الله واليه هو

الغني الحميد . »

(٢) أنظر البرقة .

(٣) بضم الحاء .

(٤) ويوضح بعضهم فيقول أنهم يجتمعون في دكة مسجد عاشق وموقعه من أجمل المواقع بتريم.

أنظر البرقة .

نشوان الحميري^١ الشاعر الشهير لما زار تريم فوجدها كالعروس بهم فقال :

رعى الله اخواني الذين عهدتهم ببطن تريم كالنجوم العوأم
علياً حليف النجدة ابن محمد وابنا اخيه الغر أبناء حاتم
ومن في تريم من فقيه مهذب وسيد أهل العلم يحيى بن سالم

الى ان قال^٢ :

اولئك أهل الفضل في ظل فاضل عظيم من الأملاك عالي الدعائم
انست بهم من سالف الدهر برهة فكانت لياليها كأحلام نائم
وفارقتهم كرهاً ونار فراقهم تاجج ما بين الحشاء والحزائم
وهل لزمان الوصل بالوصل عودة وهيهات ليس الصدع كالملائم
ألا هل لأيام تقضين رجعة او ابكي عليها بالدموع السواجم
لئن بعدت أجسامنا فقلوبنا بها الود باق غير واهي العزائم
سلام عليكم من صديق بقلبه جراح فراق ما لها من مراهم

والواقع ان كثيراً منهم في درجة أصحاب الوجوه من أصحاب الامام الشافعي رضي الله عنه. ومما يدل على مقدار تبحرهم في العلوم الواقعة التي جرت للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن باعبيد رحمه الله^٣.

(١) توفي سنة ٥٧٣ وهو معتزلي وما عيب عليه تمصبه الشديد للقحطانيين حتى أنه لا يذكر

العدنانيين ويتجاهلهم ومن شعره :

فافخر بقحطان على كل الملا الناس من طين وهم من عسجد

وقد اخطأ من ينسب تلك الايات لعلي بن محمد حاتم ولعله تمثل بها .

(٢) يقول ابو نخرمة المراد يحيى بن سالم بافضل ولكن المؤرخ بلفقيه يقول إنه يحيى بن سالم

اكدر ويستدل لأنه ابرز وبان زيارة نشوان والشيخ سالم بافضل حي فكيف يصف ابنه بهذا و أبوه ومن في طبقتهم إذ ذاك احياء .

(٣) هو عبد الله بن عبد الرحمن باعبيد صاحب الاكمال شرح التنبيه المتوفى سنة ٥٦١٣ انظر تاريخي

با نخرمة وشنبل .

— واقعة ابن أبي عبيد الحضرمي مع ابن أبي الصيف امام الحرمين —

ويحدثنا عنها أبو مخرمة في تاريخه نقلاً عن الخطيب فيقول بالحرف الواحد: سافر الى الحج (يعني ابا عبيد) في زي الفقراء والمساكين وأحب ان لا يُعرف فدخل مكة وهو على تلك الصفة وامام الحرمين اذذاك بها فحضر عبدالله المذكور حلقة امام الحرمين وهو محتف بذلك الزي وفي الحلقة فقهاء كثير، فألقى عليهم مسألة دقيقة غامضة جداً فلم يقدر أحد من الحاضرين على جوابها فلما لم يجب عنها أحد من الحاضرين لم يتمالك عبدالله حتى زحف الى امام الحرمين للجواب على تلك المسألة جواباً شافياً. فلما سمع منه امام الحرمين ذلك الجواب قال له، من انت فاني أظن ما على وجه الأرض من من يجيب مثل هذا الجواب الا ان يكون الامام عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي عبيد الحضرمي التريمي فان لم يكن هو اقتنعت. أو كما قال، فقال عبدالله بل أنا هو رضي الله عنهما اه. ثم تساءل ابو مخرمة عما يريد الخطيب بامام الحرمين هل هو امام الحرمين شيخ الغزالي وهذا غير ممكن لفارق الزمن، وأخيراً أجاب بأن المراد غيره ممن تلقب بهذا اللقب. ولكن بالسير التاريخي يظهر أن المراد به ابن أبي الصيف المعاصر لذلك الامام وهو الذي يدرس ويلقب بهذا اللقب وتقول بعض المصادر^١: لعله احد أبناء الامام الحسين ابن علي الطبري، والله أعلم.

وهناك في المدن الشهيرة بحضرموت من غير تريم كالشحر وشبام والمجرين ودوعن وغيرها علماء آخرون كالشيخ سعد بن علي تاج العارفين والشيخ محمد بن سالم ابني وزير والامام محمد بن أبي النعمان الهجراني، الا أن تريم أبرز مدينة علمية بحضرموت في ذلك العهد. فقد بلغت فيها النهضة العلمية في ذلك العهد أوج كمالها ومع ذلك فتذهب منهم بعوث الى العراق واليمن

(١) عقود الاملاس للحداد.

والحجاز وغيرها للاستزادة من المعارف والبحوث العلمية كما يؤخذ ذلك من تراجمهم^١.

النهضة الأدبية

ولم تخل البلاد فيه من نهضة أدبية وقد ارتفعت الى الذروة أثناء القرن السادس وامتدت الى اواسط السابع اذ نبغ فيها أمثال محمد بن أبي الحب الشاعر الناثر وابن عقبة الشبامي الشاعر.

المجتمعات الدينية

وقد وضعت في هذا العهد تنظيمات للمآتم وليالي رمضان فتقرأ خطب محمد بن أبي الحب الشهيرة في مآتم الميت وأخرى عند دفنه وثالثة عند ختم القرآن عليه بعد ثلاثة أيام. وهناك قصائد ومدائح نبوية ووعظية تنشد بازجال خاصة في ليالي رمضان بعد التراويح والوتر وفي غيره حزب ما بين العشاءين ولا يزال كل ذلك باقياً الى اليوم. وهو وأمثاله مدون عند المعتنين به. ولا شك ان لهم تقاليد اجتماعية في أعيادهم وأفراحهم منها ما هو باق الى اليوم كزغردة النساء في الأعراس والأفراح وأمثالها والقيام بأغنيات وحركات بمناسبة القنص والحصاد وما الى ذلك.

وبينما نرى من رجال العلم والتقوى في هذا العهد من وصفناهم نرى في الناحية الاخرى من هم بضدهم على طول الخط من الاشرار والمخربين ومثيري الفتن والقلاقل ومحترفي الاجرام ككل زمان ومكان، وكل حزب بما لديهم فرحون.

(١) مثل ترجمة الشيخ سالم بافضل الذي غاب عن وطنه الى العراق نحواً من أربعين سنة تقريباً.

من نوابغ الدور الراشدي

يحدثنا التاريخ عن هذا الدور بأنه ثري بالائمة والعلماء وقد كتبت عن أفراد منهم يكادون يكونون هم الذين تحصلنا من المراجع على تراجم لهم اوسع بالنسبة للآخرين. وهناك اعلام اخرون مخضرمون بين العهدين الراشدي واليماني^١ ، ستأتي تراجمهم في دور آل يمني ان شاء الله . إن الأفراد الذين عرضناهم قد برزوا في النواحي العلمية والاجتماعية والتربوية والتصوفية . ومنهم من برز في الناحية الاقتصادية والعسكرية والسياسية كما سيأتي .

الامام صاحب مرباط

لقب صاحب مرباط لأنه تديرها اخر عمره وهي ظفار القديمة التي لها مكانتها في كثير من أدوار التاريخ وهو محمد بن علي بن محمد العلوي .

تربيته ونموه

نشأ بتريم على طريقة ابناء الائمة في ذلك العهد فأبوه علي خالع قسم هو الذي نشأه وهذبته وحفظه القرآن وثقفه . وبعد أن اتم تعليمه بتريم ، رحل الى الخارج للازدياد من المعارف والثقافة والتجارب في الحياة . وعاد بعد الى حضرموت وكان ذا يد طولى في العلوم الشرعية والعقلية والعربية والتصوفية وقد استطاع ان يخرج كثيراً من النوابغ كابنه الزعيم علوي وشيخ الاسلام سالم بافضل والقاضي احمد باعيسى وسعد الدين الظفاري . وتقول عنه بعض المصادر أنه انتفع به كثيرون في العلوم والمعارف من جميع الفرق الموافق منهم والمخالف^٢ . وما ذلك إلا لاتساع علومه

(١) نسبة لآل يمني .

(٢) المشرع .

وعلو منزلته ولكثرة اسفاره واختلاطه بمن ليس على مذهبه .

زعامته

والى ما تقدم فله زعامته الاجتماعية ومكانته الشعبية وقوة الشخصية ، وله هيبة بين العشائر والسلاطين . وقد قدمنا ان القوافل تسير في خفارته حين تمر عليه بيت جبير وهو في البلد المسماة بالعلوية^١ حتى تصل ظفار ويقوم بدوره في تحسين العلاقات بين الدولتين الراشدية بداخل حضرموت والمنجوية^٢ ببلاد مهرة مما له اثر في تحسين الأحوال في البلدين .

دوره في ادخال المذهب الشافعي الى ظفار

ولهذا الامام الفضل في ادخال مذهب الامام الشافعي والعقيدة السنية الى ظفار بعدما كان أهلها خوارج غلاة وقد استطاع بما له من مقدرة فائقة ان يحولهم عن عقيدتهم التي نشأوا عليها الى عقيدة اخرى هي العقيدة السنية والمذهب الشافعي^٣ . فقام بمثل الدور الذي قام به المهاجر جده في ادخال او نشر مذهب الشافعي بحضرموت ، وكما هاجر الاول من البصرة الى حضرموت هاجر صاحب مرباط من تريم الى ظفار .

ومن البواعث له على ذلك الاضطراب والفتن اذ ذاك بحضرموت بين السنيين والخوارج او الشافعية والاباضية . فقد مثل نفس الدور ايضاً وكلاهما من ائمة وزعماء حضرموت في عهديهما .

(١) نسبة للعلويين ولم تدم عمارتها طويلاً .

(٢) نسبة الى بني منجويه سلاطين ظفار في ذلك العهد قبل الجبوتي .

(٣) أنظر عقود الاملاس في تحقيق الموضوع .

اقتصادياته

ولم يغفل الناحية الاقتصادية أيضاً فمما عرف عنه انه يقوم بالاشراف على اراضيه الواسعة في الزراعة والغرس وتربية الدواجن وما الى ذلك واكثرها بوادي بيت جبير ذات الأطيان الجيدة، وبلغت مزروعاته مقادير هائلة الى درجة ان احدى خادmatesه تجد من كنس داره بتريم حين ييارحها للاصطياف ببيت جبير تجد ما قُدِّر بما بين أربعين وثمانين قهالوا من الحب سنوياً .

اخلاقه وكرمه

عُرفت فيه الظاهرة التي في آبائه وبنيه من الاستقامة ورحابة الصدر وبعد النظر ونشر العلم والتضحية بالمال في سبيل الصالح العام، فداره مفتوحة للضيوف والزوار وهي تجمع طوائف مختلفة من الضيوف اعراباً ومدنيين وعلماء وسياسيين سواء ان كان في تريم ام بيت جبير ام ظفار، لاتصال الشعب به ومحبه الشديدة له .

وله نفقات مستمرة على كثير من العائلات المحتاجة فهو يوزع اكثر أمواله دائماً ما بين صدقات على المحاويج وقرى ضيوف وأمثالها .
توفي رحمه الله بمرباط وكان قد هاجر اليها كما ذكرنا فانتعشت به وانتفع به أهلها وكانت وفاته سنة ٥٥٥٦هـ .

شيخ الاسلام سالم بافضل

هذا هو الشيخ سالم بن فضل بن عبد الكريم بافضل وينتهي نسبه الى سعد العشيرة بن مدحج وبعضهم ينسبه الى الانصار، ولكن المعروف والمتواتر

(١) القهال هو اثنا عشر مدا والمراد بالحب الذرة .

هو الأول تتلمذ في حضرموت على بعض علمائها وتخرج بالامام محمد صاحب
مرباط فيها^١.

يمتاز الشيخ سالم بالتوسع في العلوم الشرعية والعقلية والعربية ومما يدعو
الى الاعجاب به طول غيبته عن وطنه حضرموت لمدة قدرت بنحو أربعين
عاماً كلها او جلها قضاها منهمكاً في زيادة التحصيل في العراق. وقد عاد
الى وطنه تريم وبذل نفسه لنشر العلم ونصرته المذهب السني مع انصاره
بمقارعة الحججة بالحجة كما كان يعمل غيره من علماء السنة منذ عصر المهاجر.
وتذكر بعض المصادر^٢ انه جادل المعتزلة ايضاً واذا صح هذا - فمعناه
وجود من يعتنق عقائد المعتزلة في ذلك العهد بحضرموت، واستصحب معه
احتمالاً من الكتب القيمة لينتفع بها طلاب العلوم والمعارف.

تلاميذه

وللشيخ سالم تلاميذ أصبحوا فيما بعد أئمة كباراً وفي مقدمتهم الامام
سالم بن بصري الآتي ذكره والامام علوي بن محمد صاحب مرباط وأخوه
علي وغيرهم^٣ وقد عد الفقيه المقدم من الآخذين عنه بالرغم من صغر سنه
فقد توفي والفقيه في سبع سنوات.

فلسفة الشيخ سالم

والشيخ سالم شاعر فيلسوف في شعره وقصيدته الفكرية تدل على اطلاع
واسع في التشريع وعلى دقة التفكير وعمقه، وهي تنيف على مائة وثلاثين

(١) ولا يبعد اخذه عن خالقه عن تلميذه يحيى بن عبد العظيم الحاتمي .

(٢) صلة الأهل للشيخ محمد بن عوض بافضل مخطوط .

(٣) أنظر المشرع وصلة الأهل .

بيتاً ١ مطلعها :

ايا فاتحاً باباً عظيماً من الفكر هنيئاً لك الحظ الجزيل من الأجر

ويقول فيها عن الفلك : —

وفي البدر فكر كيف يبدو هلاله وكيف تناهى نوره ليلة البدر
ومن بعد هذا صار ينقص ضوءه الى ان يرى مثل القلامة للظفر
ومن اعجب الأشياء تحويل نوره الى ما عليه كان في أول الشهر
وهذا من الرحمن لطف بخلقه ليحصوا به عد الحساب بلا نكر
وسبحان من حلّى السماء بزينة واتقن ما فيها من الانجم الزهر
ومنها نجوم للشياطين حصّب ومنها الذي يهديك في البر والبحر
ومنها الذي يجري الى الشرق دائماً ونحو غروب الشمس اكثرها يجري^٢
ويولج في الليل النهار ويولج النهار على الليل البهيم الذي يسري
وسبحان من للطول والقصر الذي تعاقب منه فيهما ابدى مجري
وسبحان مجري الكل منها بقدرة فتسبح في افلاكها اسرع الجر

ووصف فيها عناصر الطبيعة من جماد وماء ونار ومعدن ونبات وحيوان
وأثمار وبحار وغيرها ثم ذكر الانسان ومزاجه وخلقه وغرائبه ووظائف
أعضائه ومما قال عنه : —

وأعجب امر ما ترى العين وسعه على صغر منها لدى الفتح والشجر
وانبع عيننا لا يغور معينها بفك من الريق الرحيق بلا حفر
وفيه لسان ناطق ومترجم وفيه بيان الذوق للحلو والمر
ولم يشتهه صوتان قط لسامع ولا اللون من شخصين من سالف الدهر

(١) حبذا لو تصدى لشرحها أحد علماء الطبيعة فإنه سيجد مجال القول ذا سعة .

(٢) اي في نظر العين .

ومن بين ذي قطع ومن بين ذي كسر
تطيل اعتباراً في أناملك العشر
فشكراً لجدواه وانعامه الغمر
مهياً للمد والقبض والمصر
وكنت من الأرحام في ظلم القعر
ووجهك مصروفاً الى جهة الظهر
اعاليك سفلاً حين ازعجت للزحر
فقيراً ضئيل الجسم كالفرخ في الوكر
وغذاك منها ذلك الوقت بالدر
حياة فكن مما وعدت على حذر
تطول فلا تحصى بعد ولا حصر

واعطاك اسناناً فمن بين طاحن
واعطاك للبشش اليمين فكيف لا
وركب فيك الرجل للمشي حكمة
وفصل في الاعضاء منك مفاصلاً
وسبحان من أحياك بالروح رحمة
فصرت اذا في بطن امك قاعداً
فلما دنا وقت الولادة نكست
فصرت الى الدنيا وما لك حيلة
فاحنى عليك الأم لطفاً ورأفة
فنومك موت وانتباهك بعده
وفي باطن الأعضاء منك عجائب

ثم قال : -

ومحتجباً في الصدر كالملك في القصر
بروحك من تلك البخارات بالسحر
ودعه لما فيه من المنع والحظر

وفي القلب فكر كيف صار ممنعا
ومهما ترمه بالتماس تحسه
وفي الروح فامسك فهو من امر ربنا

ومنها ما يشبه الى حد كبير الأبيات المنسوبة للامام الغزالي التي يروى
عنه انه خاطب بها الامام الزمخشري حين سأله عن تفسير بعض الآيات التي
تقصر عن فهم حقائقها الافهام وهي : -

قصر القول فلا شرح يطول
قصرت والله اعناق الفحول
تدر من انت ولا كيف الوصول
فيك حارت في خفاياها العقول
هل تراها فترى كيف تجول

قل لمن يفهم مني ما أقول
ثم سر غامض من دونه
انت لا تعرف اياك ولن
لا ولا تدري صفات ركبت
اين منك الروح في جوهرها

وكذا الانفاس هل تحصرها لا ولا تدري متى عنك تزول
اين منك العقل والفهم اذا غلب النوم فقل لي يا جهول
انت اكل الخبز لا تعرفه كيف يجري منك ام كيف تقول
الى آخرها .

والمنظومة الفكرية جميلة في موضوعها وفي سلاستها وهي موجودة في بعض كتب التاريخ^١ .

اعماله العامة

كان رضي الله عنه يقوم على الدوام بأعمال عامة بمحضرموت فمن نشر العلم والثقافة ودفاع عن السنة النبوية، الى بناء بعض المساجد الى تنظيم للاوقات الخيرية وذلك بتخصيصه ما بين العشاءين وما قبل الفجر كليهما لتلاوة سبع القرآن ليلاً في المساجد مما لا يزال مستمراً في أغلب البلاد الحضرية ، وله ايضاً مصنفات في التفسير ويظهر ان الايام سطت عليها ولم تبق باقية. ومما عرف من مصنفاته الفقهية منظومته اللامية في مناسك الحج ، وهي تعطي صورة عن مستوى رفيع في النظم وحسن الاسلوب وله وصايا نافعة في السلوك والتصوف والعبادة .

مركزه الاجتماعي

وللشيخ سالم مركز اجتماعي فقد اجتمعت فيه فضائل اكتسبها بنفسه وأعانتها عليها مواهبه فهو واسع الاطلاع قوي العارضة كما يتجلى هذا في

(١) أنظر صلة الأهل .

كلامه وكما يلزم من جلد له لخصومه، وقد عاش بين شيوخ وتلاميذ من الطراز الأول في حضرموت أمثال شيخه الامام صاحب مرباط وأمثال تلاميذه الذين ذكرنا بعضهم وفي مقدمتهم الامام سالم بن بصري. وطال به العمر وخطا في الشيخوخة فزاد ذلك من تعظيم القوم له، ولقد لقبه بعض المصنفين بشيخ الاسلام ومما قيل فيه القصيدة البليغة لتلميذه القاضي محمد ابن علي الظفاري وهي قوله : -

ابرود وشي في المواسم تنشر	فمهفهف ومسهم ومحبر
ام عقد درّ بالشذور مفصل	زان اللآلي نظمه والجوهر
ام روضة انف تبسم نورها	لما بكى فيها السحاب الممطر
ام طرس حبر كاد من انواره	يبيض منه الحبر حين يسطر
فالنظم سحر والبلاغة عسجد	واللفظ روض بالمعاني ثمّر
فكأنه نيل الأمان لحائف	او كالفقيد به البشير يبشر
او كالشفاء لمدنف او كالوصا	ل به المتيم بعد يأس يظفر
اهداه اوحد عصره من لم يزل	فوق السماك له يشاد المفخر
جرّت تريم على المجرة ذيلها	عجباً وحق لها الفخار الأكبر
فالدهر من بعد العطول متوج	من مجده ومطوق ومسور
نال ابن فضل في الفضائل رتبة	لم يستطعها منجد او مغور
فقه ابن ادريس واعراب الخليل	وما حوى سقراط والاسكندر
فبسالم سلمت شريعة احمد	عما يوود قناتها او يكسر
اضحى يدل على الرشاد مبيّنًا	سبل الهدى وعن الضلال يحذر
لا زال للاسلام ينظم شمله	والدين يحمي سربه لا ينظر
ثم الصلاة على النبي وآله	خير البرية والبشير المنذر

وفاته

توفي بترميم سنة ٥٨١ والمشهور انه لم يقتل وانما مات حتف انفه ولو قتل لذكر ذلك من تصدى لترجمته من المؤرخين القدماء كما ذكروا ذلك لمن قتل من كبار العلماء ممن لم يكن الشيخ سالم أقل شأناً منه ، ومن زعم قتله فانما تمسك ببني شعر من قصيدة الشيخ عبدالله بن ابي بكر باشعيب وهما : -

والشيخ سالم الذي أحيا المدارس في الحجر
قتلوه ظلماً وهو في محرابه يتلو السور

وكتب تعليقة عليهما بأنه يقصد الشيخ سالمًا ابا فضل بهما ، ولم يُعلم مصدر الشيخ أبي شعيب ، ومن مؤرخي هذا العصر من تبعه ومنهم من استغرب كلامه ومنهم من جعله محتملاً . ومثله في الغرابة ما قيل عن استشهاد الفقيه المقدم في جماعة من العلويين مع انه غير واقع ^٣ .

خيرة العلماء سالم بن بصري

هو سالم بن بصري بن عبدالله بن بصري بن عبدالله بن احمد بن عيسى المهاجر ولعلك لا تدري لماذا هو خيرة العلماء ؟ علماء عصره فاذا لقبناه بهذا اللقب فانه يستحقه عن جدارة وذلك في الحادثة التي أطبق عليها المؤرخون ^٤ من امتحان احد المتولين على تريم له بوصفه الممثل لعلمائها وأخبارها وبوصفه

-
- (١) مثل صاحب الجوهر وابي نخرمة .
 - (٢) تبعه السقاف في تاريخ الشعراء الحضرميين واستغربه الشيخ محمد بافضل في صلة الأهل وجعله محتملاً الحداد في عقود الاماس .
 - (٣) أنظر عقود الاماس .
 - (٤) منهم صاحب الجوهر عبدالرحمن الخطيب و ابو نخرمة والشيلي في المشرع .

خيارها وسنتقلها فيما بعد .

أما ذلك الوالي فهو اما زنجيلي او أحد بني النعمان أو غيرهم ممن يرى رأي الخوارج في احدى المذاهب على تريم فيستولون عليها موقتاً ١ عندما تقع الاشتباكات بينهم وبين الراشدين . وقد عرف هذا الامام ابن بصري بأنه على راس أهل السنة ضد الخوارج . ويعد أن يكون الوالي من آل راشد السنين وبفرض انه منهم فلعله لا يعدو شجعة الثاني الذي له بعض التصرفات الشاذة وقد أسلفنا ذكره .

علمه وثقافته

نشأ في بيئة علمية بتريم وحفظ القرآن واشتغل بدرس العلوم من تفسير وحديث وفقه وأصول وغيرها من العلوم العقلية والنقلية على أئمة علماء منهم الشيخ سالم بأفضل . ثم رحل الى اليمن والحجاز للاخذ عن علماء آخرين وتخرج في علومه وأذن له في الافناء والتدريس على طريقة السابقين ، وهذا الاذن بمثابة شهادة على التخرج فدرّس الطلبة والمستفيدين في الحرمين الشريفين . ثم عاد الى وطنه تريم ونشر بها علومه ومعارفه وآراءه وجعل يروي فيها الأسانيد العالية ويفسر آي القرآن ويقدم أبحاثاً دينية وعلمية واجتماعية ووفد عليه الطلاب معجبين به وتخرج الكثيرون منهم على يده كالعلامة محمد ابن ابي الحب وعلي بن احمد بامروان والقاضي احمد باعيسى والشيخ علي ابن محمد الخطيب والفقير المقدم .

وبالرغم من كثرة العلماء في ذلك العصر أثناء القرن السادس الهجري الى حد انهم بلغوا بتريم ثلثمائة - بالرغم من ذلك فانهم قد اعترفوا جميعاً يوماً

(١) دواماً يستولي خصوم آل راشد على تريم فيجلون عنها ثم يعودون اليها كما في سنة ٥٨٤ وسنة ٥٩٠ .

ما بأن هذا الامام هو خيرهم في علمه وخلقه وتصوفه وتقاه كما تشهد بذلك الواقعة التي وعدنا بنقلها .

والي تريم يمتحن علماءها الممثلين في ابن بصري

تحت هذا العنوان ننقل حادثة المترجم له مع الوالي وهي تدل فيما تدل عليه على مثاليته رحمه الله ، وقد نقلناها عن صاحب المشرع حرفياً وقد نقلها غيره من سبقه وهم لا يختلفون في جوهرها فلنتركه يسوقها بتسجيحاته وبياناته قال : « ويدلك على تفاصيل فضله ومبلغ مقداره بمختصر القول وفصله ما ذكره المؤرخون انه اجتمع في زمنه بمدينة ثلثمائة مفتي وطلب السلطان منهم أن يعلموه بأفضلهم فاتفقوا على أن صاحب الترجمة أفضلهم . وناهيك بها شهادة بفضله واعترافاً بسمو مقداره ونبله : ثم امتحنه السلطان بأشياء ترزعع رواسي الجبال وتنجل اكابر فحول الرجال شعرا .

كادت تزول الراسيات لهولها ولوقعها تنزلزل الآراء

فتلقاها غير مكثرث بها حتى سطعت فيها أنوار كوكبه وأشرقت فيها شمس مناقبه فمن تلك الامتحانات ان امرأة لها ابنة بارعة في الحسن والجمال افتتن بها كثير من الرجال فأرسل اليها السلطان وقال لها ان فتنت فلاناً أعطيتك مالاً جزيلاً وكساء فاخراً جليلاً فالتزمت له ذلك وقالت : هو أقرب من يمينك الى شمالك ، فزينت بنتها بأحسن الزينة واللباس وحلتها بأجمل حلي وحلاص فجلست له بمحل المرور عند خروجه لزيارة القبور وقالت له : ان لي بنتاً مريضة اريد منك ان تقرأ عليها شيئاً من القرآن وتدعو لها ، فذهب معها فلما دخل الباب أغلقتة عليه وعلى بنتها وتعلقت البنت به وراودته في نفسها فخلع السيد نعله وضربها بها وصار موضع الضربة حزازة جذام^١

(١) وجع وألم تقطع للجلد كما يتسع له اللفظ فان أريد بهذا اللفظ الجذام الحقيقي فيعد من الخوارق.

فصاحت البنت ، بأمرها فدخلت عليهما وفتحت الباب وخرج السيد وقد نجاه الله من قبيح دنسها ووقى من الوقوع في ظلم حنوسها ، فأنت المرأة ببنتها الى السلطان ورأى في يديها كقطع السنان فأرسل الى السيد معذراً اليه وسأله ان يصفح عنه ويرضى عليه ، فجاء السيد سالم اليه ووجد المرأة وبنتها بين يديه . فلم يغضب السيد من ذلك ولم يتأثر مما هنالك واعتذروا مما فعلوا وندموا على ما صدر منهم وتأسفوا وأقروا بذنوبهم واعترفوا فقبل عذرهم ووعظهم وحذرهم وطلبوا منه الدعاء للبنت بالعافية . »

هل قتل هذا الامام ؟

التحقيق انه توفي ولم يقتل كما أجمع على ذلك المؤرخون الذين هم أقرب الى عصره ومن يليهم باستثناء بعض نسخ تاريخ شنبل فقط^١ ، وعلى التنزل بأنه قتل فهو ليس قتيلاً لآل راشد لأن الوالي منهم اذ ذاك عبدالله بن راشد وهو صديقه وعلى طريقته ، على ان تريم اذ ذاك وفي الفترة التي توفي فيها مهددة بالحصار والهجمات من قبل أعداء عبدالله بن راشد وقومه^٢ . وكانت وفاته سنة ٦٠٤ هـ .

الشاعر الناصر محمد بن ابي الحب

هو العلامة محمد بن احمد بن يحيى بن أبي الحب بضم الحاء من آل ابي الحب المنسويين الى الانصار او الى قريش على اختلاف في ذلك . وهذه العائلة

(١) هو تاريخ لحوادث السنين مختصر مخطوط لمؤلفه العلامة السيد احمد بن عبدالله شنبل المتوفى سنة ٨٩٢٠ هـ ولدي نسخة منه صرح فيها بأنه توفي في يوم جمعة سنة ٦٠٤ هـ ولم يذكر الشهر .
(٢) وهذا يمكن ان يجاب على بعض تساؤلات الاستاذ سعيد با وزير في كتابه : معالم تاريخ الجزيرة العربية .

معروفة بتعداد العلماء والصلحاء فيها فأبوه وأعمامه وأبناءؤه فضلاء وعلماء .
وقد هاجرت هذه الاسرة من ظفار الى تريم في القرن السادس ، وهي
من الاسر التي تقوم بالقاء الخطب في حضرموت كما يقوم بها الخطباء المنسوبون
الى عباد بن بشر المار ذكره وذكرهم . ويقول بعضهم ^١ عن آل ابي الحب
انهم خطباء مقابر لا خطباء منابر ولعل مما يؤيد ذلك خطب المترجم له في المآتم
وعند الدفن وهي خطب بليغة مؤثرة جداً ، وهناك ايضاً اسرة عرفت بالخطابة
وهي أسرة آل ابي ططة .

ثقافته

يعد ابن ابي الحب احد اعلام الفقه والعلم والزهد والورع اضافة الى
الأدب والشعر كما يعد من الوجهاء الذين لهم وجاهتهم عند ذوي السلطة
وله قضية لطيفة استشفع فيها بواسطة بيتين من الشعر الى والي تريم ، وذلك
انه جد في وضع ضريبة على حضائر العطب ^٢ فشكا اليه اربابها فكتب
الى الوالي يقول :

مساكين اهل العطب وارحمتي لهم
فقارا عجافا من صرير المعاجل ^٣
يرومون اهل العطب ان يلحقوا الغنى
واين الثريا من يد المتناول
فقبل الوالي شفاعته وألغى الضريبة .

(١) هو الخطيب في برد النعيم .

(٢) القطن .

(٣) المعاجل جمع معجل وهو بلغة أهل حضرموت ما تدور عليه العجلة من حديد او خشب
حين يسنى عليها .

خطبه واشعاره

أما خطبه فهي بليغة جداً ويجري فيها وفي ترسله على طريقة التسجيع شأن أبناء عصره ومن بعدهم الى وقت قريب ، وأبلغها الخطب الوعظية المتداولة بتريم التي تقرأ بمناسبة الوفيات ، وعلى خطبه الأخرى أيضاً ورسائله صبغة تصوفية ووعظية .

ونورد على سبيل المثال فقرات من رسالته للامام المحدث ابن جديد الآتي ذكره قال : « سلام على حضرة سيدنا الفقيه الأجل ورحمة الله وبركاته من أخ له مقيم على عهده ، مستقيم على وده لا يألوه جهداً في المناصحة ولا يفصم عروة المصالحة ، يقيم كتابه منه مقام المصافحة وخطابه له مقام المناوحة يلاحظه بعين أفكاره على بعد داره ويخاطبه بلسان تذكاره ، على بعد مزاره » ثم عزاه في أخيه عبدالله المتوفى بتريم عزاء جميلاً الى درجة انه أثر على المعزى فعاد الى وطنه . والرسالة برمتها مذكورة في بعض كتب التاريخ ١ .

وأما اشعاره فهي متميزة بليغة ينتقي لها معاني جميلة فيصحبها في قوالب فصيحة ، ومنها قصيدته في وصف تريم حين يقول :

تجنب ارضك الوبأ الوخيم	وجانب سوحك السدم السديم
فلا زالت مصححة النواحي	فلا يلقي بها ابداً سقيم
رياح لواقح الأرواح فيها	ولا يوماً تهب بها عقيم
تعداها السموم فلا سموم	تهب بل السموم هو النسيم
ومن كانون في كن مكين	فليس على مواردها يحوم
مجاج مياهها فيه شفاء	اذا مجت على الأرض الغيوم
نسيم جنوبها ابداً صحيح	وطبع الجوف فيها مستقيم
وطبع مواهها في الصيف برد	وايام الشتاء هي الحميم

(١) أنظر المشرع .

تعاذل حرها والبرد فيها
وطبع البرد فيها فيه لطف
وحر الشمس فيها ليس يوذى
بلاد طاب مسكنها وطابت
فلو نظرت فلاسفة اليها
حماها الله من بلد وأبقى

فلا برد يضر ولا سموم
بطيب نسيمه تنمو الجسموم
وبرد شتائها ألباً سليم
مباركة لها رب رحيم
لقالوا جنة الدنيا تريم
(ابابكر) ١ ودام له النعيم

وله مرثي أحسن فيها منها مرثيته في الامام سالم بن بصري المعروفة في بعض كتب التاريخ ، وقد وصف فيها بكاءه عليه رحمهما الله تعالى فقال : -

ايا سالم قلبي عليك محرق
اكفكف دمعي من حياء وحشمة
وكنت اذا ما أهل دمعي بعبرة
أأججده احسانه وصنيعه
ومن ذا الذي ينسى صنائع سالم
فموت ابن بصري على الدين ثلثة
لقد كان بدرأ يستضاء بنوره
وكان أيبأ لا ينال مناله

فلا تعذلوني ان دمعي قد ذرف
ومهما كفت الدمع من ناظري وكف
وقلت له يا دمع حسبك كُف كُف
وانساه لما اصبح اليوم في الجرف
وكم منة اسدى وكم محنة صرف
وفقد ابن بصري لظهر العلا قصف
وبحراً من المعروف من زاره غرف
ولكن اذا للحق صرفته انصرف

وفاته

توفي بتريم سنة ٦١١ هـ والتحقيق انها لم تعرف ولادته وان ذكرها بعضهم على سبيل التقريب ٢ .

(١) قال بعض المؤرخين أنه يعني به عبدالله بن راشد .

(٢) هو صاحب تاريخ الشعراء الحضرميين ويقول شبيل في تاريخه أن وفاته سنة ٦٠١ .

المحدث ابو جديد

هذا هو الامام علي بن محمد بن احمد بن جديد الحسيني العلوي وقد ولد ونشأ بتريم في بيثة علمية راقية ، فكان هو وأخواه عبدالله وعبدالمالك من المبرزين في العلم والتقى والصلاح ، وقد اخذ عن علماء تريم ومن أبرز شيوخه بحضرموت من غير العلويين الشيخ سالم بافضل .

رحلته الأولى :

وقد قام برحلة طويلة عن بلده للاستزادة من العلوم والمعارف وغيرها فأقام باليمن والحرمين والشام والعراق وغيرها وله شيوخ فحول وأقران في كل ما ذكرناه ، قالوا ١ ان شيوخه قد بلغوا نحو الألف .

ومنهم بعدن القاضي ابراهيم القريظي الذي اخذ كتاب المستصفي عن مؤلفه محمد بن سعيد بن معز ٢ ومنهم بمكة ببقية الحفاظ ابو عبدالله محمد بن اسمعيل ابن ابي الصيف نزيل الحرمين ، وقد اجازه على الطريقة القديمة بأن يأذن الشيخ لتلميذه في التدريس وقد حدث الامام ابن جديد بمكة بالكتب الستة ٣ وأراد الاستيطان بها لولا ان أعيان بلاده طلبوا عودته فعاد .

تخصصه :

وأبو جديد هذا متبحر في العلوم العقلية والشرعية والأدبية الى درجة أنه تصدر للردود على بعض الفرق المخالفة للمذهب السني ومنهم المعتزلة وقد تخصص في علوم الحديث والقرآن وهو من اكابر حفاظ الحديث ومفسريه .

(١) أنظر المشرع .

(٢) هو من الكتب المحبوبة المتداولة في فنه فيه أحاديث وأعمال نبوية .

(٣) هي صحيح البخاري ومسلم وسنن ابن ماجه والترمذي والنسائي وإبي داود .

اول من حذف السند :

وقد كان المحدثون حين يلقون أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يسندونها عن أشياخهم حتى يصلوا بها الى الرسول ، ولكن الشريف ابا جديد حذف السند اختصاراً ، ويعد في اليمن أول من حذف السند وان اشتهر غيره في بعض الأقطار بأنه أول من حذف السند .

وقد خرج احاديث كثيرة وجمع أربعين حديثاً في فضائل الأعمال كما جمع غيره من كبار المحدثين أربعين .

عودته الى تريم :

قلنا في ترجمة ابن ابي الحب انه كتب له تعزية بليغة فيمن كتب اليه ، تأثر بها وكانت في أخيه عبدالله المتوفى سنة ٦٠٨ وقد ترك ايتاماً وله مركز علمي ووجاهة فعاد المترجم له على إثر وصولها الى تريم .

الاحتفاء به :

وقد احتفى به اخوانه المواطنين احتفاء كبيراً لما يعقدونه على وجوده بها من الآمال التي من اهمها نشر العلوم والمعارف ، وفعلاً أبدى كفاءة تامة وتصدر للعلم والاصلاح الاجتماعي وتخرج عليه كثير بها كما تخرج عليه كثيرون في مهاجره سيأتي ذكر بعضهم .

لقد بذل ابو الحسن هذا كل امكانياته لنشر العلم وصنف ودرس وبذل كتبه للطلبة وقد جاء بكثير منها من الخارج - كل هذا قام به بالرغم من قيام الفتن والحروب بمحضرموت .

رحلة اخرى :

ثم رحل هو واخوه عبدالملك الى اليمن الى الشيخ العالم الصوفي مدافع

ابن احمد العيني احد تلاميذ الشيخ الشهير عبدالقادر الجيلاني الحسني فامتزجا
بالشيخ مدافع بقريته المسماة الوحيز^١ وتزوجا ابنتيه وانتفعا به كما انتفع
بهما خصوصاً في الناحية العلمية والطريقة الصوفية وتوفي أخوه بها سنة ٦١٤ .

استبداد الملوك

وبينما ابوجديد مع الشيخ مدافع على عادتهما في احتساء كؤوس العلم
ومزاولة العبادة اذ مر الملك المسعود بن كامل الأيوبي في طريقه للصيد بقرية
الوحيز فرأى بها جمهوراً كبيراً فسأل عنهم فاخبر بأن فيهم رجلاً عالماً
معتقداً من الصالحين الأخيار يعنون الشيخ مدافعاً وهؤلاء من محبيه وملتزمي
بركته ، فقصده الملك للزيارة فكان ذلك في وقت اشتغال الشيخ باوراده واذكاره
في الصباح فقد اعتاد ان يملأ بها ما بعد صلاة الصبح الى ان يصلي الضحى
بدون أن يخاطبه احد ، واتفق مجيء الملك وأتباعه والشيخ على تلك الحال
وخادمه يدخل ويخرج ويقول الساعة يخرج الشيخ بدون أن يشعر الشيخ
بوصول الملك اليه وانتظاره ذلك الانتظار الذي طال حتى مل الأمراء وتبرموا
وغضب الملك وغادر القرية ولم يقابل الشيخ بل أمر بالقاء القبض عليه وعلى
ابي جديد صهره لأنه محبب اليه وحبسهما في حصن تعز ثم أنزلهما الى عدن
ثم نفاهما الى الهند ، فحملتهما سفينة عصفت بها الريح قرب ظفار فنزلا فيها
حيث قابلهما الأهالي احسن مقابلة وأخذوا عنهما وأحوا عليهما في أن
يقيما بينهم فاعتذرا ووعدهم بأن ذلك ربما يكون بعد وصولهما الى الهند
ورجوعهما منها .

ثم استأنفا سفرهما الى الهند حيث نزلا بندر دابول من الهند ، فاستقبلا
من الأهالي استقبالاً حسناً وظهرت وجاهتهما هناك وأخذ عنهما كثير من

(١) بالحاء المهملة المكسورة والزين .

الطلاب حتى عادا أدرجهما بعد شهرين الى ظفار ومكثا بها مكرمين ينشران العلم والدعوة الى الله ، وتوفي الشيخ مدافع بها سنة ٦١٨ هـ .
اما ابو جديد فعاد الى اليمن ينشر بها علومه وأبحاثه وقصد زيد بصورة خاصة . ومن تلاميذه محمد بن اسماعيل الحضرمي ومحمد بن مسعود السقال والامام ناصر الحميري والشيخ أحمد بن محمد الجندي والشيخ محمد بن ابراهيم الفشلي والامام عمر بن علي صاحب بيت الفقيه وغيرهم .

الاقامة بمكة

انتهى المطاف بالامام ابي جديد الى مكة المكرمة حيث اقام بها يحدث ويدرس ويفتي كعلم من أعلامها حتى توفي بها سنة ٦٢٠ رحمه الله .

ابو جديد والخوارج

استأنف الخوارج صولاتهم وجولاتهم في ايام ابي جديد هذا أواخر القرن السادس الهجري وأوائل السابع وبينهم وبين السنيين عداة تقليدي وكانوا يحقدون عليهم وينالونهم بأنواع الأذى . وقد استندوا الى الغزاة الخارجيين من أمثال الزنجبيلي ثم عمر بن مهدي وقد سبق الكلام عنهم وتظافر الخوارج من الداخل والخارج كما يحدثنا التاريخ على التخريب وسفك الدماء واذاء الصالحين والعلماء . وبلغت ببعض ولائهم^١ الأحقاد والحماقات الى درجة محاولة الطعن في أنساب العلويين وهم على راس أهل السنة رغماً عن صراحتها ، فضغظ عليهم وكلفهم باثباتها بالطريقة القضائية^٢ امعاناً في الابداء .

(١) لم تصرح لنا المصادر باسمه ولا يعدو أن يكون زنجبيلياً او نعانياً او مهدياً نسبة الى عمر بن مهدي .

(٢) ولم يلنفت الى التواتر الذي عليه العمدة في أنساب كل القبائل .

عند ذلك قام صاحب الترجمة بالدور الكافي لاسكات خصومهم في صراحة وتحقيق انسابهم وأتى بالاثباتات الشرعية من العراق والحجاز الى حضرموت فقام أئمة وعلماء حضرموت بدورهم بتأكيد ما ولم يعرف منهم مخالف^١. والواقع ان آباء العلويين بني علوي سواء الحضارمة منهم والعراقيون والحجازيون مشهورون بالامامة والزعامة في عصورهم بحيث لا يمكن ان يندس بينهم احد كما يشهد ذلك التاريخ^٢.

ابو جديد والمؤرخون

توفرت المراجع التاريخية المعاصرة له وغير المعاصرة والحضرمية وغير الحضرمية في الترجمة لأبي جديد لعلو كعبه في العلوم والأخلاق ولذيع شهرته وطول رحلاته ، فممن ترجم له في تواريخهم من المشاهير الجندي وابن سمرة والعواجي والملك الأفضل اليمني في العطايا السنية وعبدالله بن عمر

(١) أنظر التفاصيل في الجوهر وتاريخ ابي مخرمة وغيرها قال في الجوهر للخطيب وفي قلادة النحر وغيرها واجمع على ذلك اي النسبة الشريفة العلماء والصالحون وقد اخطأ البكري في التاريخ السياسي ج - أ - حيث وضع فيه ما يخالفها ويخالف الحقيقة والتاريخ ايضاً مما ادعى وجوده في النسخة التي بدار الكتب المصرية من تاريخ با مخرمة. انظر في الرد عليه رسالة المؤرخ السيد عبد الله بلفقيه المطبوعة والمسماة تنفيذ مزاعم الشيخ صلاح البكري في تحككه بنسب الامام احمد بن عيسى فقد حقق فيما هو السيد علوي بن طاهر الحداد الموضوع الى درجة الكشف عن تلك النسخة وبيان الافتعال عليها ثم ان مبدأ با مخرمة لا يقول بما نسب اليه اما غيره من المؤرخين كالأستاذ سعيد با وزير في كتابه صفحات من التاريخ الحضرمي فقد نقلها كما هي والتاريخ كله نقل وليس لنا ان نقيم فيه لغير الحقيقة أي اعتبار .

(٢) ولهم شجرات عديدة يضبطونها منذ أوائل القرون الى اليوم ولغيرهم من القبائل الحضرمية شجرات معروفة ايضاً وقد قلنا ان العرب من الأمم التي تعني بانسابها فعسى أن يكون من ذلك حافظ للتأسي بالآباء من كرام العرب الماضين .

باخرمة في تكميل طبقات السبكي والطيب باخرمة في قلادة النحر وصاحب
المشرع وغيرهم رحمة الله عليهم أجمعين .

السلطان الراشد عبدالله بن القحطاني

هو أحد الأفراد القلائل الذين جمعوا بين العلم والحكم والعدل والفضل
وقد مر الكلام عنه من الناحية السياسية أيام حكمه .

نشأته وعلومه ومعارفه

نشأ ابن راشد في وسط علمي وفي بيئة مثقفة متدينة بموطنه تريم وقد
وليها سنة ٥٥٨ وتحفظ بما القرآن الكريم من صغره وتوجه الى طلب العلوم
الشرعية والعربية حيث يوجد بها أمتها ورجالها وهم اذذاك كثيرون .
وقد تتلمذ ابن راشد للخصيصين في العلوم الشرعية من التريميمين كالشيخين
يحيى بن سالم بافضل وفضل بن ابي جواس وغيرهما .

رحلته الى الحجاز

وفي سنة ٥٨٨ سمع الأحاديث من كبار الأئمة المحدثين المشهورين وهم
ابن ابي الصيف والمقدسي وابن عساكر^١ .
أما قبل ذلك في سنة ٥٨٠ فقد قرأ صحيح البخاري على الامام محمد
ابن احمد بن النعمان الهجراني الرحالة الشهير^٢ .

(١) أنظر تاريخ شنبيل .

(٢) نفس المصدر وعقود الاماس اما تاريخ ابي نخرمة فقال سنة ٥٨٣ وكل هذه المصادر لم
تذكر الموضوع .

مشاركته في الناحية الثقافية

لقد كان ابن راشد عالماً جليلاً قبل أن يكون سلطاناً وبعد أن كان ، ويوجد من رجال أسرته علماء كبار كعمه عبدالرحمن بن شجعنة وأخيه عبد الرحمن ابن راشد فنشأ معهم وأدرك أئمة العلويين الذين في مقدمتهم الامام سالم بن بصري ، والمحدث علي بن محمد بن جديد وأخوه عبدالملك وغيرهم ، وقل أن تجد من علماء وصلحاء وأدباء تريم الكبار احداً الا وله به رابطة زمالة أو مشيخة أو صداقة او معرفة ، ومن أولئك الأعيان المشار اليهم العلامة ابن ابي الحب وقد أرسل الأخير اليه رسالة بليغة صدرها بهذين البيتين :

ايا علم الأفضال والجود والكرم وعلامة الآداب والعلم والحكم
ويا عصمة الله التي الناس ترتجي له دولة يرعى بها اللذيب والغم

وموضوع هذه الرسالة تهنئة وتشجيع على العدالة وقد نقلت بعض المصادر فقرات منها بعد هذين البيتين .

اعماله العمرانية :

ولم يقتصر هذا السلطان على الاعمال العسكرية والسياسية والعلمية بل أخذت كثيراً من اهتمامه النواحي العمرانية فقد عرف عنه انه جدد عمارة الحصن الشهير بحصن الرناد ، ويقال له اذذاك مصنعة الرناد .
كما بني سور تريم في عهده وذلك سنة ٦٠١ . قال بعض المؤرخين انه بني من قارة العز الى حدر ٢ .

(١) تاريخ الطيب باخرمة .

(٢) تاريخ شنبل وقارة العز بالزاي معروفة جنوب تريم وأما حدر فلم يعرف موضعه بالضبط ويؤخذ من اسمه انه في ناحية الشرق من تريم ينحدر الوادي وتسمى تلك الجهة حدرأ!

اعماله العسكرية :

السلطان ابن راشد قائد حربي له شجاعته واقدامه وتدل الحوادث الحربية على معرفته بكيفية القتال وأساليب الحروب وما تقتضيه من هجوم وانسحاب وتقدم وتأخر كما أسلفنا الكلام عن بعضها .

لماذا اعتزل الولاية ؟

ان ابن راشد من النوع الذي يريد أن يقدم خدمة خالصة لله وللوطن بواسطة الحكم والسلطنة فهو مثالي جعل الحكم وسيلة لا غاية كما هو واجب ديني وانساني ولهذا نجده - كما قدمنا - في فترة زاهية من عصره (ولايته) قد قرعنا حيث استطاع بعض الوقت أن يهدئ الاضطرابات ، وأن ينشر العدل والسلم والرخاء فقال قولته الشهيرة :

لا يوجد ببلادي حرامي ولا سارق ولا محتاج ، وقد تقدم ذكرها وذكر الفترة التي قيلت فيها .

ثم للسبب نفسه حيث رأى انه لن يمكنه استعمال تلك الوسيلة تنازل عن الحكم مرغماً للظروف الحربية والسياسية التي تكلمنا عنها ، ولم يغادر تريم كما لم يخلع رداء السلطنة الا كارهاً حيث ضغطت عليه قوة ابن مهدي وطرده بجيشه . وبقي معزلاً مدة شهور بقارة العر^١ قرب مريمة متعبداً ربه متألماً من عدم موالاته أهل حضرموت له على الحق ، كما صرح بهذا لما قيل له في ترك الولاية فأجاب بهذه الجملة : ما وجدنا آل حضرموت يوالوننا على الحق^٢ ، الى ان قتل سنة ٦١٦ عن ثمانية وخمسين عاماً . وقاتله في هذا العام

وبهذا يكمل سور تريم من الناحيتين الجنوبية والشرقية ويحيط باكثر الشال والغرب جبال شاهقة والعز بالعين المهملة والزاوي المعجمة .

(١) بالعين والراء المهملتين .

(٢) روى هذه القولة حرفياً تاريخاً ابي مخرمة .

— كما تقول بعض المصادر^١ هو ابن مدارة الذي خرج بمعية بعض قواد ابن مهدي حتى فتك بـابن راشد تحت طاحس^٢ ودمره قرب قرية مريمة وقبره معروف هناك يزار رحمه الله رحمة الأبرار .
ومن المؤرخين من يروي انه سافر ليصلح بين قبيلتين متخاصمتين فقتل في الطريق ظلماً ولكنه قدم تاريخ وفاته فجعلها سنة ٦١٢^٣ ولعل التحقيق ما ذكرناه أولاً .

هؤلاء هم من أعظم أساطين العلم والاجتماع والسياسة في عهدهم بحضرموت ولهم اتصالات وروابط واكثرها علمية وثقافية بالبلاد العربية والاسلامية الأخرى ، ولهم أثر كبير في نشر المبادئ أو القيم الخلقية والتعاليم الاسلامية بين طوائف الشعب . والشيء الوحيد الذي لم يستطيعوا أن يقوموا به هو نشر الأمن والوحدة في ربوع بلادهم وايقاف حملة السلاح ومحتري الغارات عند حدهم ، حتى السلطان عبدالله بن راشد نفسه الذي أمسك زمام الحكم قد اضطرته هذه الطائفة المتساحرة بما أحدثته له من مشاكل — أن يتنازل عن الحكم .

ومهما يك من تغلب قوى الشر على قوى الخير في أيامهم فان مبادئهم الاصلاحية ومثلهم الخلقية لا تزال قائمة حية وسيكون لها الفوز في النهاية ، ولينصر الله من ينصره .

انتهى الجزء الأول من كتاب ادوار التاريخ

الحضرمي في ذي الحجة سنة ١٢٨١ هـ

مايو سنة ١٩٦٢

-
- (١) تاريخ شنبل .
(٢) نفس المصدر ولم نطلع على ما يفيد زيادة عما ذكره ولكن يظهر بمقتضى سياقه ان القتال من الخوارج أو ممن يرون رأيهم . ويؤيد هذا أيضاً ما في عقود الالماس .
(٣) هو تاريخ باخرمة وتبعه الاستاذ ابن هاشم في تاريخه لكنه قال ان وفاته سنة ٦١٥ فخالف الروايتين ولم اعرف مصدره وخلط بعض المعاصرين بين الروايتين فأخذ من إحداها شيئاً ومن الاخرى شيئاً آخر .

أهم مصادر الكتاب

المؤلف	الكتاب
محمد بن جرير الطبري	تاريخ الامم والملوك
ابوالفرج الأصبهاني	الأغاني
ابن عبد ربه	العقد الفريد
ابن حجر العسقلاني	الاصابة في اسماء الصحابة
عبد الملك بن هشام	السيرة النبوية
محمد بن ابى بكر الشلي	المشعر الروي
بطرس البستاني	دائرة المعارف
جرجي زيدان	تاريخ العرب قبل الاسلام
المقدادي	تاريخ الأمة العربية
الدكتور جواد علي	العرب قبل الاسلام
علوي بن طاهر الحداد	الشامل في تاريخ حضرموت
علوي بن طاهر الحداد	عقود الالماس
علوي بن طاهر الحداد	جني الشماريخ
الطيب با مخرمة مخطوط	قلادة النحر
احمد بن عبدالله شنبلى مخطوط	التاريخ الاقدام
عبيد ابن شرنبة	خلاصة السيرة الجامعة وهي شرح قصيدة نشوان الحميري
محمد بن عبدالله الخطيب مخطوط	البرد النعيم
وبقيت مصادر اخرى قد أشرنا اليها في التعليقات كما أشرنا فيها الى اهم المصادر المسجلة أعلاه .	

فهرست الكتاب

صفحة	الموضوع
٥	خطبة الكتاب
٩	معلومات عن جغرافية حضرموت
١٠	الموقع - الحدود
١١	الحدود المتداولة اليوم
١١	الجبال والاوودية والمدن
١٢	كيف تستغل مياه الأمطار بحضرموت
١٣	محاولات غير مجدية في هذين العقدين الاخيرين
١٣	اسباب الفشل
١٤	الطقس
١٤	تقلبات الطقس
١٥	الأمطار
١٥	ثروات حضرموت
١٦	الثروة النباتية
١٨	الثروة المعدنية
١٨	السكان
١٩	المذهب والعقيدة والعدد
٢١	امتنا العربية التي نحن جزء لا يتجزأ منها
٢٣	العرب البائدة
٢٤	العرب العاربة
٢٥	العرب المستعربة
٢٥	الشعوب العربية وبلادها في العهد الحاضر

٢٩

الدور الحضرمي الأول

٣٢

عاد من سنة ٢٠٠٠ ق . م الى سنة ١٠٠٠ تقريباً

٣٣

قبر هود

٣٤

الحالة الاجتماعية في عهد عاد

٣٥

التمحطانيون

ولماذا سميت بلاد حضرموت حضرموت ؟

٣٧

حضرموت في عهود الاقيال والمعينين والسبأيين

٣٧

المحافظ

٣٩

الدولة المعينية من سنة ١٥٠٠ الى سنة ٨٥٠ ق . م تقريباً

٣٩

الدولة السبأية سنة ٨٥٠ الى سنة ١١٥ ق . م تقريباً

٤٠

بعض المشهورين من ملوك القحطانيين واثارهم

٤١

حالة الجنوب السياسية في ذلك العهد

٤٢

الحالة الاجتماعية ايام القحطانيين

٤٢

كيف تسير قوافلها برأ وبجراً

٤٥

حضرموت في عهد الحميريين

٤٦

حضرموت في هذه العهود الثلاثة

٤٧

بعض الذين اشتهروا من ملوك حمير

٤٧

هل امتد ملك الحميريين الى اجزاء من الصين شرقاً والى القسطنطينية غرباً

٤٨

الفرس

٤٨

صورة عامة عن حالة حضرموت الاجتماعية في عهد الحميريين

٤٩

تقديم الخط المسند في عهدهم

٥٠

آثارهم القديمة

٥٣

اتصال الحضرميين بالامم الاخرى

خريطة طرق القوافل

٥٥

الدور الجاهلي

٥٦

مشيخات ودويلات حضرموت وكندة بحضرموت

٥٧

منازلهم او محافدهم

٥٨

كندة في شمال الجزيرة العربية

صفحة	الموضوع
٦٠	الحياة الاجتماعية في عهد ملوك العشائر قبيل الاسلام
٦٢	ثقافتهم
٦٤	نماذج من نوابغهم : امرؤ القيس بن حجر
٦٦	جهوده للاخذ بثأر أبيه
٦٧	قيس بن معدى كرب بن معاوية الكندي السكسكي
٦٨	اضخم فدية عرقمما العرب
٦٨	أعماله المجيدة
٦٨	الملك الحكيم المسالم
٦٩	ام الصريخ الشاعرة المجيدة
٧٠	خويلة القضاءعية
٧١	ابعد العرب غارة
٧٣	دور الوحدة
٧٥	حضر موت تنضم تحت راية الاسلام والتوحيد وتلتحق بالوحدة العربية الاسلامية
٧٧	مقارنة .. و الفرق الهائل بين التاريخين
٧٨	الوفود الخضرمية الى سيد العرب صلى الله عليه واله وسلم بالمدينة
٧٩	وفد كندة
٨٠	مصاهرة بين القبيلتين
٨٠	وفود خضرمية اخرى
٨٠	وفد الجعفيين من جردان
٨٠	قيس بن سلمة الجعفي
٨١	ربيعة بن مرحب الحضرمي
٨١	سيدنا محمد صلى الله عليه واله وسلم يثني على الحضارمة
٨٣	اول عامل اسلامي على حضر موت
٨٣	اول مرشد اسلامي من الصحابة اشتهر بحضر موت
٨٦	كيف بلغ أهل حضر موت موت الرسول صلى الله عليه واله وسلم ؟ وكيف تمت بيعة ابي بكر بينهم
٨٦	العصاة والمرتدون
٨٧	ناقة شيطان
٨٨	بدء القتال

صفحة	الموضوع
٨٨	الأشعث تغلبه الحمية
٨٩	حصن النجير واين يقع
٨٩	كيف سقط حصن النجير في ايدي الصحابة
٩١	ماذا كان مصير الاشعث في هذه الحرب
٩١	حايك بن حايك
٩٢	مقابله للخليفة
٩٢	وليمة الاشعث بالمدينة
٩٣	من شهداء معركة النجير
٩٤	عباد بن بشر الانصاري
٩٥	الاثر الذي احدثه وجود الصحابة ببلاد حضر موت
٩٦	حضر موت تتمسك باهداب الطاعة طيلة قرن كامل وربع قرن تقريباً
٩٦	الحياة الاجتماعية بحضر موت بعد دخولها الى الاسلام حتى العهد الاباضي
١٠٠	الاحكام والمحاكم
١٠٠	ازياؤهم
١٠١	المرأة الحضرمية في هذا الدور
١٠١	امانة الحضرمي
١٠٢	واثل بن حجر الحضرمي
١٠٣	صنم واثل بن حجر
١٠٤	بماذا اشتهر هذا الصحابي رضي الله عنه
١٠٤	الزجر
١٠٥	واثل بعد اسلامه
١٠٦	محاورته مع معاوية
١٠٦	قيسبة بن كلثوم السكوني فارس الحضرميين في فتوحات مصر
١٠٧	منزلته بين قومه ومواطنيه
١٠٩	امرؤ القيس بن عانس الصحابي الشاعر المشهور
١٠٩	منازعه مع ربيعة ابن عيدان الحضرمي
١١١	قضيته مع غمه وتضحيته في سبيل المبدأ
١١١	شعره
١١٣	المقنع الكندي
١١٨	الدور الاباضي من سنة ١٢٩ الى سنة ٥٩١ هـ
١١٩	توطئة وتمهيد من هم الاباضية ومن هم الخوارج

صفحة	الموضوع
١٢١	شخصيات معروفة من ائمة وزعماء الاباضية بحضر موت
١٢١	عبدالله بن يحيى الكندي
١٢١	عبدالله بن سعيد الحضرمي
١٢١	محمد بن عمرو الحضرمي
١٢٢	ابو اسحاق الهمداني ووالده
١٢٣	ثورة طالب الحق عبدالله بن يحيى الكندي الاباضي
١٢٤	نوازع نفسية تعتمل في صدره قبل الثورة
١٢٤	اباضية البصره تفقد الى حضر موت
١٢٥	اول خطوة عملية
١٢٥	الخطوة الثانية الاستيلاء على صنعاء عنوة
١٢٧	خطبة عبدالله بن يحيى في صنعاء
١٢٧	الخطوة الثالثة الاستيلاء على الحجاز والشام
١٢٩	مصرع ابي حمزه واسترداد الحجاز
١٣٢	شجاعة نساء الخوارج
١٣٣	مصرع طالب الحق والقضاء على ثورته
١٣٥	تعقب الثورة الى حيث منبتها
١٣٦	تحرير حضر موت والفتك بأهلها
١٣٧	حضر موت تحت التاج العباسي
١٣٧	معن بن زائدة يغزو حضر موت
١٣٩	وفاة معن بن زائدة
١٤٠	امارة بني زياد
١٤١	الحسين بن سلامة النوبي الاصل مولى بني زياد
١٤١	بناء الجوامع وتنظيم البريد
١٤٢	الحوالي يخرج على الزياديين
١٤٢	وصول الامام المهاجر الى حضر موت
١٤٣	كيف كان بنو زياد يحكمون حضر موت
١٤٣	الصليحي يحتاج حضر موت وينيب المعينيين عليها
١٤٤	القرامطة
١٤٤	موقف الأباضيين
١٤٧	صور من الحياة الاجتماعية في العهد الاباضي
١٤٧	هل جنى الاباضية على حضر موت

صفحة	الموضوع
١٤٨	الثقافة في ذلك العهد
١٥٠	النواحي الاقتصادية
١٥١	المرأة
١٥١	من اعلام العهد الاباضي
١٥٢	الامام المهاجر الى الله احمد بن عيسى
١٥٢	لماذا لقب بالمهاجر
١٥٤	المهاجر يزور المدينة
١٥٤	نهاية الرحلة
١٥٥	ثقافة المهاجر وعلومه وتقاه
١٥٦	مذهب المهاجر
١٥٨	امواله ومكارمه
١٥٨	وفاته
١٥٨	ابنه الامام عبدالله بن احمد بن عيسى
١٥٩	اول صوفي عرف بمحضر موت
١٥٩	رحلاته
١٦٠	اقتصادياته ونفقاته في سبيل الله
١٦٠	اخلاقه وتواضعه
١٦٠	تلاميذه
١٦٤	الدور الراشدي
	من سنة ٤٠٠ تقريباً الى سنة ٧٠٠ تقريباً
١٦٥	سلاطين آل راشد
١٦٨	مذهب هذه الدولة وتقاليدها
١٧٠	سلسلة المعروفين من سلاطين وامراء آل راشد
١٧١	امراء حضرميون آخرون معاصرون للراشدين وحروب وهجمات من المشائر
١٧١	امارة بني الدغار بشبام
١٧١	مارة آل اقبال بالشحر
١٧٢	شراء البلاد بالنقود
١٧٣	موجات الغزو الخارجي على حضرموت في هذا العهد واستيلاء الأيوبيين وهجوم قائدهم الزنجيلي
١٧٣	آل راشد يقاومون الزنجيلي
١٧٥	الزنجيلي يأسر بعض سلاطين آل راشد

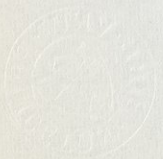
صفحة	الموضوع
١٧٥	قتل العلماء والصالحين
١٧٥	استشهاد الشيوخ بني اكد
١٧٦	نهاية امر الغز بحضر موت وقيادة عمر بن مهدي لهم
١٧٧	السلطان الجبوتي وبعده الملك الرسولي يستوليان على حضر موت
١٧٧	السلطان الثري سالم بن ادريس الجبوتي
١٧٨	صدقات الجبوتي
١٧٩	الحياة الاجتماعية في العهد الراشدي
١٧٩	الناحية السياسية
١٧٩	الشفاعات والخفارات
١٨٠	الزراعة والاعمار
١٨٠	العملة
١٨١	الازياء
١٨٢	الاحكام والمحاكم
١٨٢	التدريس في الزوايا
١٨٣	الحالة الثقافية
١٨٥	واقعة ابن ابي عبيد الحضرمي مع ابن ابي الصيف امام الحرمين
١٨٦	النهضة الأدبية
١٨٦	المجتمعات الدينية
١٨٧	من نوايغ الدور الراشدي
١٨٧	الامام صاحب مرباط
١٨٧	تر بيته ونبوغه
١٨٨	زعامته
١٨٨	دوره في ادخال المذهب الشافعي الى ظفار
١٨٩	اقتصادياته
١٨٩	اخلاقه وكرمه
١٨٩	شيخ الاسلام سالم بافضل
١٩٠	تلاميذه
١٩٠	فلسفة الشيخ سالم
١٩٣	اعماله العامة

صفحة	الموضوع
١٩٣	مركزه الاجتماعي
١٩٥	وفاته
١٩٥	خيرة العلماء سالم بن بصري
١٩٦	علومه وثقافته
١٩٧	والي تريم يمتحن علماها الممثلين في ابن بصري
١٩٨	هل قتل هذا الامام ؟
١٩٨	الشاعر الناثر محمد بن ابي الحب
١٩٩	ثقافته
٢٠٠	خطبه واشعاره
٢٠١	وفاته
٢٠٢	المحدث ابو جديد
٢٠٢	رحلته الاولى
٢٠٢	تخصصه
٢٠٢	اول من حذف السند
٢٠٣	عودته الى تريم
٢٠٣	الاحتفاء به
٢٠٤	رحلته الاخرى
٢٠٤	استبداد الملوك
٢٠٥	الافامة بمكة
٢٠٥	ابو جديد والخوارج
٢٠٦	ابو جديد والمؤرخون
٢٠٧	السلطان عبدالله بن راشد القحطاني
٢٠٧	نشأته وعلومه ومعارفه
٢٠٧	رحلته الى الحجاز
٢٠٨	مشاركته في الناحية الثقافية
٢٠٨	اعماله العمرانية
٢٠٩	اعماله العسكرية
٢٠٩	لماذا اعتزل الولاية
٢١١	اهم مصادر الكتاب

من انتاج المصنف

- (اليواقيت من فن المواقيت)
شرحها الاستاذ ابن هاشم
(مولد الرسول الأكمل)
بالحرف المهملة
- منظومة في الجغرافيا والفلك والميقات
تحت الطبع
- (تهذيب البنت الحضرمية)
في التهذيب والمطالعة لبنات حضرموت
مخطوط
- (دروس التوحيد)
للدين الاسلامي
- (سيرة السلف (أوحياة الأجداد) سلسلة محاضرات تاريخية في هذا الموضوع مخطوط
- ديوان الشاطري
اكثر قصائد المصنف واشعاره
الاجتماعية والوطنية والادبية
- الجزء الاول مطبوع
والجزء الثاني مخطوط

طبع هذا الكتاب
على
مطابع « دارالكتب »
بيروت - لبنان



LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 074332444